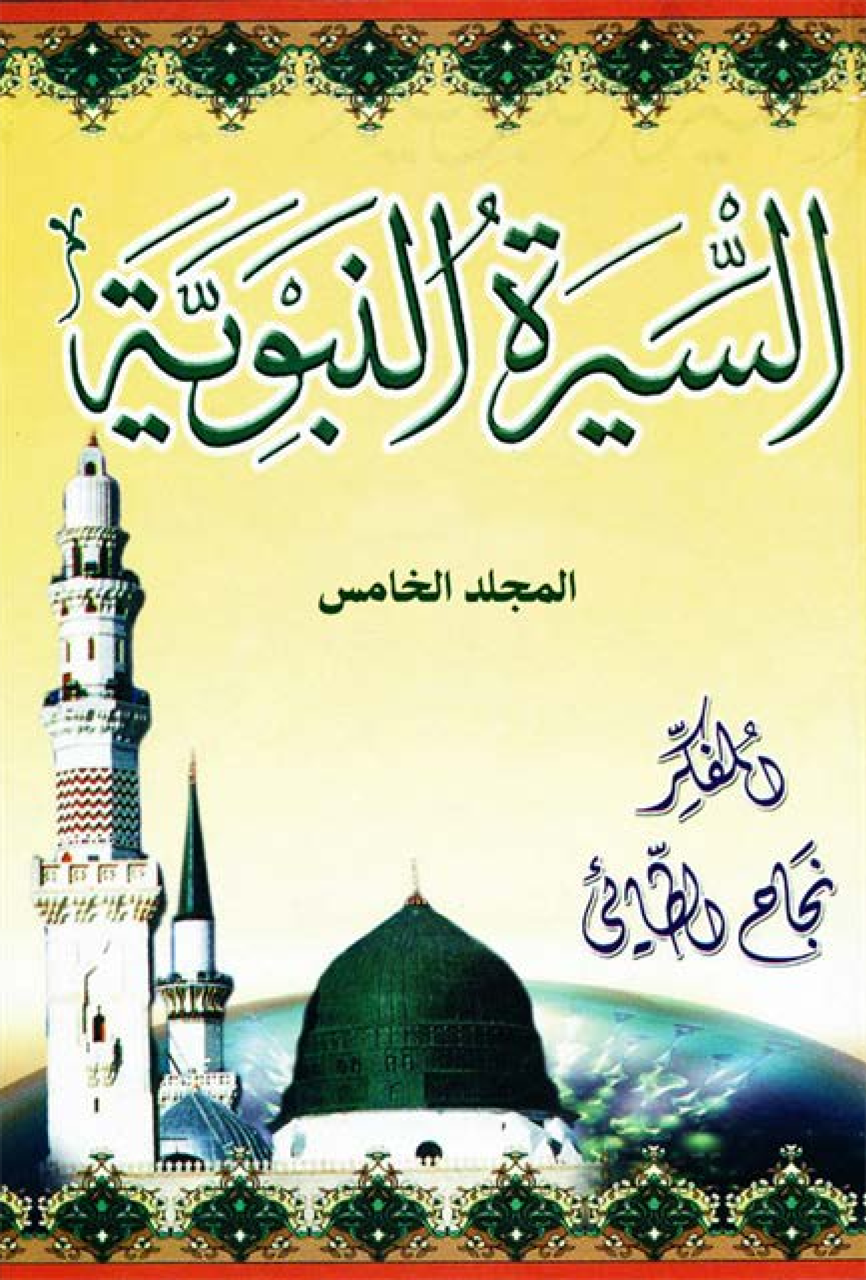

السيرة النبوية
المجلد الخامس
المفكر
نجاح الطائي



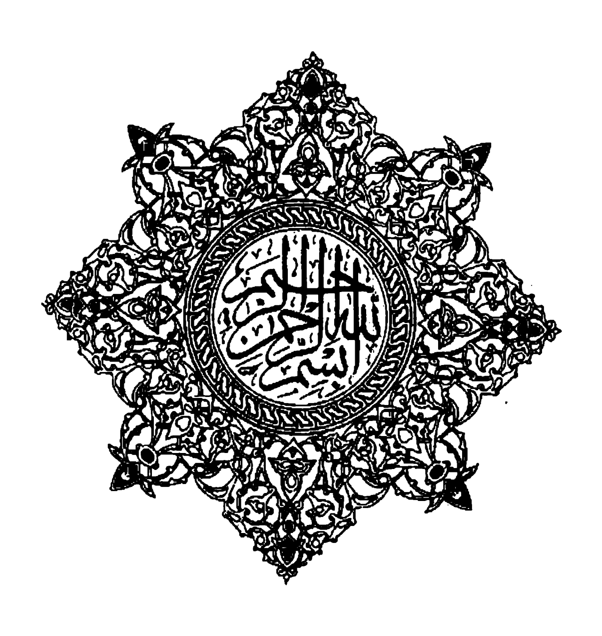
تأليف

نجاح الطائي



بسم اللّٰه الرَّحمٰن الرَّحيم

السيرة النبوية /ج ٥
المفكّر الإسلامي الدكتور نجاح الطائي
الطبعة ١ / ١٤٢٦ هـ ق ، ١/١ ١٣٨٤ هـ ش
١ / ٢ / ٢٠٠٥ م ، الثالثة
الكمية: ١٠٠٠ عدد
دار الهدىٰ لإحياء التراث لندن ـ بيروت
بيروت ـ ساحة الحمراء ،البناية المركزية، قم ـ مجمع قدس ١٧.
BEIRUT_LONDON
WWW.ALTAEI.COM


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد أحبت جموع البشرية وما تزال الكتابات الواقعية والحقيقية والقريبة من ذلك، ونفرت من الكتابات المزيفة والأقلام المأجورة، التي لا تؤمن بما تكتب ولا ينسجم حديثها وادبها مع الحق. وكل من تدبّر في القضايا وسبر غورها وصل إلىٰ حقائقها فالأحداث بيّنة حتىٰ عبر اقلام من استؤجر لكتابتها. وهذه من حكم الله تعالىٰ في خلقه. لقد طرحت بعض المحاضرات الثقافية في جامعتي طوكيو وبكين في سنتي ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨م، وكانت الطلبات كثيرة لكتابة سيرة نبوية وسيرة لخلفاء النبي ﷺ ودولة بني أميّة بقلم نزيه يطلب الواقع ويفتش عن الحقيقة ويسبر غورها بلا خوف ولا وجل. فتكون صفحات علمية بعيدة عن تأثير السياسة واغراءات المال وارهاصات العصبية، لتستفيد منها الجامعات والمؤسسات العلمية وتركن إليها طلبة الحقيقة. ان المسلمين في هذين البلدين يعيشون اجواءً ملبدة بالغيوم من جراء معايشتهم للطوائف غير الإسلامية فتراهم مشتاقين لشروق شمس الإسلام في بلدانهم وبزوغ رايات التوحيد في اريافهم. وهم كصبيان الوادي الذين أشرقت عليهم شمس الشرق الدافئة فارتسمت علىٰ وجوههم ابتسامة عطرة معبّرة عن سرورهم برؤية الشمس من جديد. ثم تكررت عليَّ تلك الطلبات في دولة بريطانيا من قبل أصحاب

الشهادات العالية في مدن مختلفة هناك لكتابة سيرة بعيدة عن تدخل الحكومات وهوى العصبية. إنّ اول علاقة رسمية بين دولة اليابان والدول الإسلامية تمثّلت في العلاقة بين اليابان والدولة العثمانية، وشرعت بدايتها بهدية عظيمة وجليلة من امبراطور اليابان للمسلمين. ولم تكن هديته مجموعة من الجوهرات النفيسة ولم تكن أصنافاً من التحف النادرة ولا طائفة من الجواري الجميلة بل كانت عبارة عن قطعة ارض مهيئة لبناء مسجد في العاصمة طوكيو، وبعد تحطم الدولة العثمانية ورفع الدولة التركية لراية الالحاد تُركت تلك الارض.

ثم رفضت الحكومة اليابانية طلبات الحكومة التركية في السيطرة على ذلك المسجد لتحويله إلى قاعة رقص لسلكها الدبلوماسي أو حانة خمر لهم!

لقد كتبت كتاب السقيفة واعقبته بهذا الكتاب، على أمل الموفقية مستقبلاً في كتابة سيرة نبوية تتناسب وروح عصرنا الحاضر وتتماشى مع أصالة سيرة خاتم الانبياء ﷺ. واعتادت الجامعات العلمية في العالم في عصرنا الحاضر على ابراز صور علمية تتطابق مع الحقيقة وتتناسب مع الواقع. لكن السياسة كانت وما زالت تحارب الحقيقة وتطمسها، وتزيّف الواقع وتحيد عنه، وتسعى من ناحيتها لايجاد البديل وما فعل رجال السياسة في عالمنا إلّا كذب ودجل.

وكم من صور رثّة مجّدتها أبواق السياسة وعظّمتها وخلّدتها، وكم من نماذج خفت نورها بتركها واهمالها وطمس معالمها، ثم أشرقت شمس الحقيقة على الأحداث والوقائع فتبيّن الحقّ من الباطل.

لقد عاشت البداوة مع الواقع ونطقت وتدرعت به لانه الصدق، ذلك السلاح القاهر على مرّ الأجيال وتعاقب الدهور، وكلما ابتعد الانسان عن ساحة الحياة الحرّة وتقيّد بأهواء الدنيا وسجن نفسه في رغباتها كلما ابتعد عن الصدق وتنحى عن الواقع وتنازل عن العفة.

فكم من بدوي حر سجن نفسه في شباك الدنيا ورغباتها ، وكم من رغبات نفسية طائشة تسبَّبت في فناء اصحابها . وما الإسلام الا مشروع منهجه الصدق والعفة والقناعة والاخلاص ، والحرية والتضحية في سبيل مصالح المجتمع ، والمساواة بين الحاكم والمحكوم . لقد سعى فلاسفة اليونان لخدمة شعوبهم كل على ضوء قناعاته الخاصة ، ونظرته الى الدنيا فعاش سقراط حراً وساعياً في طريق الحرية ، ولما سأله ملك زمانه عن سبب عدم قيامه وعدم احترامه له ؟

قال سقراط : انا غير مستعد للقيام لعبد عبدي ، ولما ازداد تعجب الملك ودهشته قال سقراط بانك عبد الدنيا ، والدنيا عبدة لي .

فأراد الملك ابراز احترامه لسقراط بهدية من هدايا الدنيا ، فرفضها لانه طلَّقها ، ونجا من استعبادها ، بل انه سعى لتسخيرها .

أما ارسطو طاليس فقد ركب مطيَّة السلطان فسخَّر علمه لمصلحته وفنونه في اهدافه . فكم من فتنة دامية اوجدها ارسطو وكم من مؤامرة ضدَّ مصالح الشعوب وطموحاتها اخترعها . فالعلم سلاح ذو حدين صالح وطالح .

لقد اوجد بعض علماء البلاط الكثير من البلايا على الامم والشعوب ما زالوا يرزحون تحت وطأتها . فالعلماء اقدر على الفتك والتدمير من الجهلاء ، وإذا كان الجاهل يرضى بالقليل فذاك لا يرضىٰ بالكثير . وسؤالنا هو كم من شخص استعبدته الدنيا فركع وذل لها ، فجمع من حطامها وكنز من أموالها ، بل صار مطيَّة لحمل غيره اليها . فتراه لاهثاً في مسعاه ، جاهداً لمبغاه . لقد سعى اللاهثون خلف الدنيا في اهدافهم متسببين في تحريف تراث الامم وتشويه صوره الخالدة وبطولاته المجيدة . والناس في الدنيا يهمهم كثيراً معرفة الحقّ بغض النظر عن الأمور الأخرىٰ ، ومعرفة الواقع شيٌ مهم . وافدح ظلم بحقّ البشرية طمس الحقيقة واخفائها عنه . ذكر الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات :

«لما قرأ سليمان بن عبد الملك سيرة النبي ﷺ ومغازيه التي كتبها ابان بن عثمان قال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم (الانصار) هذا الفضل، فأمّا أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا. فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، إنّ القول بالحقّ: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. فسأل اباه عبد الملك بن مروان في نسخها فقال: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تعرّف أهل الشام اموراً لا نريد أن يعرفوها».

وقال قبيصة بن ذؤيب لسليمان بن عبد الملك: اول من أحدث ذلك (بغض الانصار) معاوية بن أبي سفيان ثم احدثه ابو عبد الملك، ثم احدثه ابوك. فقال: علامَ ذلك؟ فقال: لانهم قتلوا قوماً من قومهم.

ان أبان بن عثمان بن عفان كان ساعياً لابراز صورة الحقيقة والواقع ولكن عبد الملك رفض ذلك المنحى! فكم من الناس (سابقاً ولاحقاً) يا ترى يسيرون صوب تلك الأهداف الجاهلية القائمة على طمس حقائق البشرية في هذه الدنيا وهل هناك حكومة في التاريخ وافقت على نشر صفحات السيرة النبوية دون تزوير؟ لقد تسبّبت العصبية المقيتة في طمس حقائق ترتاح لها النفس البشرية، وتستأنس بها اذهان الأحياء وارواح الموتى. والحقيقة محبوبة كيفما كانت.

فنجح منطق عبد الملك لانه منطق الحاكم وفشل منطق ابان بن عثمان بن عفان لانه منطق المحكوم. وايَّد سليمان بن عبد الملك أبان يوم كان محكوماً ثم أيّد منطق أباه يوم أصبح حاكماً! وبسبب ذلك فقد كُتبت لنا سيرة محكومة، مقيّدة يديها بالسلاسل، مزيفة في كثير من موضوعاتها تحت ضغط السوط والمال.

فقد ذكر ابن زرعة[1] بان هشام بن عبد الملك المعروف بالبخل قضى عن ابن شهاب الزهري سبعة آلاف دينار لمعرفته بمساعي الزهري لكتابة السيرة!

---

(١) تاريخ ابن زرعة ص١٨٧.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ﴾[١]. وقال تعالىٰ: ﴿وإنَّ فَرِيقاً مِنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ﴾[٢].

لقد حاولت جهدي لكتابة سيرة للخلفاء تمثل واقعاً يعيشونه هم لا واقعاً نعيشه نحن. فظهرت في هذه السيرة حقائق تتناسب مع الوضع الذي كانوا يعيشونه. وبسبب أهميّة موضوع الولاة في شرح روح ذلك العصر وافراده فقد اوليناه أهميّة خاصة. واولينا عناية لعلاقة الخليفتين أبي بكر وعمر برسول الله ﷺ وأهل بيته والأنصار وقريش وغيرهم. ولابتعاد كتب السيرة تقريباً عن ذكر واقع العلاقة بين الخليفتين وواقع العلاقة بين بعض اصحاب رسول الله ﷺ فقد ذكرنا ما قدرنا عليه. ومجموع تلك الحقائق يشرح لنا أسباب ونتائج الكثير من الأحداث الغابرة. لقد دعمنا نصوصنا بالمصادر المهمّة والكثيرة قدر الامكان لتسهيل الحصول علىٰ يقين، وتمكين النفوس من الحصول علىٰ قناعة في هذا المجال.

وكانت رغبتنا تتمثّل في الحصول علىٰ أكبر قدر ممكن من الكتب المهمة عند العامة، وتفضيل القديمة منها على الكتب الجديدة.

والذي لم يفهم طبيعة المجتمع القرشي قبل الإسلام يصعب عليه معرفة الأحداث الحاصلة في زمن رسول الله ﷺ والخلفاء وفي زمن بني أميّة، إذ كانت قريش هي الحاكمة في معظم هذه الفترة فلفتنا الانظار الىٰ جوانب منها.

وكانت لأسفار القرشيين الى دولتي الروم والفرس وعلاقتهم مع الحبشة واليمن الأثر القوي في حصول ابنائها علىٰ تجاربهم السياسية والتجارية وفنونهم العسكرية. ومكانة مكّة بين مدن جزيرة العرب ومنزلتها الدينية كمدينة مقدّسة انتخبها ربُّ العالمين وسكنها ابراهيم الخليل الأثر البين في اعتداد سكنتها بانفسهم

---

(١) البقرة: ٤٢.

(٢) البقرة: ١٤٦.

واحترام الآخرين لهم. وهذه من جملة الأُمور التي دفعت قريش بعد فتح مكّة للسيطرة على الخلافة الإسلامية وتنحية الآخرين عنها بشتى الوسائل.

وبسبب عناية قبائل العرب بالزعامة لكونها مصدر المال والمجد والشهرة فقد كثرت عمليات الأحتكاك بين افرادها واتخذت تلك العمليات طابع الصراع الحربي. ولأجل هذا وذاك فقد برع العرب في هذا الجانب، وكان الجهاد الإسلامي لفتح البلدان ونشر الإسلام عاملاً مهمّاً في بروز حالة من الفروسية نادرة، وطبيعة في المجابهة قاهرة تدعمها معنويات عالية تمكّن بها المسلمون من قهر اعظم امبراطوريتين في ذلك الزمان وهما الامبراطورية الرومية والامبراطورية الفارسية. ولضعف اليهود التاريخي في جبهات القتال فقد اهتموا اهتماماً بالغاً بسلاح الغدر والاغتيال، فراجت بينهم عملية صناعة السموم واهتموا باطروحات التآمر والفتن. فكانوا وما زالوا يستخدمون هذه الوسائل في الوصول الىٰ أهدافهم. وقد اعتمدت قريش الجاهلية على اليهود في كثير من عملياتهم التآمرية واستمر هذا التعاون بعد البعثة النبوية. وتعاون اليهود مع الكفار عادة قديمة ضدّ انبياء الله تعالىٰ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ومحمد المصطفىٰ ﷺ. وما زال اليهود يستخدمون ذات الوسائل والطرق في عصرنا الحاضر، فأشد اليهود تديناً أشدهم تمسكاً بوسائل الهدم والتخريب ومحاربة الإسلام والبشرية! وما ترسانة الأسلحة العظيمة التي تملكها اسرائيل اليوم الا وسيلة لمحاربة خلق الله تعالىٰ، إذ هي قادرة علىٰ تحطيم أكثر من ٢٠٠ مدينة كبيرة، في العالم. وهم الذين يديرون مؤسسات الفساد في السينما ودور القمار واوكار الرذيلة، وكل ذلك تحت ستار الدين!

نجاح الطائي

الوضع الاجتماعي

للخليفتين

نسب أبي بكر وكنيته

وهو عبد الله بن عثمان، وكان اسم أبي بكر في الجاهلية عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله[1] وامه سلمى بنت صخر من بني تيم.

وقد سمي عتيق لرقّة بشرته، إذ جاء في كتاب الطبري في وصف أبي بكر: «وأمّا علي بن محمد فانه قال في حديثه الذي ذكرت اسناده قبل: إنه كان ابيض يخالطه صفره، حسن القامة، نحيفاً أحنى رقيقاً عتيقاً، أقنى، معروق الوجه، غائر العينين»[2]. وجاء في اقرب الموارد: رقّت بشرته بعد الجفاء والغلظ فهو عتيق[3].

ولا يوجد دليل بأنّ النبي ﷺ قد سمّاه عتيقاً، ولكن عائشة قالت: إنّ النبي ﷺ قال: هذا عتيق الله من النار![4]

وكان أبوه يناديه بعتيق: يا عتيق هؤلاء القوم فأحسن صحبتهم[5].

وقال جبير بن مطعم بن عدي لعبده وحشي: إن أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي طعيمة بن عدي، فانت عتيق[6]، وسمي من أُعتق من العرب عتيق، واسم

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ١٦٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦١٥/٢.

(٣) أقرب الموارد ٧٤١/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٦١٥/٢.

(٥) طبقات ابن سعد ١٨٧/٣.

(٦) السيرة الحلبية ٢١٧/٢.

أبي بكر في الجاهلية عتيق. وقد قال الشاعر:

وما بنو تيم إلّا أعبد واماء[١]

وكان أبو سفيان قد قال عن خلافة أبي بكر: ما بال هذا الأمر في أقل قريش مكانة، واذلها ذلة[٢]. وليس في هذا شك من ان العرب تستخدم كلمة عتيق لمن تحرّر من العبودية ولقد وسم الحجاج في يد أنس بن مالك عبارة: عتيق الحجاج[٣] لظنه بموالاته لعبد الرحمن بن الأشعث.

اسلام علي عليه السلام وأبي بكر

لقد حاول الأمويون وأمثالهم تقديم الصحابة على علي عليه السلام لسلب كراماته ومناقبه، فاوجدوا الكثير من الأحاديث المزيفة.

قال علي بن أبي طالب للعباس بن عبد المطلب وشيبة بن عثمان محتجّاً عليهما: أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمّة وهاجر فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٤].

وقال علي عليه السلام: لقد صلّيت إلى القبلة ستّة اشهر قبل الناس، وانا صاحب الجهاد[٥]، وذكر تلك المفاخرة أيضاً أبو البركات النسفي في تفسيره والمالكي[٦]. وعن جابر، كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليٌّ بن أبي طالب فقال رسول

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٣١.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه الذهبي، تاريخ الخلفاء، السيوطي ٦٦.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٥/٧٤.

(٤) التوبة: ١٩، وقد أخرج هذه المفاخرة القرطبي في تفسيره ٥٩/٨ عن السُّدي. والرازي في تفسيره ١١/١٦، والواحدي في أسباب النزول ١٦٤.

(٥) تفسير الخازن ٢١١/٢.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٣٠٥/١٢، وفي ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ٩١٧، والحافظ السيوطي في

الله: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده. ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال: إنّه أولكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله[١]. وقال النبي ﷺ: إنّه لأول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً واعظمهم حلماً[٢]. وقال النبي ﷺ أوّلكم وارداً ـ وروداً ـ عليَّ الحوض أولكم إسلاماً، علي ابن أبي طالب[٣]. وقال رسول الله ﷺ بعد أن أخذ بيد عليٍّ: «إنَّ هذا أول من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأُمّة يفرّق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين[٤].

وقال علي عليه السلام: بُعث رسول الله ﷺ يوم الأثنين واسلمت يوم الثلاثاء[٥].

وقال علي عليه السلام: «كنّا أهل البيت أوّل من آمن به، وصدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرّمة ـ أي كاملة ـ وما يعبد اللهَ في ربع ساكن من العرب غيرنا»[٦].

الدر المنثور ١٤٦/٤، الفصول المهمّة، ابن الصباغ المالكي ١١٢.

(١) المناقب، الخوارزمي ١١١ ح ١٢٠، ٢٦٥ ح ٢٤٧.

(٢) كنز العمال ١٥٣/٦، مسند أحمد ٢٦/٥، الاستيعاب ٣٦/٣، مجمع الزوائد ١٠١/٩، ١١٤، الرياض النضرة ١٩٤/٢.

(٣) الحاكم، المستدرك ١٤٧/٣ ح ٤٦٦٢، تاريخ الخطيب البغدادي ٨١/٢، الاستيعاب، ابن عبد ربه ٤٥٧/٢، شرح ابن أبي الحديد ٢٥٨/٣، السيرة الحلبية ٢٨٥/١.

(٤) أخرجه الطبراني عن سلمان وأبي ذر والبيهقي والمدني عن حذيفة، والهيثمي في المجمع ١٠٢/٩ والحافظ الكنجي في الكفاية ٧٩ وفي آخره: وهو بأبي الذي أوتي منه وهو خليفتي من بعدي.

(٥) مجمع الزوائد ١٠٢/٩، أخبار الدول ٣٠٥/١، الصواعق المحرقة ١٢٠، تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٥٦، اسعاف الراغبين ١٤٨، المستدرك ١٢١/٣، سنن الترمذي ٥٩٨/٥، الاستيعاب، القسم الثالث ١٠٩٥، جامع الأصول ٤٦٧/٩، شرح نهج البلاغة ٢٢٩/١٣، تذكرة الخواص ١٠٨، السراج المنير ٤٥٨/٢.

(٦) كتاب صفين، ابن مزاحم ٨٩.

وقال أبو جعفر الأسكافي المعتزلي: أمّا ما احتج به الجاحظ لإمامة أبي بكر بكونه أوّل الناس إسلاماً، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك، لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم. على أنّ جمهور المحدّثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلّا بعد عدّة من الرجال منهم علي بن أبي طالب وجعفر أخوه وزيد بن حارثة وأبو ذر الغفاري وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص وخبّاب بن الأرت، وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة، وجدناها كلّها ناطقة بأنَّ علياً عليه السلام أوّل من أسلم[١]. وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أعلن عن دعوته بعد ثلاث سنين من السرية، وقد فرضت الصلاة المكتوبة بعد سبع سنين من نزول القرآن الكريم[٢].

وقال ابن عباس: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بمكّة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت، وثماني سنين يوحى إليه»[٣]، وأمير المؤمنين كان معه من أوّل يومه، يرىٰ ما يراه صلى الله عليه وآله ويسمع ما يسمع، إلّا أنّه ليس بنبيٍّ.

ولقد نزلت آية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ بعد ثلاث سنين من مبعثه الشريف.

وجاء في تاريخ الطبري عن إسلام أبي بكر: أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٣/٢٢٤ خطبة ٢٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢١٦، ٢١٨، سيرة ابن هشام ١/٢٧٤، طبقات ابن سعد ٢٠٠، مناقب الفقيه ابن المغازلي، أسد الغابة ٤/١٨، مناقب الخوارزمي، فرائد السمطين ٤٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٢٠٩ طبع مصر.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣١٦.

وقال الإمام علي عليه السلام آمنت قبل الناس بسبع سنين... وعبدت الله قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الأُمّة تسع سنين[١] ثمّ فرضت الصلاة في ليلة الإسراء (وفق قول ابن شهاب الزهري) قبل الهجرة بثلاث سنين وهو مجموع سني بقاء النبي صلى الله عليه وآله في مكّة بعد بعثته الشريفة ، فالظاهر ان الصلاة المكتوبة قد فرضت بعد تسع سنين لا سبع سنين من نزول القرآن الكريم.

وجاء بأن إسلام عمر بن الخطاب كان في السنة السادسة من البعثة بعد ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة، وقال ابن المسيب بعد أربعين وعشرة نسوة وقال عبد الله بن ثعلبة : بعد خمس واربعين واحدىٰ عشرة امرأة[٢].

وقال ابن كثير والمسعودي بأن إسلام عمر بن الخطاب كان في السنة التاسعة من البعثة[٣].

المؤاخاة ناسبت بين الصحابي ومنزلته

آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين من مهاجرين وانصار آخذاً بعين الإعتبار منزلتهم الدينية والاجتماعية فقال محمد بن اسحاق: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له نظير من العباد،

---

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، النسائي ٣٩/١٣ ح ١ ـ ٧

(٢) تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣، وتاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي ١٠، والأوائل، العسكري ٢٢١/١، والثقات لابن حبان ٧٢ ـ ٧٥، وسيرة ابن هشام ٣٦٦/١ ـ ٣٧٤، وطبقات ابن سعد ١٩١/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٣١/٣، ٧٢ ـ ٨٠.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣٩/٢، والبداية والنهاية ٨٢/٣، ومروج الذهب ٣٢١/٢ طبع دار الأندلس ـ بيروت.

وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي أخوين. وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصاري[١].
وآخى بين الزبير بن العوام القرشي وطلحة بن عبيد الله القرشي وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة[٢].

وبالرغم من تواتر حديث المؤاخاة وصحته فقد كذّبه ابن تيمية وابن حزم المبغضان لعلي بن أبي طالب عليه السلام، بحجة ان علياً ليس من الأنصار والمؤاخاة كانت بين المهاجرين والأنصار. وجوابنا أن الأحاديث المذكورة صحيحة السند وقد آخى النبي ﷺ بين الزبير وطلحة، وقبل الهجرة أيضاً آخى النبي ﷺ بين المهاجرين كي تقوى كلمتهم فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن ابن عوف وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة، وبين علي عليه السلام ونفسه ﷺ، وقال ﷺ: أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت، قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة[٣].

وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أنت منّي وأنا منك[٤] وقال ﷺ: يا علي انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم[٥].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٧٧/٣، تاريخ أبي الفداء ١٨٧/١، سيرة ابن هشام ١٥٠/٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ١٠٢/٣.

(٣) السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان ١٥٥/١، السيرة الحلبية ٢٠/٢، تاريخ الخميس ٣٥٣/١، مستدرك الحاكم ١٤/٣، فتح الباري ٢١١/٧.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٦٧/٤.

(٥) السيرة الحلبية ٣٧/٢.

اغلاق ابواب المسجد باستثناء بابين

جاء في الإصابة: لمّا أمر الرسول ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد شقّ عليهم. قال حبة: إني لأنظر إلىٰ حمزة بن عبد المطلب، وهو يجر قطيفة حمراء، وعيناه تذرفان يقول: أخرجت عمّك، وأبا بكر وعمر والعباس واسكنت ابن عمّك[١]... وعن أبي الطفيل في حديث مناشدة علي للمجتمعين يوم الشورىٰ قال ﷺ: سد النبي أبواب المهاجرين وفتح بابي، حتىٰ قام إليه حمزة والعباس فقالا: يا رسول الله سددت أبوابنا وفتحت باب علي؟ فقال النبي ﷺ: ما أنا فتحت[٢]...

وجاء في رواية بأنّ حمزة ورقية كانا علىٰ قيد الحياة عند سد الأبواب وان أبا بكر وعمر قد سدًّا بابهما، ثمّ أرسل إلىٰ عثمان (وعنده رقية) فقال: سمعاً وطاعة وسد بابه. فقال النبي ﷺ لعلي ﷺ: اسكن طاهراً مطهّراً. فبلغ حمزة قول النبي ﷺ لعلي، فقال: يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب؟ فقال له نبي الله: لا، لو كان الأمر لي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلّا الله، وإنك لعلىٰ خير من الله ورسوله، أبشر فبشّره النبي ﷺ فقُتِل يوم احد شهيداً[٣].

وعن الإمام علي بن أبي طالب: لمّا أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد خرج حمزة يجرّ قطيفة حمراء، تذرفان يبكي، فقال ﷺ: ما أنا أخرجتك، وما أنا اسكنته، ولكنّ الله اسكنه[٤].

---

(١) الاصابة ٣٧٣/١. الدر المنثور ١٢٢/٦.

(٢) مناقب الخوارزمي الحنفي ٢٢٥.

(٣) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ٢٥٤، ٢٥٥. كشف الغمة ٣٣١/١ـ٣٣٢.

(٤) رواه السمهودي في وفاء الوفاء ٤٧٧/٢. الغدير ٢٠٨/٣ عن أبي نعيم في فضائل الصحابة، اللآلي

فالظاهر ان سد الأبواب قد حدث قبل السنة الثالثة للهجرة التي قُتِل فيها حمزة، وهناك روايات جاء فيها اسم العباس إلىٰ جنب اسم حمزة، بينا سكن العباس في المدينة بعد فتح مكّة. مما يدل علىٰ خطأ الراوي أو الناسخ في ذكر اسم العباس إلىٰ جنب اسم حمزة.

ومن المؤكّد إغلاق النبي ﷺ لأبواب أصحابه المشرعة على المسجد في وقت مبكر بعد هجرته إلى المدينة لحرمة دخول الجنب إلى المسجد المطهر واستثناء علي ابن أبي طالب ؑ ونفسه ﷺ من ذلك.

واستثناء محمد ﷺ لعلي وفاطمة ؑ من سد الأبواب يؤكد الآية القرآنية في طهارة أهل البيت ؑ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]، وهذا يدعم ما ذكره النبي ﷺ لاحقاً: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وعلي منّي مثل هارون من موسىٰ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وقد ذكرت حادثة سد الأبواب بواسطة عشرات الصحابة منهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن أرقم والبراء ابن عازب، وجابر بن سمرة، وانس بن مالك وجابر بن عبد الله وابن مسعود وابو ذر الغفاري وام سلمة وفي أمّهات الكتب الإسلامية[2].

←

المصنوعة ١/٣٥٢، السيرة الحلبية ٣/٣٧٤، كنز العمال ١٥/١٥٥ـ١٥٦، مجمع الزوائد ٩/١١٥، مستدرك الحاكم ٣/١١٧، خصائص النسائي ٧٤، ٧٥.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) سنن الترمذي ٥/٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، مسند احمد ١/١٧٥، ٢/٢٦، ٤/٣٦٩، فتح الباري ٧/١٢ـ١٤، مستدرك الحاكم ٣/١١٧، ١٢٥، ١٣٤، كنز العمال ١٥/٩٦، ١٠١، ١٢٠، ١٥٥، ←

وجاء في مسند أحمد بن حنبل من عدّة طرق: فتكلم الناس فخطب رسول الله ﷺ فحمد الله واثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد فاني أُمِرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، وإنّما أُمرت بشئ فاتبعته[١].

وقال عمر بن الخطاب: لقد أُوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحب إليَّ من حمر النعم: زوَّجه رسول الله ابنته وولدت له، وسدَّ الأبواب إلّا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر[٢].

وبالرغم من كل هذه المصادر الإسلامية المهمة عبر عشرات الصحابة فقد كذَّب ابن تيمية الناصبي تلك الأحاديث[٣]. دون دليل علمي إتباعاً لطريقته في طرح وتكذيب الأحاديث التي لا تنسجم مع منهجه.

←

خصائص النسائي ٧٢ـ٧٥، إرشاد الساري ٨٤/٦ـ٨٥، وفاء الوفاء، السمهودي ٤٧٤/٢ـ٤٨٠. الصواعق المحرقة ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، حلية الأولياء ١٥٣/٤، اللآلي المصنوعة ٣٤٦/١ـ٣٥٤. أنساب الأشراف ١٠٦/٢، تاريخ بغداد ٢٠٥/٧، المناقب، الخوارزمي ٢١٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٢٥٢/١ـ٢٨١، ٣٢٧، علل الشرائع ٢٠١. ٢٠٢. ينابيع المودة ٢٨٣، لسان الميزان ١٦٥/٤، مناقب الامام علي لابن الغزالي ٢٥٢ـ٢٦١، الإصابة ٥٠٩/٢، تذكرة الخواص ٤١، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢٩/٥، سنن البيهقي ٦٥/٧، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط، الدر المنثور ٣١٤/٣، أخبار القضاة ١٤٩/٣، الخصائص الكبرىٰ ٢٤٣/٢، احكام القرآن للجصاص ٢٤٨/٢، السيرة الحلبية ٣٧٣/٣، ٣٧٤. ذخائر العقبىٰ ٧٦، ٧٧، ٨٧، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٩٥/٩، نزل الأبرار ٣٤، ٣٥.

(١) مسند أحمد ١٧٥/١، ٢٦/٢، ٣٦٩/٤.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر، الفصل ٣ الباب ٩، وروىٰ ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب، المستدرك، الحاكم ١٢٥/٣.

(٣) منهاج السنة ٩/٣.

ولو كذّب المبطلون الأحاديث الصحيحة باهوائهم لبطلت الأحاديث كلها!
وقد ردَّ العسقلاني قائلاً: وهذه الأحاديث (أحاديث سد الأبواب) يقوي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها.

وأضاف: فهذه الطرق المتظافرة من روايات الثقات تدل علىٰ ان الحديث صحيح دلالة قوية، وقال: فكيف يدعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم، ولو فتح هذا الباب لادعي في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون[1].

وقال الجويني حديث (سد الأبواب) رواه نحو من ثلاثين رجلاً[2].

وكتب معاوية بن أبي سفيان كتباً إلى الآفاق جاء فيها: لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وأتوني بمناقض له في فضائل الصحابة، فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ لعيني[3].

وتبعاً لأوامر معاوية في هذا المجال فقد روى المبطلون حديثاً مفاده «لا يبقين في المسجد باب إلّا سد، إلّا باب أبي بكر، أو لا يبقين في المسجد خوخة إلّا خوخة أبي بكر...» قال ذلك ﷺ في مرضه الذي مات فيه[4].

وقد روىٰ هذا الحديث الموضوع إسماعيل بن عبد الله أبي اويس بن عبد الله

(١) القول المسدد ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥، اللآلي المصنوعة ١/٣٥٠، فتح الباري ١٣/٧، ارشاد الساري ٨٥/٦، وفاء الوفاء ٤٧٦/٢.

(٢) فرائد السمطين ٢٠٨/١.

(٣) راجع الاستيعاب، ابن عبد البر ٦٥/١، الإصابة، ابن حجر ١٥٤/١، الكامل في التاريخ ١٦٣/٣، تاريخ ابن عساكر ٢٢٢/٣، وفاء الوفاء ٣١/١، النزاع والتخاصم ١٣، تهذيب التهذيب ٤٣٥/١، الأغاني ٤٤/١٥، شرح نهج البلاغة ١١٦/١.

(٤) سنن البخاري باب قول النبي ﷺ: سدّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر بهامش فتح الباري ١١/٧، ١٢، سنن مسلم ١٠٨/٧، والبداية والنهاية ٢٣٠/٥.

الأصبحي، أبو عبد الله المدني. فقال عنه ابن معين: لا يساوي فلسين، وقال هو وأبوه يسرقان الحديث، وقال الدولابي: في الضعفاء، وقال النضر بن سلمة: كذاب، وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة، إذا اختلفوا في شيئ.

ومن رواة الحديث فليح بن سليمان، أبو يحيى المدني، وفليح لقب غلب عليه، واسمه عبد الملك، قال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: يتَّقىٰ حديثه، وقال الطبري: ولاه المنصور على الصدقات لأنه اشار عليه بحبس بني حسن، لما طلب محمد بن عبد الله بن الحسن.

وضعَّفه أبو حاتم ومظفر بن مدرك والنسائي وأبو داود وأبو أحمد وعلي بن المديني. كما أن أبا بكر لم يكن عنده بيت جنب المسجد، وانه ليس من أهل البيت المطهرين عليهم السلام، ليثبت له ذلك. ولو كان أبو بكر مطهراً بالقرآن لسمح له الرسول صلى الله عليه وآله بفتح باب على المسجد مع علي عليه السلام، ولم يؤخره تسع سنين ا ولو فُتح باب أبي بكر لفتح باب عمر وعثمان وابن الجراح!

هل ترأَّس بعض على أبي بكر وعمر؟

ذكر ابن كثير: أرسل النبي صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص إلىٰ ذات السلاسل من مشارف الشام، ولما صار إلىٰ هناك خاف من كثرة عدوه، فبعث إلىٰ رسول الله يستمده، فندب رسول الله صلى الله عليه وآله المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله أبا عبيدة ابن الجراح، قال موسىٰ بن عقبة: فلما قدموا علىٰ عمرو، قال: أنا أميركم، وأنا أرسلت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله استمده بكم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنت مدد أمددته، فلما رأىٰ ذلك أبو

عبيدة قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا، وإنك ان عصيتني لاطيعنك. فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص[١]. فثبت عندنا في هذه النصوص تزعّم أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص على أبي بكر وعمر، بينما كان في مقدور رسول الله ﷺ تقديم أبي بكر وعمر على ابن الجراح وابن العاص، ممّا يثبت عدم تقدّم أبي بكر وعمر على باقي أفراد الأمّة كما إدّعىٰ رجال الحزبين القرشي والأموي لاحقاً.

وكان عمر بن الخطاب جندياً في سريّة الخَبَط تحت امارة أبي عبيدة بن الجراح[٢].

وكان أبو بكر وعمر جنديان في حملة اسامة بن زيد[٣].

ومن كان حاله هكذا الاحرىٰ به أن يكون تابعاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام فهو أفضل من ابن العاص وابن الجراح واسامة.

ولادة عمر بن الخطاب ونسبه

هو عمر بن الخطاب، بن نفيل، بن عبد العزىٰ، بن رياح، بن عبد الله، بن قرط، بن رزاح، بن عدي، بن كعب[٤].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٣١١/٤، طبقات ابن سعد ١٣١/٢، سيرة ابن هشام ٢٧٢/٤، مغازي الواقدي ٧٦٩/٢، تاريخ الطبري ١٠٤/٣، عيون الأثر ٢٠٤/٢، الروض الانف ٣٥٩/٢، السيرة الحلبية ١٩٠/٣، شرح المواهب ٢٧٨/٣، دلائل النبوة، البيهقي ٣٩٨/٤-٣٩٩.

(٢) مغازي الواقدي ٧٧٥/٢.

(٣) المغازي، الواقدي ١١١٨/٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٢/٦، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل للمتقي الهندي ١٨٠/٤، الطبقات، ابن سعد ٦٦/٤، السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية، أحمد زيني دحلان ٣٣٩/٢.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة ٦٥٤/٢، ط. جدة.

وقال الطبراني عن ابن اسحاق أنّه قال: عمر بن الخطاب، بن نفيل، بن عبد العزىٰ، بن رياح، بن قرط، بن رزاح، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، ابن مالك[١] وأُمّه حنتمة، بنت هاشم، بن المغيرة، بن عبد الله، بن عمر بن مخزوم[٢].

وقال ابو عمر: ومن قال ذلك - يعني بنت هشام - فقد اخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أُخت أبي جهل، والحارث إبنَي هشام، وليس كذلك، وإنّما هي إبنة عمّها، لان هشاماً وهاشماً إبنَي المغيرة أُخوان[٣].

وقالوا: أنّها بنت هشام؛ لأنّه تبنّاها مثلما ربّى النبيُّ ﷺ زيد بن حارثة، اي أنّها بنت هشام بالتبنّي. وكانت ولادته بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

وهو أصغر سنّاً من أبي بكر بأحد عشر عاماً، وأصغر سنّاً من عثمان بسبع سنين، وأصغر سنّاً من النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة.

وممّن ذكر قضيّة نسب عمر محمد بن السائب الكلبي، وابو مخنف لوط بن يحيىٰ، وإبن سيابة عبد الله.

وكذلك ذكرها عمرو بن العاص بشكل عنيف ممّا دعا الخليفة عمر الىٰ مهاجمته بالمثل، بالرغم من أنّ ابن العاص كان والياً لعمر علىٰ مصر، ويمكنه أن يقيله من منصبه، ولو كان غير عمر لأقاله بلا تردّد.

وممّن هاجم عمر في نسبه وضعة بيته سعد بن عبادة (رئيس الخزرج) وأبو سفيان وأُخت خالد بن الوليد.

---

(١) المعجم الكبير ٦٤/١. تاريخ الخلفاء، ١٠٨.

(٢) صفوة الصفوة ٢٦٨/١.

(٣) اسد الغابة لابن الاثير ١٤٥/٤.

رأي إبن الكلبي وأبي مخنف والصحابة

روىٰ محمد بن السائب الكلبي النسّابة في كتابه مثالب العرب[١]، وابو مخنف لوط بن يحيى الازدي النسّابة، في كتابه الصلابة في معرفة الصحابة، وصاحب كتاب التنقيح في النسب الصريح، بإسنادهم الىٰ ابن سيابة عبد الله في نسب عمر بن الخطاب، قائلاً[٢]:

كان عمر بن الخطاب متولداً من نجيبين متضادّين، نفيل وهو من نجباء الحبشة، ثمّ قال ذاكراً نسبه اليهما: وامّا تفصيل نسبه وبيانه، فهو أنّ نفيل كان عبداً لكلب بن لؤي، بن غالب القرشي، فمات عنه، ثمّ وليه عبد المطلب، وكانت صهاك قد بُعِثَت لعبد المطلب من الحبشة، فكان نفيل يرعىٰ جمال عبد المطلب، وصهاك ترعىٰ غنمه. وكان يفرّق بينهما في المرعىٰ، فاتّفق يوماً اجتماعهما في مراح واحد فهواها وعشقها نفيل... وواقعها فحملت منه بالخطاب.

وذكر الكلبي التقاط هشام بن المغيرة بن وليد حنتمة، وربّاها فنسبت إليه، فلمّا كبرت، وكان الخطاب يتردّد علىٰ هشام، فرأىٰ حنتمة فأعجبته، فخطبها إلىٰ هشام فزوّجه إياها فولدت عمر.

وكلُّ من يلتقط ولداً ويربّيه يسمّىٰ ابنه بالتبنّي، مثل زيد بن حارثة الذي ربّاه النبي ﷺ. ولمّا أراد النبيُّ ﷺ ان يبيّن للعرب أنّه ليس ابنه، تزوّج زوجة زيد،

---

(١) محمد بن الكلبي، روى الترمذي عن محمد بن الكلبي في صحيحه. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، وابن حجر في تهذيب التهذيب. وقال عنه ابن عدي: هو معروف بالتفسير وليس لأحد أطول من تفسيره، وحدّث عنه ثقات الناس ورضوه في التفسير.

(٢) الكشكول. الشيخ يوسف البحراني ٢/٢١٢ـ٢١٣، دار مكتبة الهلال ـ بيروت.

وهي زينب بنت جحش.

فيكون هشام بن المغيرة أبا حنتمة بالتبني، لذا ذكر ابن الاثير في كتابه أُسد الغابة: حنتمة بنت هشام بن المغيرة[١].

عمرو بن العاص يذكر نسب عمر

وعندما حدثت المشادّة بين عمر وعمرو بن العاص (واليه على مصر) ذكر ابن العاص نسب عمر، فقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام:

قال عمر: كم سرت؟

فقال عمرو: عشرين.

فقال عمر: لقد سرت سير عاشق؟!

فقال عمرو: إنّي والله ما تأبطتني الإماء، ولا حملتني البغايا في غُبّرات المآلي.

فقال عمر: والله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه، وأنّ الدجاجة لتفحص في الرماد، فتضع لغير الفحل، وإنّما تنسب البيضة الى طرقها (فقام عمرو مرّبد الوجه)[٢]. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٢/٣.

لقد كانت المشادّة بين الاثنين حادّة جداً، ولكنّها أخذت طابع التعريض لا التصريح لأنّ الأمر يتعلّق بالشرف والنسب الحقّ للآباء والأمهات.

والملاحظ أنّ البادئ بالمشادّة هو داهية قريش عمرو بن العاص، اذ ضرب على وتر حسّاس جداً بذكره لجدّة عمر لأبيه (الزنجيّة صهاك) مفضّلاً أُمّه النابغة عليها وواصفاً إيّاها باقبح وصف.

---

(١) ١٤٥/٤. وقال ابن كثير: إن عمر ابن زنا مؤيداً ذلك بما جاء في كتاب الموفقيات للزبير بن بكار السيرة النبوية ـ ابن كثير ٥٣/١

قال ابن أبي الحديد: سألت النقيب أبا جعفر عن هذا الحديث في عمر، فقال: إنَّ عمرو بن العاص فَخَرَ على عمر لأنَّ أُمَّ الخطاب زنجيَّة، وتعرف بباطحلي تسمَّى: صهاك فقلت له: وأُمُّ عمرو النابغة أمة من سبايا العرب.

فقال: أمة عربية من عنزة سبيت في بعض الغارات، فليس يلحقها من النقص عندهم، ما يلحق الإماء الزنجيات[١].

وقال عمرو بن العاص واصفاً عمر أمام مسلمي المدينة في خلافة عثمان: ثمَّ ولي الأعسر الأحول ابن حنتمة[٢].

والعارف بالسيرة يدرك بان حنتمة لم تكن بنت هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي لأن الوليد بن المغيرة كان من طغاة قريش ورؤسائها وقد نزل فيه قرآن: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٣].

والرجل هو الوليد بن المغيرة أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي[٤].

ولو كانت حنتمة ابنته لما أنتقص ابن العاص عمر بن الخطاب بحنتمة! ولما انتقصته فاطمة اخت خالد بن الوليد بن المغيرة قائلة: والله ما أراد ابن حنتمة...[٥]

ولو كانت حنتمة بنت الوليد بن المغيرة لما أصبح عمر بن الخطاب أجيراً أو عبداً عند الوليد بن المغيرة يحمل له متاعه، كما ذكرنا في سفرة عمر مع الوليد الى الشام. ولو كان عمر ينتسب الى الوليد بن المغيرة المخزومي من امّه لما انتقصه أبو

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٣/٣، تهذيب اللغة ١٢٢/٨، تاج العروس. الزبيدي ١٨٨/١٣، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الاثير ٢٣٨/٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٧٤/٢.

(٣) تفسير الزمخشري. الزخرف: ٣١.

(٤) تفسير الزمخشري ٢٤٧/٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٩٥/٢.

سفيان مراراً .

ولما قال له الامام علي عليه السلام يا ابن صهاك الحبشية[١].

وذكر المسعودي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسمائهم واسماء أمهاتهم ستراً من الله عليهم ، إلّا هذا (علي) وشيعته فانهم يُدعَوْنَ بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم[٢].

ومن الذين سمّوا عمر بأسم أُمّه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذ قال : يا ابن صهاك الحبشية ، أبأسيافكم تهدّدونا ، وبجمعكم تكاثروننا . والله لولا كتاب من الله سبق ، وعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقدَّم ، لأريتكم أيّنا أقلّ عدداً وأضعف ناصراً[٣].

ولمّا اشتدّ الصراع في السقيفة بين عمر وأتباعه من جهة والانصار من جهة أُخرى ، قال سعد بن عبادة لعمر بن الخطاب : أما والله لو أنَّ لي ما أقدر به على النهوض ، لسمعتم منّي في اقطارها زئيراً ، يخرجك أنت وأصحابك . ولألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع ، خاملاً غير عزيز[٤].

وبعد هذه المحاورة ، إشتدّت الخصومة بين عمر وسعد بن عبادة ، ولمّا التقى عمر به يوماً في خلافته ، قال له : ايه سعد ، فقال سعد : ايه عمر ، فقال سعد : ما جاورني أحد أسوأ جواراً منك ، فقال عمر : من ساءه جوار شخص إنتقل عنه .

ولمّا انتقل سعد بضغط من عمر الى الشام ، قتله هناك محمد بن مسلمة ، بأمر من عمر[٥] وذكر خالد بن الوليد المخزومي كلاماً في عمر فغضب عمر وكتب الى أبي عبيدة : إنْ كذّب خالد نفسه فيما كان قاله فله عمله ، وإلّا فانزع عمامته وشاطره

---

(١) الصوارم المهرقة ، نور الدين التستري ص٥٦ .

(٢) مروج الذهب ، المسعودي ٤٢٨/٢ .

(٣) كتاب الصوارم المهرقة نور الدين التستري ، ٥٦ .

(٤) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١٠/١ ، تاريخ الطبري ٤٥٩/٢ .

(٥) أنساب الاشراف ، البلاذري ٥٨٩/١

ماله. فشاور خالد أخته، فقالت فاطمة بنت الوليد وكانت عند الحارث بن هشام: واللهِ لا يحبك عمر أبداً، وما يريد إلّا أن تكذب نفسك ثم ينزعك، فقبّل رأسها وقال: صدقت واللهِ، فتمّ على أمره، وأبىٰ أن يكذب نفسه[١].

والظاهر أن كلام خالد في نسب عمر وحنتمة، لأنَّ حنتمة من بني مخزوم بالتبني (قبيلة خالد). ثم عُزِل خالد وتبع العزل موت خالد المشكوك، وضرب عمر بدرته كل نساء بني مخزوم الحاضرات في مجلس النياحة علىٰ موت خالد[٢] ولكنّ المؤرخين صعب عليهم ذكر موضوع كلام خالد الجارح في عمر الذي تسبَّب في عزله ومقتله!

وقول أُخت خالد السابق في عمر، فيه الكثير من المعاني، لأنَّها من بني مخزوم، وحنتمة (أمّ عمر) من بني مخزوم بالتبنّي وقد اشار خالد إلىٰ حنتمة فسمّاها أم شملة[٣].

ومن الذين تعرضوا لنسب عمر هو النبي محمد ﷺ إذ قال: اين الساب لأهل بيتي، ليقم إليَّ وينتسب إلىٰ أبيه[٤].

وقد يكون إنتقاص بعض الناس لعمر، وذكرهم لحنتمة هو الذي جعل عمر لاحقاً غير مرتاح للنساء فقد دفن إبنته الصغيرة في الجاهلية (وأدها)، وضرب زوجاته وأدمىٰ أُخته لإسلامها، وضغط فاطمة ؑ بين الحائط والباب فوقع (محسن) صريعاً. ثم ضرب في خلافته أُمَّ فروة، بنت أبي قحافة بدرّته[٥]، وأخاف إمرأة مسلمة حاملاً، فأسقطت ما في بطنها، وضرب جارية للبسها

---

(١) تاريخ الطبري ٦٢٤/٢، تاريخ اليعقوبي ٩٥/٢.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي عبقرية عمر، العقاد ص ٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٢/٢.

(٤) تذكرة الفقهاء ٤٧٠/٢.

(٥) صححه السيوطي في كنز العمال ١١٩/٨، الإصابة ٦٠٦/٣، طبقات ابن سعد ٢٠٨/٣.

ملابس حرّة[١].

وقد انتقم عمر من خالد شر انتقام، إذ عزله عن الولاية وقيادة الجيوش في أول عمل اداري لعمر!! وقاسمه أمواله[٢]. وبعدها مات خالد فجأة!

ولم يتركه عمر بل هجم على مجلس عزائه. المقام في بيت خالته أم ميمونة الهلالية (زوج النبي ﷺ) فضرب النائحة بنفسه وفرّق جمع النساء الحاضرات!

وقال ابن الكلبي: وممّن كان يلعب به ويتنحل عفان أبو عثمان. فكان يضرب بالدفوف. وقال أيضاً: ومن كان يلعب به ويتخنث أبو طلحة[٣].

وقد قال نسّابة العرب عقيل بن أبي طالب في ولاة عمر ما يلي:

عمرو بن العاص هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزّار قريش. وقال عن أبي موسى الأشعري هذا ابن السرّاقة، وقال عن معاوية بأنه ابن حمامة، وحمامة ام أبي سفيان، وكانت بغيّاً في الجاهلية صاحبة راية. وقال عند ذلك معاوية لجلسائه: قد ساويتُكم وزدت عليكم فلا تغضبوا[٤].

وقال عقيل بن أبي طالب عن الوليد بن عقبة بأنّه يهودي من الأردن واسم أبيه ذكوان[٥].

وكان أبو سفيان فاسداً في الجاهلية والإسلام فلقد ارتكب المنكر مع بغايا كثيرات مثل النابغة (أُمّ عمرو بن العاص)[٦] وسميّة (ام زياد بن عبيد) وصعبة

---

(١) عقبرية عمر، العقاد ص١٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦٢٤/٢.

(٣) مثال العرب، ابن الكلبي.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٢٥/٢.

(٥) مروج الذهب، المسعودي ٣٣٦/٣.

(٦) مثال العرب، ابن الكلبي، باب تسمية ذوي الرايات، التذكرة، ابن الجوزي ١١٧، السيرة الحلبية ٤٧/١، العقد الفريد ١٦٤/١.

بنت الحضرمي (أمّ طلحة بن عبد الله)[١].

فقال الشاعر حسان بن ثابت لعمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت لنا فيك من بيّنات الدلائل[٢]

وقد قال الرسول ﷺ لعقبة بن أبي معيط يوم أمر بقتله: إنّما أنت يهودي من أهل صفورية[٣]. وقال علي بن أبي طالب عن طلحة: ابن الحضرمية، رواه السدي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾.

وقال ابن الكلبي بأن صعبة بنت الحضرمي من جملة البغايا وذوات الرايات، وكانت لها راية بمكة فوقع عليها أبو سفيان، وتزوجها عبيد الله بن عثمان ابن عمرو من تيم، فجاءت بطلحة بن عبيد الله لستة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة، فجعلا أمرهما الىٰ صعبة فالحقته بعبيد الله، وقالت: يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان بكرة[٤].

وقال المسعودي عن آخر لقاء بين سعد ومعاوية إن معاوية أجلس سعداً علىٰ سريره ثم بدأ بسبِّ علي ﷺ، فأجابه سعد بذكر فضائل علي ﷺ، ثمّ قال لمعاوية: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثمّ لمّا نهض ليقوم ضَرَط له معاوية، وقال له: اقعد حتىٰ تسمع جواب ما قلت، ما كُنْتَ عندي قط ألأم منك الان، فهلا نصرته، ولم قعدت عن بيعته؟ فإني لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: واللهِ إنّي لأحق بموضعك منك.

---

(١) مثالب العرب، ابن الكلبي.

(٢) كتاب الأنساب، شرح نهج البلاغة ٢/١٠٠.

(٣) المعارف، ابن قتيبة ٣١٩.

(٤) مثالب العرب، ابن الكلبي.

فقال معاوية يأبىٰ عليك ذلك بنو عذرة، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة[١]، وليس من بني زهرة! وأمه حمينة بنت أبي سفيان بن أميّة بن عبد شمس.

وكان لابن مسعود (خازن بيت المال في الكوفة) علىٰ سعدٍ مالٌ (اقترضه سعد من بيت المال) فقال له ابنُ مسعود: أدِّ المال الذي قِبَلَك.

فقال سعد: واللهِ إنّي لأراك لاق منّي شرّاً، هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل. فقال: أجل واللهِ إنّي لابن مسعود وانك لابن حمينة[٢].

وقال السيّد الحميري:

أو رهط سعد، وسعد كان قد علموا
عن مستقيم صراط الله صَدّاداً
قوم تَداعَوْا زنيماً ثم سادهُمُ
لولا خمول بني زهر لما سادا[٣]

وقد تكون هذه الحالة، هي التي دفعت عمر لمنع المتعة إذ قال: متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ أُحرّمهما وأُعاقب عليهما[٤] وهي التي دفعته لتحديد مهور النساء.

وقد اثبت البحث العلمي الحديث بان بعض الأخلاق يتوارثها الأبناء عن الآباء، ومن مصاديق ذلك مروان والحكم وعمرو والعاص ويزيد ومعاوية وأبو سفيان والوليد وعقبة.

---

(١) مروج الذهب، المسعودي ٣/١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٦١، مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٢٦٤.

(٣) مروج الذهب، المسعودي ٣/١٥.

(٤) تفسير الفخر الرازي ٤/٤٢.

ولمّا اراد علي بن أبي طالب عليه السلام الزواج بعد وفاة فاطمة عليها السلام قال لأخية عقيل (نسابة العرب): اريد امرأة ولدتها الفحول من العرب.

مَنْ سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله في أواخر عمره؟

أشدُّ يوم على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يـوم بدر وأحد بل يوم سبِّ أحد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد النبي؟

جاء في كتاب تذكرة الفقهاء:

قال (عمر) يوماً: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله شجرة نـبتت في كـبا، أي في مـزبلة. ويعني بذلك رذالة أهله، ويعني الشك في نسبه، فسمع رسـول الله ذلك، فـاشـتدَّ غيظه، ثمّ نادى صلى الله عليه وآله الصلاة جامعة.

فحضر المسلمون بأسرهم، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر، ثمَّ حمد الله وأثنى عليه، وقال: أيُّها الناس ليقم كل منكم ينتسب الى أبيه، حتّى أعرفَ نسبه.

فقام إليه شخص من الجماعة، وقال يا رسول الله أنا فلان بن فلان بن فلان.

فقال صلى الله عليه وآله: لست لفلان وإنَّما انت لفلان وإنْ نحلك فلان بـن فـلان، فـقعد خجلاً. ثمَّ لم يقم أحد، فأمرهم صلى الله عليه وآله بالقيام والانتساب مرَّة واثنتين فلم يقم أحد.

فقال صلى الله عليه وآله: أين السابُّ لأهل بيتي، ليقم اليَّ وينتسب إلى أبيه؟

فقام عمر وقال: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله أعف عنَّا، عفا الله عنك، إغفر لنا غفر الله لك، احلم عنَّا حلم الله عنك»[1].

إذن جاء استعطاف عمر للرسول صلى الله عليه وآله، إثر كلامه السيِّ مع صحبه عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد أخبر جبريلُ النبيَّ محمد صلى الله عليه وآله بكلام عمر الخطير.

---

(١) تذكرة الفقهاء ٢/٤٧٠.

وعن أنس ﷺ قال: سألوا النبي ﷺ حتىٰ احفوه بالمسألة . فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر ، فقال: لا تسألوني عن شيءٍ إلّا بيّنته لكم.

فجعلت أنظر يميناً وشمالاً ، فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان اذا لاحىٰ يدعى الىٰ غير أبيه ، فقال يا رسول الله من أبي ؟

فقال: أبوك حذافة.

ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربّاً ، وبالأسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، نعوذ بالله من سوء الفتن ، فقال النبي ﷺ: ما رأيت في الخير والشرّ كاليوم قط ! إنّه صوّرت لي الجنّة والنار حتىٰ رأيتها دون الحائط.

قال قتادة: يذكر هذا الحديث عند هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1].

وعن الزهري ، أخبرني أنس بن مالك ﷺ ، أنّ النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس ، فصلّى الظهر ، فلمّا سلّم خرج الى المنبر ، فذكر الساعة ، وذكر أنّ بين يديها أُموراً عظاماً ، ثمّ قال ﷺ: من أحبّ ان يسأل عن شيءٍ فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيءٍ إلّا اخبرتكم به ، ما دمت في مقامي هذا.

قال أنس فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله ﷺ ان يقول سلوني ، فقال أنس: فقام اليه رجل فقال: أين مدخلي قال ﷺ: النار ، فقام عبد الله بن حذافة ، فقال: من أبي يا رسول الله ؟ قال: أبوك حذافة . قال: ثمّ اكثر ان يقول سلوني سلوني.

فبرك عمر علىٰ ركبتيه فقال: رضينا بالله ربّاً ، وبالأسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ؟!! قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك[2].

---

(١) صحيح البخاري ٩٤/٨ـ٩٥. سورة المائدة، ١٠١.

(٢) صحيح البخاري ١٤٢/٨ـ١٤٣، صحيح مسلم ٩٢/٧ـ٩٣.

إن جلوس عمر علىٰ ركبتيه وطلبه العفو من النبي ﷺ يبيِّن فظاعة قوله في محمد ﷺ. ومّما يبيِّن فظاعة قوله ايضاً بكاء الناس، وغضب النبي ﷺ الشديد ؟ ! فيتوضح لنا بأنَّ الشاك في نسب النبي ﷺ هو عمر !

وعن انس بن مالك قال: بَلَغَ رسول الله ﷺ عن أصحابه شئ. فخطب فقال ﷺ: عرضت عليَّ الجنَّة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشرّ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

قال: فما أتىٰ علىٰ اصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منه. قال (أنس): غطّوا رؤوسهم ولهم خنين[1] قال: فقام عمر، فقال: رضينا بالله ربَّاً، وبالأسلام ديناً، وبمحمد نبياً !!

فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[2].

والغريب في هذا القول، الذي ذكره مسلم عن أنس، قوله: فما أتىٰ علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منه.

وعن أنس قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان فخطب الناس، فقال ﷺ: لا تسألوني عن شئ اليوم إلّا أخبرتكم به، ونحن نرىٰ أنَّ جبريل معه. قلت فذكر الحديث، الىٰ ان قال فقال عمر: يا رسول الله ﷺ: إنّا كنّا حديثي عهد بجاهلية، فلا تعدَّ علينا سوآتنا، فاعف عنّا، عفا الله عنك[3].

وعن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب ﷺ عن قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال (عمر): كان رجال من المهاجرين في أنسابهم شئ، فقالوا يوماً: والله لوددنا أنَّ الله أنزل قرآنا في نسبنا،

---

(١) الخنين: كأمير شدّد الخياشم (اقرب الموارد ٣/١٦٤).

(٢) صحيح مسلم ٧/٩٢ـ٩٣، سورة المائدة. ١٠١.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/١٨٨.

فأنزل الله ما قرأت[١].

وأخرج ابن جرير، وابن حاتم، عن السدي في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ قال: غضب رسول الله ﷺ يوماً من الأيام، فقام خطيباً، فقال: سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيءٍ إلّا أنبأتكم به فقام إليه رجل من قريش، من بني سهم، يقال له عبد الله بن حذافة، وكان يُطعن فيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال ﷺ: أبوك فلان، فدعاه لابيه، فقام إليه عمر، فقبّل رِجْلَه وقال: يا رسول الله، رضينا بالله ربّاً، وبك نبياً، وبالقرآن إماماً، فاعف عنّا، عفا الله عنك، فلم يزل به، حتّىٰ رضي، فيومئذٍ قال ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

فكان غضب رسول الله ﷺ علىٰ عمر شديداً، إلىٰ درجة اضطرَّ معها عمر الىٰ تقبيل رِجْله ﷺ، وطلب العفو منه، وإعلانه الشهادة من جديد!

وعن أبي هريرة، أنَّ عمر بن الخطاب قال: إنّا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك، والله أعلمُ مَنْ آباؤنا.

فسكن غضبه ونزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾.

لقد ذُكِرت قضيّة سبّ النبي ﷺ بواسطة عمر، في أُمّهات الكتب الاسلامية مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتب التفسير والسيرة. ولمّا كانت عملية سبِّ نبي البشرية من قبل عمر بن الخطاب فاحشة، ولا يتحمّلها المسلمون، فقد سعىٰ بعض محبّيه (من مبغضي أهل البيت ﷺ) الىٰ حذف هذه الروايات من كثير من الكتب، أو حذف بعضها، أو حذف إسم عمر. أو تحويرها!

ورأى البخاري ومسلم وآخرون، أنَّ هذه الروايات متواترة، ولا يمكن غضّ النظر عنها، خاصّة وأنَّ النبي ﷺ قد جمع المسلمين لأجلها. فبيّنوا وجود قضيّة خطيرة حصلت في المدينة، في أواخر حياة النبي ﷺ، تعرَّض فيها النبيُّ ﷺ

---

(١) الدر المنثور ٤/٣١٠.

الى سبّ وتهمة وافتراء، فجمع النبي ﷺ المسلمين وبان غضبه الشديد، بحيث إنّ انس بن مالك قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدّ منه! ولكنهم حذفوا أسم عمر وغيروا في الحادثة.

فبكى المسلمون لعظم المصيبة وغطّت الجماعة المذنبة رؤوسها وراح عمر يتذلّل للنبي ﷺ تذلّلاً عجيباً ونادراً يبيّن خطورة ما أقدم عليه والذي فعله وقاله عمر في الحادثة، كان كالآتي:

قال عمر: إنّ رسول الله ﷺ شجرة نبتت في كبا. ولما غضب النبي ﷺ عليه وطلب منه الانتساب لأبيه حدث ما يلي:

قال عمر: إنّا حديثو عهد بجاهلية، فاعف عنّا، عفا اللهُ عنك، لا تعدّ علينا سوآتنا[1].

وبرك عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً[2]. وقبّل عمر رِجْلَ النبي ﷺ وقال: إنّا حديثو عهد بجاهلية وشرك، واللهُ أعلم مَنْ آباؤنا[3].

وغطّت الجماعة المذنبة رؤوسها[4].

وقال عمر: اعف عنّا، عفا الله عنك، ولم يزل بالرسول ﷺ حتّى رضي[5].

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٨٨/٧، تفسير ابن كثير ١٧٥/٢.

(٢) صحيح البخاري ١٤٢/٨ـ١٤٣، صحيح مسلم ٩٢/٧ـ٩٣، تفسير الفخر الرازي ٤٤٤/٤، تفسير ابن كثير ١٧٥/٢.

(٣) أخرجه ابن جرير وابن حاتم عن السدي في قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء...»، تفسير ابن كثير ١٧٥/٢.

(٤) صحيح مسلم ٩٢/٧ـ٩٣.

(٥) أخرجه ابن جرير وابن حاتم عن السدي في قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء...».

قال البخاري: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك[١].

في هذه الحادثة اعتذر عمر بن الخطاب بشكل لم يعتذر قبله، واستمر في طلبه العفو الىٰ ان كسب مرضاة الرسول ﷺ. وإن الرسول ﷺ استمرَّ في غضبه وحدّته في خطبته الىٰ ان اعتذر عمر. وتبيّن الحادثة أنَّ المسلمين أخذوا بالبكاء لشدَّة تأثرهم بما اتَّهم به عمرُ النبيَّ ﷺ إذ قال انس بن مالك: فاذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي؟![٢]

وقد وقعت هذه الحادثة، قبل نزول آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

فخاف عمر من افصاح النبي ﷺ عن نسبه غير القرشي لأنّه شكك في نسب النبي ﷺ، فقال: إنَّا كنَّا حديثي عهد بجاهلية وشرك، فلا تعدَّ علينا سوآتنا فاعف عنَّا، عفا اللهُ عنك[٣].

والدليل علىٰ حصول تلك الحادثة قبل نزول هذه الآية، أنَّ النبي ﷺ قد طلب منهم السؤال عن آبائهم، ليجيبهم عن ذلك، ولما نزلت هذه الآية القرآنية امتنع عن السؤال وما فعله النبي ﷺ في تلك الحادثة كان كالآتي:

خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان[٤]. اشتدَّ غيظه ثمّ نادىٰ ﷺ الصلاة جامعة.

قال النبي ﷺ: أين السابُّ لأهل بيتي، ليقم إليَّ وينتسب إلىٰ أبيه. والناس يرون جبريل مع محمد ﷺ، وبكى المسلمون لعظم المصيبة وأكثر الناس البكاء،

---

(١) صحيح البخاري ٨/١٤٢ـ١٤٣، صحيح مسلم ٧/٩٢ـ٩٣.

(٢) صحيح البخاري ٨/٩٤ـ٩٥.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٨٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/١٧٥.

وغطّوا رؤوسهم، ولهم خنين، وما أتى علىٰ اصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منه.

ويتوقف المرء المسلم طويلاً أمام ما ذكره البخاري عن الحادثة بالرغم من حذفه قسماً مهمّاً منها إذ قال:

فأكثر الناس في البكاء وأكثر ان يقول ﷺ: سلوني[١]، فإذا كلُّ رجل رأسه في ثوبه يبكي[٢].

وقد حاول البعض تحريف القضيّة علىٰ أنّها نزلت إثر سؤال من النبي ﷺ عن الصوم كما ذكر ذلك مسلم في صحيحه قائلاً:

«رجل أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ. فلمّا رأى عمر ﷺ غضبه. قال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فجعل عمر يردّد هذا الكلام حتّىٰ سكن غضبه ﷺ[٣].

فالعاقل يتعجّب إن قرأ هذا النص، كيف يغضب النبي ﷺ غضباً شديداً من سؤال عن الصوم؟! فهل السؤال يستوجب غضباً شديداً من قبل النبي ﷺ والمعروف عنه الحلم، والصبر؟

ويتوقف القارئ لبكاء المسلمين، حين غطّوا رؤوسهم خجلاً من النبي ﷺ؛ كما ورد في النصوص الأخرىٰ. ويندهش القارئ من تذلّل عمر للرسول ﷺ وتقبيله قدمه، وطلبه العفو منه. وتنكشف الحقيقة بقول النبي ﷺ: أين السابُّ لأهل بيتي، ليقم إليَّ وينتسب إلىٰ أبيه[٤]. فقال أنس بن مالك: «فما أتى علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدّ منه»[٥].

---

(١) صحيح البخاري ١/١٣٦.

(٢) صحيح البخاري، ٨، ٩٤، تفسير ابن كثير ٢/١٧٥.

(٣) صحيح مسلم ٣/١٦٧.

(٤) تذكرة الفقهاء ٢/٤٧٠.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/١٨٨.

والمعروف عن النبي ﷺ أنّه ولد من أصلاب طاهرة، عُرفت بالعفّة والشرف، وفي بيوتات نزيهة، ووجيهه لم تُتَّهم في جاهلية ولا في اسلاَم.

وأخرج ابن سعد في طبقاته. عن عمر قوله: ما بقي فيَّ شيئ من أمر الجاهلية، إلّا أنّي لست أبالي الى أي الناس نكحت، وأيهم أنكحت[1].

وفي الحقيقة أنَّ الخليفة قد ورث الكثير من تراث الجاهلية، منه عدم احترامه النبي ﷺ، والجرأة عليه، وعلى ابنته، وتراثه ونسبه، والجرأة على النصوص الالهية.

وقد اعترف عمر وصرَّح بذلك في أحيان مختلفة مثل قوله: متعتان كانتا في عهد رسول الله وأنا أُحرِّمهما وأُعاقب عليهما. وقوله: حسبنا كتاب الله رداً على قول الرسول ﷺ كتاب الله وعترتي أهل بيتي[2].

وصرَّح الخليفة عمر قبل موته بندمه على بعض أعماله. لكنه بعد ندمه ذاك أقدم على تولية عثمان الخلافة...!

وقد تعرَّض الأنبياء إلى تهم شتى فقد اتهم اليهود موسى بقتل أخيه هارون، وسعى قارون لإتهامه بالزنى[3].

نظرية عمر في الانساب

ومن نظريات عمر بن الخطاب منعه الناس من الحديث عن الأنساب[4].

وهذا يعود لنسبه إذ كان الخطاب جد عمر ووالده وخاله:

---

(١) طبقات ابن سعد ٩٨٢/٣.

(٢) صحيح البخاري ٣٧/١.

(٣) السيرة الحلبية ٣، ١٢١، ١٢٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦٨/١١ـ ٦٩.

أمّا كون الخطاب جد عمر فلان حنتمة أم عمر كما اثبت ابن قتيبة في المعارف هي بنت الخطاب فصار جده، وأما كونه والده فلأنه أولد حنتمة إياه حينما تزوجها وحده لأنه سافح صهاك فأولدها حنتمة، وأمّا كونه خاله فلأن حنتمة والخطاب من أم واحدة وهي صهاك وحنتمة أم عمر فيكون الخطاب خال عمر.

فيكون نفيل وابنه الخطاب قد ارتكبا المنكر مع صهاك، وصهاك أم الخطاب! وتزوج الخطاب مع حنتمة وهي ابنته![1]

وقال ابن كثير الدمشقي: وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمّه واخاه لأمه، وذلك لأن عمرو بن نفيل كان قد خَلَف على امرأة ابيه بعد أبيه، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب.قاله الزبير بن بكار ومحمد بن إسحاق[2].

ولخطورة الأمر والخوف على سمعته من أن يذكره الذاكرون في عداد أولاد الزنا فقد محا الناشرون ذلك من كتاب الموفقيات ومن سيرة ابن اسحاق - التي تلاعب بها ابن بكاء وابن هشام فطبعوها على ما يوافق هواهم[3].

وذكر الاستاذ عباس محمود العقاد رأي المستشرقين في الخليفة عمر بن الخطاب: أنّه محدود التفكير وأنّه يأخذ الامور بقياس واحد[4].

---

(١) كلام أبي مخنف في نسب عمر، والمثالب، محمد بن شهر آشوب (وهو غير مطبوع وموجود بعضه في البحار ٣١/٩٩، ومثاب العرب، الكلبي.

(٢) السيرة النبوية. ابن كثير ١/١٥٣ طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ومطبعة دار الفكر بيروت ١/١٥٣ سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م فتكون كتب مثالب العرب لابن الكلبي والموفقيات للزبير بن بكار وسيرة ابن اسحاق والسيرة النبوية لابن كثير قد ذكرت نسب عمر ابن الخطاب .

(٣) راجع مثالب العرب، الكلبي.

(٤) عبقرية عمر للعقاد، ٤٠.

وكان عمر طوالاً أصلع، أقبل، شديد الأدمة أعسر يسراً[١]، أحول العينين[٢]، أشيب، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً، مقبلاً على شأنه.

ووصفه ابن العاص قائلاً: الأعسر الأحول ابن حنتمة.[٣]

وذكر في الفتوحات الاسلامية: خرج عمر ﷺ من المسجد، والجارود العبدي معه، فبينا هما خارجان، إذ امرأة على ظهر الطريق فسلّم عليها عمر، فردّت السلام ثمّ قالت: رويدك يا عمر: عهدي بك، وأنت تسمّى عميراً في سوق عكاظ، تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتّى سمّيت عمر، ثمّ لم تذهب الأيام حتّى سمّيت أمير المؤمنين، فاتّق الله في الرعيّة، واعلم إنّه من خاف الموت خَشِيَ الفوت. فبكى عمر ﷺ. فقال الجارود: هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين، وأبكيتيه.

فقال عمر: دعها. أما تعرف هذه يا جارود؟ هذه خولة بنت حكيم، التي سمع اللهُ قولها من فوق سبع سموات، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها[٤].

وهذه القصّة تبيّن حالة الصراحة والبساطة التي عوّد النبيُّ ﷺ أصحابه عليها، فخولة تعاملت مع عمر دون خوف، ولا رهبة، بالرغم من شدّة عمر وبطشه.

بَرَكةُ يد عمر

لمّا أسلم سلمان الفارسي، اشتراه رسول الله ﷺ من قوم من اليهود بكذا

---

(١) تاريخ اليعقوبي.

(٢) المنمق ٤٠٥ والمحبر ٣٠٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/١٧٤.

(٤) الفتوحات الاسلامية ٢/٤٢٢.

وكذا درهماً، وعلىٰ أن يغرس لهم كذا وكذا من النخيل، يعمل فيها سلمان حتّىٰ تدرك، فغرس رسول الله ﷺ النخل كلّه إلّا نخلة واحدة غرسها عمر فأطعم النخل كله إلّا تلك النخلة، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ غرسها؟

فقالوا: عمر

فقلعها رسولُ الله ﷺ وغرسها بيده، فأطعمت من عامها[١].

وفي زمن الخليفة عمر، وبالذات في سنة ثمان عشر كان عام الرمادة. وفي ذلك العام وقع طاعون عمواس.

وسمّيت السنة بعام الرمادة، لأنّها كانت تسفي ريحاً تراباً كالرماد، وانقطع المطر، حتّىٰ اضطرّ الخليفة الىٰ ان يطلب من العباس الدعاء بنزول المطر.

ولولا المحصولات الزراعية المرسلة من العراق ومصر، لحدثت فاجعة في جزيرة العرب. وبذلك أصبحت الفتوحات الاسلامية في العراق وفارس والشام ومصر الباب التي يأكل منها أهل جزيرة العرب.

اسلام عمر وطهارته المائية

أخرج ابن سعد في طبقاته: أن عمر كان يمسح بنعليه ويقول: إنَّ مناديل آل عمر نعالهم[٢].

واخرج ايضاً ربما تعشيت عند عمر بن الخطاب، فيأكل الخبز واللحم ثمّ يمسح يده علىٰ قدمه، ويقول: هذا منديل عمر وآل عمر[٣].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر في هامش الاصابة ٥٨/٢، تاريخ الخميس، الديار بكري ٤٦٨/١ طبع دار شعبان ـ بيروت.

(٢) طبقات ابن سعد ٣١٨/٣، كنز العمال ٦٢٥/١٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣١٨/٣.

وروى البيهقي ١/١١١: كان عمر إذا بال قال: ناولني شيئاً استنجي به فأناوله العود والحجر أو يأتي حائطاً يتمسح أو يمسه الأرض ولم يكن يغسله[١].

وروىٰ عمرة قال: خرج عمر بن الخطاب من الخلاء وأُتي بطعام، فقالوا: ندعوا بوضوء؟ فقال: إنما آكل بيميني واستطيب بشمالي، فأكل ولم يمس ماء[٢].

ثم نسبوا تلك الأفعال الى النبي ﷺ[٣].

وقد قال النبي ﷺ لعمر: لا تبل قائماً[٤]. ولكن عمر بال واقفاً[٥].

ولإيجاد عذر لعمر فقد روى الشوكاني بأنَّ النبي ﷺ وعلي ؑ وغيرهم بالوا من قيام![٦]

وعمر الذي يتَّصف بالجرأة والخشونة، كان إسلامه في مكَّة بعد خمسة واربعين رجلاً وإحدىٰ وعشرين امرأة[٧]، وكان إسلامه قبل الهجرة الى المدينة بقليل لذا لم يهاجر الى الحبشة.

اي أنَّه أسلم بعد ستة وستين مسلماً ومسلمة، بعد هجرة المسلمين الى الحبشة[٨].

ونحن بين رأيين في كيفية اسلام عمر: أنَّه جاء ليقتل النبي ﷺ، ثمَّ أسلم، وأنَّه جاء ليقتل النبي ﷺ ولكنَّه إقتنع في بيت اخته بالاسلام، فجاء وأسلم.

فقد جاء أنَّ عمر خرج متقلداً السيف، فلقيه رجل من بني زهرة، قال: اين

---

(١) كنز العمال ح ٢٧٢٤٠، ٥١٩/٩، المجموع ١١٢/٢.

(٢) كنز العمال ٤٢٨/١٥ ح ٤١٦٩٤.

(٣) سنن أبي داود ١٤/١، سنن ابن ماجة ١١٨/١، مجمع الزوائد ٢٤١/١.

(٤) كنز العمال ٥٠٩/٩ ح ٢٧١٨٩.

(٥) كنز العمال ٥١٩/٩ ح ٢٧٢٢٧، ٥٢٠/٩.

(٦) نيل الأوطار ٨٨/١.

(٧) تاريخ الطبري ١٧/٥.

(٨) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٨٤/٢.

تعمد يا عمر ؟

فقال أُريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن في بني هاشم ، وبني زهرة ، وقد قتلت محمداً .

قال : فقال عمر : ما أراك إلّا قد صبوت ، وتركت دينك الذي أنت عليه . قال : أفلا ادلّك على العجب يا عمر ؟ إنَّ ختنك واختك قد صبوا ، وتركوا دينك الذي انت عليه . قال : فمشىٰ عمر ذامراً حتّىٰ أتاهما ، وعندهما رجل من المهاجرين يقال له : خباب فلمّا سمع خباب حسَّ عمر ، توارىٰ في البيت ، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهيثمة التي سمعتها عندكم ، قال: وكانوا يقرأون طه . فقالا : ما عدا حديثا تحدّثناه بيننا . قال : فلعلّكما قد صبوتما . قال : فقال له ختنة :

أرأيت يا عمر إن كان الحقُّ في غير دينك . قال : فوثب عمر علىٰ ختنة فوطأه وطئاً شديداً ، فجاءت أخته ، فدفعته عن زوجها . فصفعها بيده نفحة فدمىٰ وجهها ، فقالت وهي غضبىٰ : يا عمر إن كان الحقُّ في غير دينك : إشهد أن لا اله إلّا الله ، وإشهد أنَّ محمداً رسول الله .

وعن ابن عباس قال عمر : فاتيت الدار (دار أرقم بن أبي الأرقم) وحمزة وأصحابه جلوس في الدار ورسول الله ﷺ في البيت ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب . قال : وعمر بن الخطاب ؟ افتحوا له الباب ، فإن أقبل قبلنا منه ، وإن أدبر قتلناه ، قال : فسمع ذلك رسول الله ﷺ : فقال : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب . فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ، ثم نتره نترة ، فما تمالك أن وقع علىٰ ركبتيه في الأرض ، فقال : ما أنت بمنتهٍ يا عمر ؟ قلت : أشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله[1] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨/٢٦٩ طبع دار الفكر .

وجاء: فلمّا رأىٰ حمزة وجل القوم من عمر، قال حمزة: نعم. فهذا عمر فإن يرد الله بعمر خيراً يُسلم، ويتّبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك فقتله علينا هيّن.

قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه فقال: فخرج رسول الله ﷺ حتّىٰ أتىٰ عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال ﷺ: أما أنت منتهياً يا عمر حتىٰ يُنزل الله بك من الخزي، والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة[1].

الرواية تقول: إنّه خرج متقلداً السيف، ووطأ ختنه، وأدمىٰ اخته وان النبي ﷺ قد خرج له من البيت عند قدومه ولم يخبره أحد بأنّ عمر جاء ليسلم فأخذ ﷺ بمجامع ثوبه، وحمائل سيفه، مهدّداً إياه بالعقوبة الالهيّة، التي نزلت على الوليد بن المغيرة، فاسلم عمر.

فواضح ان اسلام عمر قد جاء بعد التهديد النبوي ﷺ، والنصيحة المحمّدية له، وهذا التفسير أقرب الى الصواب.

وتصميم عمر على قتل النبي ﷺ، وهو في بداية الدعوة الاسلامية في مكّة، بادرة خطيرة في ذلك الزمن، من قبل شخص عادي في المجتمع، مثل عمر المنحدر من بيت مغمور... ومثل هذا التصميم ،كان من مسؤولية وجهاء كفار قريش، من امثال أبي جهل، وأبي سفيان، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعمرو بن هشام...

وهؤلاء الوجهاء لم يحكموا على النبي ﷺ بالموت إلّا بعد ان استنفدوا كل وسائلهم في اغرائه، وردعه عن تبليغ الاسلام، من حصار اقتصادي (دام ثلاث سنين) وحرب نفسيّة، واعتداءات وحشيّة علىٰ شخصه المبارك والمسلمين.

فصبر المسلمون في هذا الطريق الطويل ثلاث عشرة سنة...

ولم يحكموا بالموت على النبي ﷺ إلّا بعد وفاة عمّه أبي طالب، (زعيم بني

---

(١) الطبقات ١٩١/٣، صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢٦٩/١.

هاشم) وبعد هجرة المسلمين الىٰ يثرب ، وخوفهم من إلتحاق النبي ﷺ بهـم . . . ومن الممكن ان لا يحكموا على النبي ﷺ بالموت ، دون تلك الامور علىٰ طول مدة بقاء النبي ﷺ في مكّة . . .

لانّ الحكم بالموت من قبل جماعة علىٰ شخص ، مثل النبي ﷺ (المـنتسب الىٰ أفضل قبيلة قرشية (بني هاشم) ، وأخواله بنو زهرة ، والمتمتّع بأنصار كثيرين يعني الحكم علىٰ أنفسهم بالموت ، لذلك خاف وجهاء قريش من ذلك القرار وبحثوا عن بدائل له . . . .

اذاً كيف اتخذ عمر (وهو من أقّل بيوتات قريش منزلة (كما قال ابو سفيان) قراراً بقتل الرسول محمد ﷺ في ذلك الوقت ؟

وقيل بأنَّ قريشاً بعثت عمر بن الخطاب لقتل النبي محمد ﷺ فتقلد سيفه[١] .

أولاد عمر ولمحة من رغباته

قال عبد الله بن عباس : لقد رأيت عمر ﷺ وقد أقام الحدَّ علىٰ ولده ، فقتله فيه ، وقيل بأنَّ المحدود إبنه الاوسط (ابو شحمة) واسمه عبد الرحمـن وأُمّه أم ولد يقال لها لهيبة[٢] .

ودخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه ، وقد ترجّل ولبس ثياباً حساناً ، فضربه عمر بالدِّرّة حتّىٰ أبكاه ، فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه ، فأحببت ان اصغّرها إليه[٣] .

وحدّث عن زيد بن سلم ، عن أبيه ، قال : كان عمر ﷺ إذا بعثني إلىٰ أحدٍ من

---

(١) سيرة ابن اسحاق ص ١٦٠ ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧١/١٨ .

(٢) حياة الحيوان الكبرىٰ ٧٢/١ ، ٤٩٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ١٤٢ .

ولده قال لي: لا تخبره لم بعثتك إليه، فلعلَّ الشيطان يعلّمه كذبةً. فجاءت أُمُّ ولد لعبد الرحمن فقالت: إنَّ أبا عيسى لا ينفق عليَّ ولا يكسوني.

قال: ويحكِ من أبو عيسىٰ؟ قالت: إبنك عبد الرحمن.

فقال: وهل لعيسىٰ من أب؟

قال: فارسلني إليه، وقال: قل له أجِبْ، ولا تخبره لأي شيءٍ دعوته.

قال: فأتيته وعنده ديك ودجاجة هنديان، فقلت له: أجب أباك أمير المؤمنين. قال: وما يريد منّي. قلت: لا أدري.

قال: إني أُعطيك هذا الديك والدجاجة علىٰ أن تخبرني ما يريد منّي.

فاشترطت أن لا يخبر عمر ﷺ وأخبرته، وأعطاني الديك والدجاجة.

فلمّا جئت عمر ﷺ قال أخبرته؟ فوالله ما استطعت أن اقول: لا. فقلت: نعم. قال: أرشاك شيئاً؟ قلت: نعم. قال: ما رشاك؟

قلت: ديكاً ودجاجة.. فقبض بيده اليسرىٰ علىٰ يدي. فجعل يضربني بالدرَّة. وجعلت اندو وجعل يضربني، وانا اندو فقال: إنك لجدير.

ثم جاء عبد الرحمن فقال: هل لعيسىٰ من أب؟ تكتني أبا عيسىٰ. هل لعيسىٰ من أب؟ أما تدري ما كنى العرب: أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عُرفطة، أبو مرّة[1].

وأخرج عن النخعي، أنَّ رجلاً قال لعمر: ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله! والله ما أردت الله بهذا، أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته؟[2].

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٢/٧٥٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ١٤٥. وكان أبو موسى الأشعري قد قال ذلك، ولأجل غضب عمر عليه، فقد رغب الراوي أو الناشر بوضع كلمة رجل بدل إسمه.

ذكر في كتب السيرة بأنَّ من صفات عمر الخشونة، وحدَّة الطبع، وسرعة الغضب، والاندفاع السريع في الاحداث، وجرأته، وعدم سماحه للمرأة بالتدخّل في شؤون زوجها وخاصَّة الشؤون السياسية. واعتماده في حل القضايا علىٰ مفتاح القوة، واعتماده علىٰ دهاة العرب والطلقاء.

وعُرِف بعبوسه الدائم، واستخدامه ليده، ودرّته، وحبه للغناء، وولعه في الجاهلية بالخمرة، وشغفه بالنبيذ في الإسلام.

وسار علىٰ منهج الرسول ﷺ وأبي بكر في الأهتمام بالغزو الخارجي. فانشغل المسلمون بفتح العراق والشام ومصر وايران وغيرها.

وقد إلتفت الكاتب المصري عباس محمود العقاد لهذه الصفات والأعمال وظهورها في سلوك عمر فدفعه لكتابة بعض السطور صوَّر فيها العقاد عمر بن الخطاب بالجندي، الذي حوَّل البلاد إلىٰ معسكر، فقال العقاد في قضيَّة نصر بن حجاج الذي قصّ عمرُ شعره، ونفاه من المدينة؛ لأنّ امرأة تغزّلت به: «وفي القضيَّة جور علىٰ نصر بن الحجاج لا جدال فيه، ولكن في سبيل مصلحة أكبر وأبقىٰ، أو في سبيل مصلحة يرعاها الحكم العسكري في أزمنة كزمان عمر، ويقضي فيها بما هو أعجب من إقصاء نصر بن حجاج، يرعاها احياناً بمنع الإقامة بمكان، ومنع المرور من طريق، وتحريم تجارة لا حرام فيها، ومراقبة إنسان يخشىٰ أن يقود الىٰ جريمة، وتقييد السهر بعد موعد من الليل».

وقال العقاد: «والقضاء لم يكن من لوازم الطبيعة الجندية، وان تولّاه القادة والجند في أيام الفتن، والأيام الأولى التي فيها الدول الناشئة والنظم الجديدة.

وبالفطرة التي فطر (عمر) عليها كان يحب ما يحسن بالجندي في بدنه وطعامه، ويكره ما ليس بالمستحسن فيه.

وخليق بمثل هذا الرجل ألا يكون له شعار غير شعار الجند حيث كانوا:

الامر هو الامر، والطاعة هي الطاعة»[١].

وقال العقاد: «وشاعت الجاهلية أن تورّطة في بعض أهوائها، فكان هـواه منها معاقرة الخمر، يحبها ويكثر منها.

وقد نرىٰ انه هوىً قريب من مزاج الجند، غير نادر فيهم. إذ الخمر توافق ما فيهم من سورة طبع، وتشغلهم عن الخطر أو تعينهم عليه، وتصاحبها في كثير من الأحيان ضجّة يألفونها»[٢].

وقد أحبَّ ضجّة الدفوف وهي في سياق هذا الهوىٰ، وظل يحبّها بعد اسلامه وخلافته، وإن كرهها في غير الأعراس... فسمع ضوضاء في دار فسأل: ما هذا؟ قيل له: عرس فقال: هلا حرَّكوا غرابيلهم (اي الدفوف) علىٰ أنّه كان يحبّ الغناء جملة ويطيل الاصغاء إليه. فطبيعة الجندي في الفاروق تـامّة مـتكاملة بأصـولها وفروعها[٣].

ويذكر ان جيش قريش الذي قَدِم إلىٰ معركة بدر بقيادة أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بين ربيعة وأمية بن خلف وغيرهم، قد جاءوا بخمرهم وراقصاتهم، ولمَّا سمعوا بنجاة قافلة التجارة المكيّة، طلب أبو سفيان منهم العودة، فقالوا: والله لا نرجع حتىٰ ننزل بدراً، فنقيم به ثلاث ليال، ويرانا من غشينا من أهـل الحـجاز، فإنَّه لن يرانا أحدٌ من العرب وما جمعنا فيقاتلنا، وهم الذين قال الله عزوجل عنهم: ﴿ولا تكونوا كالذينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهم بَطَراً وَرِئآءَ النَّاسِ﴾[٤].

وبينما كانت سمة الجيش الجاهلي شرب الخمر، والضرب بـالدفّ، واللـهو

---

(١) عبقرية عمر للعقاد ٦١ـ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ٦٩.

(٣) عبقرية عمر للعقاد ٧١.

(٤) سورة الأنفال ٤٧، تاريخ الطبري ٢/١٣١.

بـــالغناء، كـــانت سمـــة الجـيش الإســـلامي قـــراءة القـــرآن والتهـــليل والتسبيح والصلاة. وتحت هذه الراية وصل الجيش الإسلامي بسرعة خـاطفة إلى الأندلس في سنة اثنتين وتسعين، ووصـل إلىٰ كـاشغر في الشرق سـنة اربـع وتسعين.

نظرة عمر الى الخمر

أخرج محمد بن جرير الطبري في تاريخه، أنزل اللهُ في الخمر ثلاث مرّات، وأول من ما أُنزل قال الله: ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ والمَيسِرِ قُل فِيهِمآ إثمٌ كَبيرٌ وَمنافِعُ للنّاسِ وإثمُهُمآ أكبَرُ مِن نَفعِهِما﴾[1].

وقال: فشربها من المسلمين ما شاء الله منهم علىٰ ذلك، حتىٰ شرب رجلان فدخلا في الصلاة، فجعلا يهجران كلاماً لا يدري عوف ما هو، فأنزل الله عزوجل فيها: ﴿يـا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُم سُكارىٰ حَتّىٰ تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[2]. فشربها من شربها منهم، وجعلوا يتّقونها عند الصلاة. حتىٰ شربها فيما زعم رجل، فجعل ينوح علىٰ قتلىٰ بدر:

تُحيّي بالسلامة ام عمرو	وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح بكراً فإني	رأيت الموت نقب عن هشام
وود بنو المغيرة لو فدوه	بألف من رجال أو سوام
كأني بالطوي طوي بدر	من الشيزي يكلل بالسنام
كأني بالطوي طوي بدر	من الفتيان والحلل الكرام

---

(١) البقرة /٢١٩.

(٢) النساء /٤٣.

وذكر أنَّ عمر هو الذي شربها وقال شعراً في مدح قتلىٰ قريش الكفار في بدر[١].

وذكر الحاكم النيسابوري، عن أبي وائل أنه قال: غزوت مع عمر ﷺ الشام، فنزلنا منزلاً، فجاء دهقان يستدلُّ علىٰ أمير المؤمنين، حتىٰ أتاه. فلمَّا رأى الدهقانُ عمرَ سجد.

فقال عمرُ: ما هذا السجود؟ فقال: هكذا نفعل «بالملوك». فقال عمر: أُسجد لربِّك الذي خلقك.

فقال: يا أمير المؤمنين: إنِّي قد صنعت لك طعاماً فأتني.

فقال عمر: هل في بيتك من تصاوير العجم، قال: نعم، قال: لا حاجة لنا في بيتك. ولكن إنطلق فابعث لنا بلون من الطعام، ولا تزدنا عليه. قال: فانطلق، فبعث إليه بطعام، فأكل منه.

ثمّ قال عمر لغلامه: هل في إدواتك شيءٌ من ذلك النبيذ؟ قال: نعم.

قال: فابعث لنا. فأتاه فصبَّه في إناء، ثم شمَّه فوجده منكر الريح، فصبَّ عليه ماء، ثم شمَّه فوجده منكر الريح، فصبَّ عليه الماء ثلاث مرّات ثم شربه. ثمّ قال: إذا رابكم من شرابكم شيءٌ فافعلوا به هكذا[٢].

وعن يحيىٰ بن سعيد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أسلم مولىٰ عمر بن الخطاب أخبره: أنه زار عبد الله بن عياش المخزومي، فرأىٰ عنده نبيذاً وهو بطريق مكَّة. فقال له أسلم: إنّ هذا الشراب يحبّه عمر بن الخطاب. فحمل عبد الله بن عياش قدحاً عظيماً. فجاء به إلىٰ عمر بن الخطاب فوضعه في يديه، فقرَّبه عمر إلىٰ فيه ثم رفع رأسه.

---

(١) المستطرف ٢/٢٦٠، جامع البيان ٢/٢١١.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/٢٣٠.

فقال عمر : إنَّ هذا لشراب طيِّب . فشرب منه ، ثم ناوله رجلاً عن يمينه . فلما أدبر عبد الله ، ناداه عمر بن الخطاب فقال : أأنت القائل : لمكَّةُ خير من المدينة ؟

فقال عبد الله : فقلت هي حرم الله وأمنه ، وفيها بيته . فقال عمر : لا أقول في حرم الله ، ولا في بيته شيئاً . ثم انصرف[١] .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير : أنَّ عمر بن الخطاب لما طعن قال له الناس : يا أمير المؤمنين لو شربت شربة ، فقال : اسقوني نبيذاً . وكان من أحب الشراب إليه ، فقال : فخرج النبيذ من جرحه مع صديد الدم ، فلم يتبين لهم ذلك من شرابه الذي شرب .

فقالوا : لو شربت لبناً ، فأُتي به ، فلما شرب اللَّبن خرج من جرحه[٢] .

وقد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات :

الاولىٰ : في قوله تعالىٰ : ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ والمَيسِرِ قُل فِيهِمآ إثمٌ كَبيرٌ وَمنافِعُ للنَّاسِ وإثمُهُمآ أكبَرُ مِن نَفعِهِما ﴾[٣] .

فكان من المسلمين من شارب ، ومن تارك إلىٰ أن شرب رجل فدخل في الصَّلاة فهجر ، فنزل قوله تعالىٰ : ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُم سُكارىٰ حَتَّىٰ تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[٤] .

فشربها من شربها من المسلمين ، وتركها من تركها ، حتىٰ شربها عمر ﷺ فأخذ بلحي بعير ، وشجَّ به رأس عبد الرحمن بن عوف ، ثم قعد ينوح علىٰ قتلىٰ بدر بشعر الأسود بن يعفر ؛ يقول :

---

(١) موطأ مالك ٢/٨٩٤ ، ط . مصر .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٢٥٧ ، الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١١٥٤ .

(٣) البقرة : ٢١٩ .

(٤) النساء /٤٣ .

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة اصداء وهام
أيعجز أن يردَّ الموتَ عنِّي ... وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من بلَّغ الرحمن عنِّي ؟ ... بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج مغضباً يجرُّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده فضربه. فقال: أعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

فقال عمر: إنتهينا إنتهينا.

وأخرج ابن سعد في كتابه الطبقات: احبُّ الطعام إلىٰ عمر الثُّفل (الثخين من الطعام) وأحبُّ الشراب إليه النبيذ.

وجاء في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه:

قال الشعبي: شرب أعرابي من إداوة[2] عمر فأُغشي، فحدَّه عمر. وإنما حدَّه للسكر لا للشرب[3]. وهناك حادثة مشابهة لتلك جاء فيها: ساير رجلٌ عمر بن الخطاب في سفر وكان صائماً، فلمّا أفطر الصائم أهوى إلى قربة عمر ﷺ معلَّقة فيها نبيذ فشرب منها فسكر، فضربه عمر ﷺ الحد. فقال له الرجل: إنما شربت من قربتك. فقال له عمر ﷺ: إنما جلدتك لسكرك لا علىٰ شرابك[4].

---

(١) ربيع الابرار للزمخشري، تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٨٦٣/٣، المائدة ٩١.

(٢) الإدَاوَة بالكسر: إناء صغير من جلد، أقرب الموارد ٧/١.

(٣) العقد الفريد ٣٤١/١.

(٤) كتاب الخراج ص١٦٥، ط. مصر.

والعجيب أنَّ شخصين سكرا من شربهما من نبيذ عمر، بينما لم يسكر منه عمر؟!

وقال الحلبي: وكان وحشي لا يزال يحد في الخمر في زمن عمر ﷺ حتىٰ خلع من الديوان. قال عمر ﷺ علمت أنه لم يكن الله ليدع قاتل حمزة ﷺ أي لم يكن ليتركه من الابتلاء.

وروى الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو أي من الابتلاء، حتىٰ بلغني انه مات غريقاً في الخمر[1]. وشهد الجارود سعد بن عبد القبس وأبو هريرة علىٰ قدامة بن مظعون (صهر عمر) بشرب الخمر وشهدت بذلك زوجة قدامة فلما أراد عمر حدّه قال قدامة ما يشير إلىٰ اعتقاده بحلية شرب الخمر بآية: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا.

واحتج بهذه الآية ضرار بن الخطاب الفهري وأبو جندل وأبو الازور في الشام فقُتِل أبو الازور في الحرب وحدَّ أبو عبيدة ضراراً وأبا جندل[2].

نظرة عمر الى الغناء

جاء في الروايات أنَّ عمر كان يحبُّ الضرب على الدفوف حبّاً جماً. أخرج البيهقي عن قيس بن أبي حذيفة، عن خوات بن جبير قال: خرجنا حجّاجاً مع عمر بن الخطاب ﷺ، قال: فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: فقال القوم غنّنا يا خوات فغنّاهم، فقالوا: غنّنا من شعر ضرار. فقال عمر ﷺ إرفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا.

---

(١) السيرة الحلبية ٢/٢٤٩.

(٢) السيرة الحلبية ٢/٢٠٤.

فقال أبو عبيدة ﷺ: هلمّ إلىٰ رجل أرجو أن لا يكون شرّاً من عمر ﷺ قال: فتنحيت وأبو عبيدة، فما زلنا كذلك حتىٰ صلّينا الفجر[١].

وجاء بأن عمر يجيز الغناء وسماع الغناء بشروط، وكان ابنه لا يبيح الغناء بحال[٢]. المحلى ٦٢/٩، الطبقات ١٦٣/٤.

وروى السراج في تاريخه من طريق ضمرة بن سعيد، عن قيس بن أبي حذيفة، عن خوات بن جبير قال: خرجنا حجاجاً مع عمر فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، فقال القوم: غنّنا من شعر ضرار.

فقال عمر: دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده، فما زلت أغنيهم حتىٰ كان السَّحر. فقال عمر: إرفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا[٣].

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عباس: أنّه بينما هو يسير مع عمر ﷺ في طريق مكّة في خلافته، ومعه المهاجرون والانصار، فترنّم عمر ﷺ ببيت.

فقال له رجل من أهل العراق ليس معه عراقي غيره: غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين.

فاستحيا عمر ﷺ من ذلك، وضرب راحلته، حتىٰ إنقطعت من الركب.

وجاء في كتاب عمر بن الخطاب لمحمد كامل حسن: كان عمر بن الخطاب رغم ما اشتهر به من قسوة، وخشونة، مولعاً بالموسيقىٰ والغناء ولعاً شديداً.. ويؤكد بعض المؤرخين أنه كان جميل الصوت إذا غنّىٰ، ويروون أنه غنّىٰ بهذا البيت من الشعر:

وما حملت من ناقة فوق رحلها   أبر وأوفىٰ ذمة من محمَّدِ

---

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦٩/٥.

(٢) موسوعة عبد الله بن عمر، رواس قلعجي، سنن ابي داود، باب الغناء، مسند أحمد ٣٨/٢.

(٣) الاصابة لابن حجر العسقلاني ٤٥٧/١.

وصار عمر يلوّن في نغمات الغناء، وينوع تلحينه حتىٰ اجتمع حـوله عـدد كبير من الناس، وهم يستزيدونه.

وأراد عمر أن يختم هذه الجلسة الغنائية بتلاوة آياتٍ من القرآن الكـريم.. فتفرّق الناس وذهبوا عنه.. وإذ ذاك صاح فيهم عمر: ثكـلتكم أمّـهاتكم!.. إذا أخذتُ في مزامر الشيطان اجتمعتم.. وإذا أخذت في كتاب الله تفرقتم[١].

وظاهر الحال ان المجموعة التي كانت ترافقه في الحج هم من أمثال مـعاوية وابن العاص والمغيرة والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وابن أبي ربيعة وغيرهم من ولاته.

* * *

---

(١) كتاب عمر بن الخطاب ٨٩.

نظريات الخليفتين في

النبي صلى الله عليه وآله

موضوعية العلاقة بينهما

رغبة أبي بكر وعمر في مصاهرة النبي ﷺ

لقد سمع الناس في مكّة بخروج النبي الجديد، ومنهم أبو بكر وعمر. وتأكّد هذا المبعث النبوي للناس الذاهبين سابقاً الى الشام للتجارة، من مثل عمر وباقي الأشخاص العاملين بالتجارة. فلقد انتشرت الأخبار بقرب ظهور النبي محمد ﷺ وخاصّة في الشام. ولقد اختار بعض هؤلاء الأشخاص طريق الكفر مصمّمين على محاربة الاسلام، واختار فريق من أهالي مكّة طريق الاسلام.

وازدادت أعداد المسلمين بعد انتصار النبي ﷺ في معارك بدر، والخندق، وخيبر، حتّىٰ أنّ خالد وعمرو بن العاص وغيرهم أسلموا في تلك الفترة.

وبعد اسلام أبي بكر وعمر، وهجرتهما الى المدينة المنوّرة، حاولا أن يصاهرا النبي ﷺ ويوثّقا علاقتهما معه. فتقدّما طالبين الزواج من ابنته فاطمة ؑ، ولكنّ الرسول ﷺ ردّهما بهدوء، بأنّ أمرها بيد الله تعالىٰ، وكان أبو بكر قد افلح في تزويج ابنته عائشة من رسول الله ﷺ. ثمّ جاء عمر للرسول ﷺ مرّة اخرىٰ، مظهراً الإنزعاج من عدم زواج عثمان وأبي بكر من ابنته حفصة، ومظهراً التأسف من بقاء حفصة بلا زواج. واعتقد بان هدف عمر يتمثّل في تزويج ابنته من النبي ﷺ وليس من أبي بكر وعثمان، وما قوله إلّا حجة للوصول إلىٰ هدفه في تزويج ابنته من رسول الله ﷺ. ولمّا كان النبي ﷺ لا يرد احداً في طلب له، فقد

وافق شخصياً على الزواج من ابنة عمر (حفصة)[١]. وهكذا أصبح عمر صهراً للنبي ﷺ بطلب من عمر نفسه. ولكنَّ عمر بقدر شدَّته ورغبته في اقامة علاقة مع النبي ﷺ، كان قد عارضه في مواطن عديدة في الحديبية وفي حملة اسامة وفي يوم الخميس وغيرها. إذن لماذا كان عمر يحرص على اقامة علاقة مصاهرة مع النبي ﷺ ؟، وهو القائل: النبي يهجر، ومحمد شجرة نبتت في كبا، وضرب فاطمة عليها السلام حتى أسقطت ابنها[٢].... هذا في الاسلام. امّا في الجاهلية، فإنَّ عمر كان الوحيد من قريش ممَّن صمَّم شخصياً على قتل النبي ﷺ.

وافصح عمر عن علاقته في الجاهلية قائلاً: جاء النبي ﷺ فدخل الحجر وعليه نعلان فصلّى ما شاء الله ثم انصرف، قال: فسمعت شيئاً لم أسمع مثله فخرجت فاتبعته، قال ﷺ: من هذا. قلت عمر قال ﷺ: يا عمر ما تتركني ليلاً ولا نهاراً؟[٣]

موقف جريء من الصلاة على إبن أُبي

أخرج البخاري، بسنده الى عبد الله بن عمر، «قال: لمّا توفي عبد الله بن أُبي، جاء ابنه، فقال: يا رسول الله ﷺ إعطني قميصك أكفّنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له، فأعطاه قميصه، وقال له: اذا فرغت منه فآذنا. فلمّا فرغ منه آذنه به».

ثم اعترض عمر على صلاة النبي ﷺ على ابن أُبي. إذ جاء النبي ﷺ ليصلّي عليه، فجذبه عمر، فقال له: أليس قد نهاك اللهُ أن تصلّي على المنافقين فقال

---

(١) طبقات ابن سعد ٨٢/٨، تاريخ الإسلام، الذهبي، حوادث سنة ٤١ ـ ٦٠ للهجرة.

(٢) صحيح البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفد ح١٢٢٩، صحيح مسلم ٨٩/١١، طبقات ابن سعد ٣٦/٢، تاريخ اليعقوبي ١٣٧/٢، الامامة والسياسة ١٨/١، العقد الفريد، ابن عبد ربة ٢٥٩/٤، تاريخ أبي الفداء ١٥٦/١.

(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، د. السيد الجميلي ص٢٥، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص١١٠، حلية الاولياء ٤٠/١.

النبي ﷺ : قال الله : ﴿إستغفِر لهم أو لا تستغفِر لهم إن تستغفِر لهم سبعين مرّةً فلن يغفِرَ اللهُ لهم﴾. ولمّا نزلت لاحقاً الآية القرآنية المباركة : ﴿ولا تُصَلّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً ولا تقُم على قبره﴾ عندها أحسَّ عمر بخطئه وترك النبي ﷺ الصلاة عليهم. وقد قال الرسول ﷺ لعمر : «أخّر عنّي يا عمر، إنّي خيّرت قيل لي : ﴿إستغفِر لهم أو لا تستغفِر لهم إن تستغفِر لهم سبعين مرّةً فلن يغفِرَ اللهُ لهم﴾ فلو أعلم أنّي ان زدت على السبعين غفر الله له لزدت، ثمّ صلّى عليه، ومشى خلفه، وقام على قبره»[١]. وقد ندم عمر على ذلك، بعد توضح الأمور لديه، فقال : «أصبت في الاسلام هفوة ما أصبت مثلها قط»[٢].

موقف حاسم من صلح الحديبية

في صلح الحديبية جاء الرسول ﷺ مع الف واربعمائة رجل، فيهم مئتا فارس الى منطقة الحديبية[٣]. وذلك في السنة السادسة للهجرة، وهدفه ﷺ العمرة فساق معه الهدي سبعين بدنة، ولم يخرج بسلاح إلّا سلاح المسافر ـ السيوف في القرب ـ. فلمّا كان بذي الحليفة قلّد الهدي، وأحرم هو وأصحابه منها، ليأمن الناس حربه. ولمّا وصل جيشه الى قرب جيش خالد بن الوليد، أمر خيله بالوقوف في إزاء جيش خالد. وشاهد المسلمون غلظة وخشونة من قبل المشركين، فأبدوا لهم مثل ذلك، كما قال الله سبحانه : ﴿يا أيُّها الَّذينَ ءامَنُوا قاتِلُوا الَّذينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفّارِ وَليَجِدُوا فيكُم غِلظَةً﴾[٤].

---

(١) اخرج ذلك البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن أبي حاتم، والامام احمد بن حنبل، وابن جرير، وهو الحديث ٤٤٠٣ من أحاديث الكنز.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وهو الحديث ٤٤٠٤ من الكنز.

(٣) وهي بئر او شجرة او قرية على بعد تسعة اميال من مكّة اكثر ارضها في الحرم.

(٤) التوبة، ١٢٣.

وقال ﷺ: يا ويح قريش، نهكتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين العرب، فإنْ هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الاسلام وافرين، وإن أبوا قاتلوني وبهم قوة؟ فما تظن قريش، فوالله الذي لا اله إلّا هو، لا أزال أجاهد على الذي بعثني به ربّي، حتّىٰ يظهره الله او تنفرد هذه السالفة (وهي صفحة العنق كناية عن قتله). وقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده، لا تدعوني اليوم قريش الىٰ خطّة يسألوني فيها صلة رحم إلّا اعطيتهم إياها.

ويظهر من قول الرسول ﷺ، رغبته في الصلح مع قريش، للانفراد بباقي العرب في الجزيرة، فيسهل عليه نشر الإسلام بينهم.

ولمّا كان الرسول ﷺ يحمل راية الصلح والسلام في يد، ويحمل السيف في اليد الاخرىٰ، تخويفاً وتهديداً لقريش... نراه جمع أصحابه للبيعة تحت شجرة، فكانت بيعة الرضوان. فبايعوه بأجمعهم على الموت في نصرته وعلىٰ أن لا يفرّوا، (وفيهم كهف المنافقين ابن سلول) لم يتخلف منهم إلّا رجل يدعى الجد بن قيس الانصاري. ولمّا خرج عكرمة بن أبي جهل في خيله، ناوشه المسلمون، ورموهم بالحجارة، حتّىٰ أدخلوهم مكّة... وعلىٰ اثر ذلك ازداد الرعب في صفوف المشركين، وانخلعت افئدتهم خوفاً من جيش المسلمين الرابض على ابواب مكّة. ومثلما تعهّد الرسول ﷺ بالصلح مع قريش، فقد وافق علىٰ شروطهم للسلام لحكمة إلهيّة. ولأجل اعتقاد المسلمين بنبوة محمد ﷺ، وحكمته، وأفعاله المسدّدة من الله تعالىٰ فقد سكتوا، ورضوا بشروط الهدنة.

ما شككت إلّا يومئذ

جاء في تفسير عبد الرحمن السيوطي في تفسير سورة الفتح: فقال عمر بن

الخطاب: ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله؟ قال: بلىٰ.

فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلىٰ.

قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدّثنا: أنّا سنأتي البيت ونطوف به.

قال: بلىٰ، أفاخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال ﷺ: إنّك آتيه ومطوف به[١].

اعتراض علىٰ بنود صلح الحديبية

أمّا عمر فقد غفل عن كل هذا، وأخذ يعامل الرسول ﷺ كرجل عادي، وهو غافل عن كونه رسول الله ﷺ إذ أخذته الحميّة في هذا المجال وغضب، فقال: يا ابا بكر: أليس هو برسول الله؟ قال: بلىٰ. قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلىٰ. قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلىٰ. قال: فعلىٰ مَ نعطي الدنيّة في ديننا، فقال له أبو بكر: أيُّها الرجل أنّه رسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره استمسك بغرزه (اي استمسك بطاعته) حتّىٰ تموت فاني أشهد انّه رسول الله[٢].

وأخرج البخاري ـ في آخر كتاب الشروط من صحيحه ـ حديثاً جاء فيه، أنه قال: فقلت ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلىٰ. قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟

---

(١) المغازي الواقدي ٦٠٧/١.

(٢) السيرة الحلبية. ج١٩/٢، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ ـ ١٨٣.

قال ﷺ: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به.

قال: بلىٰ أفأخبرتك أنّا نأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه ومطوف به[1]. قال: فأتيت ابا بكر فقلت: يا ابا بكر أليس هذا نبي الله حقّاً؟

قال: بلىٰ.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل.

قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا اذاً؟

قال: أيّها الرجل إنّه لرسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنّه لعلى الحقّ.

فقلت: أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلىٰ. افأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فانّك آتيه ومطوّف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً[2] (ضد صلح الحديبية) قال البخاري: إنَّ رسول الله كان يسير في بعض اسفاره، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيْ، فلم يجبه رسولُ الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرّات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن..[3]

---

(١) فلما كان عام الفتح وأخذ المفتاح قال ﷺ: ـكما في السيرة الحلبية ـادعوا لي عمر بن الخطاب فلمّا أتاه قال: يا عمر هذا الذي قلت لكم. ولمّا كان في حجّة الوداع ووقف ﷺ بعرفة استدعىٰ عمر ايضاً فقال له: هذا الذي قلت لكم. صحيح البخاري. آخر كتاب الشروط.

(٢) الامام احمد بن حنبل والحلبي في غزوة الحديبية من سيرته. البداية والنهاية. ابن كثير ٢٠٠/٤.

(٣) البداية والنهاية. ابن كثير الدمشقي ٢٠٢/٤، دار احياء التراث العربي ـ بيروت. تفسير ابن كثير، سورة الفتح ٢٩٦/٤، ورواه الترمذي والنسائي. دار احياء التراث العربي. بيروت.

وكانت هذه الحادثة عند نزول سورة الفتح بعد عودة النبي ﷺ والمسلمين من الحديبية[١].

وقد بلغ غضب النبي ﷺ علىٰ عمر واعماله انه ﷺ لم يكلّم عمر، وترك اسئلته ثلاث مرّات وقال الشعبي في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾[٢] هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها مالم يُصب في غزوة[٣] وقال الترمذي وابن مسعود والفراء والضحاك ومجاهد بانها نزلت في الحديبية[٤].

والأعمال التي قام بها عمر لاحقاً ضدَّ صلح الحديبية المتضمنة لبيعة الرضوان هي:

قطع شجرة الرضوان التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ ![٥] وقال ما شككت إلّا يومئذٍ[٦].

ودعا ابا جندل لقتل ابيه سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري[٧]. وقال عمر في خلافته لابن عباس عن صلح الحديبية: ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلّا يومئذٍ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت[٨].

أي ان عمر لو وجد انصاراً لثار بهم على النبي محمد ﷺ وعلى الإسلام! لأنه ارتاب في ذلك اليوم وشكك في صحة رسالة النبي ﷺ!

---

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري ٣٣١/٤، سورة الفتح.

(٢) الفتح: ١.

(٣) تفسير القرطبي ٢٦٠/١٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شرح نهج البلاغة ٥٩/١.

(٦) تفسير السيوطي سورة الفتح.

(٧) السيرة النبوية لابن دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ ـ ١٨٣.

(٨) مغازي الواقدي ٦٠٧/١، موضوع غزوة الحديبية.

وقال عمر: وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن[1].

ولمَّا جعل عمر يردُّ علىٰ رسول الله ﷺ الكلام قال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ ما يقول، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال الرسول ﷺ يومئذ: يا عمر إنِّي رضيت وتأبىٰ. وكان الصلح علىٰ أن يرجع رسول الله ﷺ بأصحابه من الحديبية، فاذا كان العام القابل، تخرج قريش من مكَّة، فيدخلها رسول الله ﷺ باصحابه، فيقيم بها ثلاثاً، وليس معه من السلاح سوى السيوف في القرب، وان توضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكفُّ فيها بعضهم عن بعض، وأنَّه من أحبَّ من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وان يكون بين الفريقين عيبة مكفوفة (اي صدور منطوية علىٰ ما فيها لا تبدي عداوة) وانه لا اسلال ولا إغلال (اي لا سرقة ولا خيانة)، وأنه من أتىٰ محمداً من قريش ممَّن هو علىٰ دين محمد بغير إذن وليّه ردَّ إليه، ومن أتىٰ قريشاً ممن مع محمد فارتدَّ عن الاسلام لا ترده قريش إليه، فقال المسلمون: سبحان الله كيف نردُّ للمشركين من جاءنا منهم مسلماً. وعظم عليهم هذا الشرط.

فقالوا يا رسول الله: اتكتب هذا علىٰ نفسك؟

قال: نعم إنَّه من ذهب منَّا مرتدَّاً أبعده الله، ومن جاءنا مسلماً فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

فبينا رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو بن عبد ود العامري يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة، إذ جاء أبو جندل ـ واسمه العاص ـ بن عمرو بن عبد ود العامري الى المسلمين، يرسف في قيوده، وكان أسلم بمكَّة قبل ذلك، فمنعه أبوه

---

(١) البداية والنهاية. ابن كثير ٤/٢٠٢.

من الهجرة وحبسه موثوقاً، وحين سمع أن النبي ﷺ واصحابه في الحديبيّة، احتال حتّىٰ خرج من السجن، وتنكّب الطريق في الجبال حتّىٰ هبط على المسلمين ففرحوا به وتلقّوه، لكن أخذ ابوه بتلابيبه يضرب وجهه ضرباً شديداً (والمسلمون يبكون رحمة له) وهو يقول: يا محمد هذا اول ما أقاضيك عليه، أن ترده إليَّ، فقال له النبي ﷺ: إنَّا حتّى الان لم نفرغ من كتابة الكتاب. قال سهيل: إذاً لا أصالحك علىٰ شيْ. فقال له النبي ﷺ: فأجره لي. قال: ما أنا بمجيره لك. قال: بلىٰ فافعل. قال: ما أنا بفاعل. فقال مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزىٰ، وهما من وجوه قريش. قد أجرناه لك يا محمد، فاخذاه وأدخلاه فسطاطاً وكفَّا أباه عنه. ثم قال سهيل: يا محمد: قد تمّت القضية ووجبت بيني وبينك قبل ان يأتي ابني اليك. قال: صدقت. وحينئذٍ قال ﷺ لابي جندل: اصبر واحتسب فقد تمّ الصلح قبل أن تأتي، ونحن لا نغدر وقد تلطّفنا بأبيك فأبىٰ، وانَّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً[1].

تحريض عمر علىٰ قتل سفير قريش

ولمّا تمَّ الصلح وقال النبي ﷺ: نحن لا نغدر، وبشّر أبا جندل بالفرج له ولأصحابه، هنا وثب عمر بن الخطاب الىٰ أبي جندل، يغريه بقتل أبيه، ويدني إليه السيف.

قال عمر ـ كما في السيرة الدحلانية وغيرها ـ رجوت ان يأخذ السيف فيضرب به أباه، وجعل يقول له: إنَّ الرجل يقتل أباه، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم.

(١) السيرة الدحلانية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٠٥.

لكنّ ابا جندل لم يجبه إلىٰ قتل أبيه خشية الفتنة، وعملاً بما أمره به رسول الله ﷺ من الصبر والاحتساب.

وقال لعمر: مالك لا تقتله أنت؟

قال عمر: نهانا رسول الله عن قتله وقتل غيره.

فقال أبو جندل: ما أنت أحقُّ بطاعة رسول الله منّي[١].

فنلاحظ من ذلك ان حلم أبي جندل أكثر من حلم البعض، وان عمر يتصرَّف تصرّفاً شخصياً ولا يفكّر بعاقبة الامور. إذ لو اقدم أبو جندل علىٰ قتل أبيه لحدثت فتنة بين الفريقين تطول مدَّتها، والنبي ﷺ يريد فتح مكَّة بأسهل الطرق واقصرها مدَّة.

وعمر بطبيعته يفكّر بانفعال وعجلة. إذ كيف تمرُّ حادثة مقتل عمرو بن عبد ود العامري بسهولة. إذ سوف تفهمها قريش بكونها غدراً من النبي ﷺ وأصحابه؛ وسهيل سفير قريش، والسفير لا يقتل، لذلك لم يقتل كسرى الفرس الكافر سفير النبيّ محمد ﷺ، بل قال: لو كان السفير يقتل لقتلته...؟! فهل يكون النبي ﷺ دون كسرىٰ في الوفاء بالعهود والاعراف والعياذ بالله!!

وقد رفض عمر بنود صلح الحديبية، وقال ما شككت إلّا يومئذ، فيكون طلبه قتل سفير قريش نابعاً من رغبته في تحطيم معاهدة الحديبية؟

ونحن هنا نبحث عن معالم شخصية عمر بن الخطاب ﷺ، ومن خلال ترغيبه ومساعدته علىٰ قتل سفير قريش، ورئيس وفدها، وأحد وجوهها البارزين، نتذكر ما صمَّم عليه عمر في مكَّة من نيَّته وعزمه علىٰ قتل النبي ﷺ، ونتذكر طلبه من أبي بكر الأقدام علىٰ قتل علي ﷺ بعد حادثة السقيفة، وطلبه من جماعته قتل سعد بن عبادة (رئيس الانصار).

---

(١) المصدر السابق.

ان سبب امتناع عمر عن قتل سفير قريش، وطلبه من ابي جندل الأقدام على ذلك، يعود الى معرفة عمر بمقتل القاتل حتماً.

وأي معاهدة صلح يتصوّرها عمر، تبدأ بقتل أحد الموقّعين عليها، وفي داخل سقيفة المفاوضات وقبل جفاف حبر الوثيقة؟

وكما توقّع النبي ﷺ فقد اصبح الصلح مفتاحاً لنشر الاسلام وتعاليمه في مكّة، على اثر زيارة المسلمين لها وزيارة الكفار للمدينة... فعبر هذه الزيارات سقطت أغشية الحقد والكراهية، وبسقوطها سقط هبل واللات والعزى، فاطّلع الكفار على خلق النبي ﷺ الكريم، وعظم صفاته، وكمال شريعته، وانبهروا ببركة الاسلام، وأمنه، واحكامه الغراء، وما فتحه الله عليهم من مدن واراضي واسعة. وهذه الأسباب هي التي ساعدت على فتح مكّه، بعد سنتين من صلح الحديبية، ففتحها الرسول ﷺ مظفّراً عزيزاً، بعد ان زارها مع صحبه في السنة السابعة للهجرة؟!

ولا يعني هذا عدم قدرة الرسول ﷺ على فتح مكّة في السنة السادسة للهجرة، بل أراد الله سبحانه ان يبيّن أنَّ الحرب ليست المفتاح الوحيد لنشر الاسلام وفتح الدول. وأراد تعالى فتح مكّة للمسلمين سلماً لا حرباً.

وقد بيّن الله سبحانه قدرة المسلمين على فتح البلدان قائلاً: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾[1].

حصول فرج للمستضعفين

وكان في المستضعفين المعذّبين في مكّة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا

---

(١) الفتح، ٢٢.

بصير (عتبة بن اسد بن جارية)، احتال حتَّىٰ خرج من السجن، ففرَّ هارباً الىٰ رسول الله ﷺ، وهو في المدينة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية، فكتبت قريش في ردّه كتاباً بعثت به رجلاً من بني عامر، يقال له خنيس، ومعه مولىٰ يهديه الطريق، فقدما علىٰ رسول الله ﷺ بالكتاب فإذا فيه « قد عرفت ما شارطناك عليه من ردِّ مَنْ قدم عليك من أبنائنا. فابعث إلينا أبا بصير » فقال النبي ﷺ : يا أبا بصير، إنَّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصح الغدر، فإنَّ الله تعالىٰ جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. فانطلق راشداً.

قال: يا رسول الله إنَّهم يفتنوني عن ديني. قال ﷺ : يا أبا بصير انطلق؛ فان الله سيجعل لك ولم حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. فودَّع الرجل رسول الله وانطلق معهما، حتَّىٰ اذا كانوا بذي الحليفة جلس الى الجدار ومعه صاحباه.

فقال لاحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

قال: نعم.

قال أبو بصير: أرنيه فناوله إياه فاستله أبو بصير ثم علاه فإذا هو يتشحَّط بدمه. ثم همَّ بالثاني فهرب منه، حتَّىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ.

فلمَّا رآه النبي ﷺ والحصىٰ يطير من تحت قدميه من شدَّة عدوه، وأبو بصير في أثره.

قال ﷺ : قد رأىٰ هذا ذعراً فلمَّا انتهى إلى النبي قال له ﷺ : ويحك؟ مالك؟ قال: ان صاحبك قتل صاحبي، وأفلت منه ولم أكد، وأني لمقتول فأغثني يا محمد، فأمنه رسول الله، واذا بأبي بصير يدخل متوشحاً سيفه يقول: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله وفيت ذمَّتك أسلمتني بيد القوم، وقد أمتنعت منهم بديني، أن افتن فيه أو يفتن بي.

فقال ﷺ له : اذهب حيث شئت . فقال : يا رسول الله ﷺ هذا سلب العامري الذي قتلته ، رحله وسيفه فخمّسه .

فقال له رسول الله ﷺ : اذا خمّسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك ، وعند ذلك ذهب أبو بصير الىٰ محلٍ من طريق تمرُّ به عيرات قريش ، واجتمع اليه جمع من المسلمين المستضعفين ، الذين كانوا قد احتبسوا بمكّة إذ بلغهم خبره . وان رسول الله ﷺ قال في حقّه « إنّه مسعر حرب لو كان معه رجال ، فتسلّلوا حينئذ إليه ، وانفلت أبو جندل بن سهل بن عمرو ، وخرج من مكّة في سبعين فارساً أسلموا ، فلحقوا بأبي بصير ، وكرهوا ان يقدموا علىٰ رسول الله في تلك المدّة ـ مدة المهادنة ـ وانضم اليهم ناسٌ من غفار وجهينه وأسلم ، وطوائف أُخر من العرب حتّىٰ بلغوا ثلاثمائة مقاتل فقطعوا مارّة قريش ، لا يظفرون بأحدٍ منها إلّا قتلوه ، ولا مرَّ بهم عير إلّا أخذوها ، ومنعوا الدخول الىٰ مكّة والخروج منها .

فاضطرّت قريش أن تكتب لرسول الله تسأله بالأرحام التي بينه وبينها ، ألا آواهم ، وأرسلت ابا سفيان بن حرب في ذلك ، فابلغه أبو سفيان : أنّا اسقطنا هذا الشرط من شروط الهدنة ، فمن جاءك منهم فامسكه من غير حرج ، وحينئذ كتب رسول الله الىٰ أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه ، وأن يلحق من معهما من المسلمين بأهليهم ، ولا يتعرضوا لاحدٍ مرَّ بهم من قريش ، ولا لعيراتهم ، فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير ﷺ يموت فمات والكتاب في يده ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجداً ، وقدم أبو جندل علىٰ رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه ، ورجع باقيهم الىٰ أهليهم ، وأمنت قريش علىٰ عيراتهم .

وحينئذٍ عرف الصحابة الذين عظم عليهم ردُّ أبي جندل الىٰ قريش مع أبيه

أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه، وعلموا أنّ الحكمة كانت في الحديبية، وأنّه لا ينطق عن الهوىٰ[١].

ونفهم من ذلك حكمة النبي ﷺ في أفكاره وأقواله وأعماله، وإنّ الله سبحانه ناصر المسلمين، ومخالفة البعض للنبي ﷺ نابعة من قصر نظرهم، وضعف حكمتهم. وبالرغم من تلك الانتصارات وفتح مكّة استمر عمر في معارضة رسول الله ﷺ!

نظر عمر في اعمال النبي وأقواله

قال الله تعالىٰ في حقّ نبيه الكثير من الآيات القرآنية منها: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِن هُوَ إِلَّا وَحيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[٢].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم راكِعُون﴾[٣].

﴿وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الاقَاوِيلِ لَأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ﴾[٤].

﴿إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجنُونٍ﴾[٥].

---

(١) النص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين الموسوي ١٩٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٦، المغازي، الواقدي ٦٨/١.

(٢) النجم، ٣، ٤، ٥.

(٣) المائدة، ٥٥.

(٤) الحاقّة، ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٥) التكوير، ١٩ ـ ٢٢.

﴿وَمَآ ءاتَاكُمُ الرَّسُوْل فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾[١].

﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيراً﴾[٢].

﴿إنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤمِنُونَ وَلَا بِقَولِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾[٣].

ومن ذلك نفهم ان قول النبي ﷺ وفعله حجّة على العباد، فهو المسدَّد والمؤيَّد من السماء بحكمة يريدها الله تعالىٰ.. وقد قال الفخر الرازي حول آية التطهير: إنَّ أهل البيت ﷺ مطهَّرون عن الذنوب الصغيرة والكبيرة وقال تعالىٰ: ﴿وشَاوِرهُم فِي الأَمرِ، فَإذا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾[٤]. فالمشاورة جائزة ولكنَّ الأمر بيد الرسول ﷺ.

أما الاعتراض على الرسول ﷺ كما فعله عمر في مواطن متعدِّدة فمردود ومحكوم لانّه ليس باجتهاد. فلا اجتهاد أمام النبي ﷺ وفي حضرته، لأنَّ قول النبي ﷺ حجّة. فالاجتهاد الشخصي يحصل للوصول الى النص الشرعي، وهنا النص الشرعي موجود وقائل النص الشرعي (رسول الله ﷺ) حاضر؟!

ان مخالفة عمر للنص الشرعي واضحة، كوضوح الشمس، يفهمها العالم والجاهل.

والانسان العادي يخطأ ويزل، وعلينا ان نطلب العفو والرحمة له ولكل المسلمين المخطئين لا ان نبحث عن تبريرات لهم في مواجهة النبي ﷺ.

قال أبو سعيد الخدري: جلست عند عمر بن الخطاب ﷺ يوماً فذكر

---

(١) الحشر، ٧.

(٢) الأحزاب، ٣٣.

(٣) الحاقة، ٤٠ ـ ٤٣.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

القضيّة (صلح الحديبية) فقال : دَخَلني يومئذ من الشكّ ، وراجعت النبي ﷺ يومئذ مراجعة ما راجعته مثلها قط ... فينبغي للعباد أن يتّهموا الرأي ، والله دخلني من الشكّ حتّىٰ قلت في نفسي : لو كنّا مائة رجل علىٰ مثل رأيي ما دَخَلْنا فيه أبداً » . وقد كان اصحاب رسول الله ﷺ لا يشكّون في الفتح ، لرؤيا رسول الله ﷺ أنّه حلق رأسه ، وانّه دخل البيت ، فأخذ مفتاح الكعبة ، وعرف مع المعرفين ، فلمّا رأوا الصلح دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتّىٰ كادوا يهلكون . وقال عمر بن الخطاب : « ما شككت (بالاسلام) منذ اسلمت إلّا يومئذٍ »[١] .

وأخرج البخاري في سننه عن أبي موسىٰ : أنّ عمر سأل النبي عن أشياء يكرهها رسول الله ﷺ حتّىٰ رأىٰ عمر ما في وجهه من الغضب[٢] . وأخرج الإمام احمد بن حنبل في مسنده ، عن سلمان بن ربيعة قال : سمعت عمر يقول : قسّم رسول الله ﷺ قسمة ، فقلت يا رسول الله ، لغير هؤلاء أحقُّ منهم أهل الصفة . قال : فقال رسول الله ﷺ : إنّكم تسألوني بالفحش ، وتبخلوني ولست بباخل[٣] . ومن مخالفات عمر للرسول ﷺ ، التي صرَّح بها عمر نفسه ، ان رسول الله ﷺ قال ، لعمر ابن الخطاب حين أسلم : إستر اسلامك وان عمر أبى إلّا اعلانه[٤] .

عدم قتل ذي الثدية الخارجي

وقد أمر الرسول ﷺ أبا بكر وعمر بقتل ذي الثدية (الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير) رأس المارقة فلم يطيعا رسول الله في ذلك مرّتين .

---

(١) النهاية لابن الاثير ٣/٢٥٩.

(٢) سنن البخاري ، باب الغضب في الموعظة والتعليم من ابواب كتاب العلم ١/١٩ .

(٣) مسند احمد بن حنبل ١/٢٠ .

(٤) تاريخ فلسفة الإسلام ، محمد لطفي المصري ٣١٠ .

أخرج أبو يعلىٰ في مسنده: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل، يعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته، فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره، إذ طلع الرجل علينا، فقلنا: هو هذا، قال: إنّكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسفعة من الشيطان. فأقبل حتّىٰ وقف عليهم، ولم يسلّم، فقال له رسول الله ﷺ: أنشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل منّي او خير منّي؟ قال: اللهم نعم.

ثم دخل يصلّي فقال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل: قال أبو بكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلّي، فقال: سبحان الله: أقتل رجلاً يصلّي؟ وقد نهىٰ رسولُ الله عن قتل المصلّين؟ فخرج، فقال رسول الله: ما فعلت: قال كرهت أن أقتله، وهو يصلّي، وقد نهيت عن قتل المصلّين.

قال رسول الله: مَنْ يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا، فدخل، فوجده واضعاً جبهته. قال عمر: أبو بكر أفضل منّي.

فخرج فقال النبي ﷺ: مهيم؟

قال: وجدته واضعاً جبهته لله، فكرهت ان أقتله.

فقال ﷺ: مَنْ يقتل الرجل؟

فقال علي: أنا. فقال ﷺ: أنت إن ادركته. فدخل عليه فوجده قد خرج.

قال ﷺ: لو قُتِل ما اختلف من أمتي رجلان[١]. اسد الغابة، ترجمة ذي الخويصرة.

وقد قال النبي ﷺ: هذا أول قرن يطلع في أمتي، لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان، إنّ بني إسرائيل افترقت اثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمّة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا فرقة واحدة[٢].

---

(١) الاصابة لابن حجر، مسند احمد بن حنبل ١٥/٣، واخرجه ابن عبد ربه في العقد الفريد الجزء الأول.

(٢) تاريخ أبي زرعة ص٣١٨ ح١٧٨٣.

ولم يتمّ القضاء على هذا الخارجي إلّا في معركة النهروان، حيث قتلهم الإمام علي عليه السلام، ولم ينج منهم إلّا عشرة. وتسببت فتنة هذا المنافق في قتل الكثير من المؤمنين في التاريخ، واثارة حالة من الفوضى والارعاب في العالم الإسلامي. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لئن أدركتهم لاقتلنّهم قتل ثمود. وقال صلى الله عليه وآله ايضاً: إنّهم احداث الاسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريّة، ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم[1].

مقتل عصماء بنت مروان

كانت عصماء بنت مروان، (من بني أميّة بن زيد) تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي النبي صلى الله عليه وآله، وتعيب الإسلام، وتحرّض على النبي صلى الله عليه وآله وقالت شعراً:

فباست بني مالك والنّبيت ... وعوفٍ وباست بني الخزرج

أطعتم أتاويّ[2] من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج

ترجونه بعد قتل الرؤوس ... كما يرتجى مرق المنضج

قال عمير بن عدي بن خرشه بن أميّة الخطمي، حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إنّ لك عليّ نذراً، لئن رددت رسول الله الى المدينة لاقتلنّها ـ ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ ببدر ـ فلمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر، جاءها عمير بن عدي في جوف الليل، حتّى دخل عليها في بيتها،.. ثمّ وضع سيفه على صدرها، حتّى أنفذه من

(١) سنن مسلم في ٣٩٨/١.

(٢) الاتاوي: الغريب.

ظهرها، ثمَّ خرج حتَّىٰ صلَّىٰ الصبح مع النبي ﷺ بالمدينة.

فلمَّا انصرف النبي ﷺ نظر الىٰ عمير فقال: أقتلت بنت مروان؟

قال: نعم بأبي أنت يا رسول الله، وخشي عمير أن يكون افتات(١) على النبي ﷺ بقتلها، فقال: هل عليَّ في ذلك شيٌ يا رسول الله؟

قال: لا ينتطح فيها عنزان(٢) فإنَّ أول ما سمعت هذه الكلمة من النبي ﷺ قال عمير، فالتفت النبي ﷺ الىٰ من حوله، فقال: إذا أحببتم أن تنظروا الىٰ رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الىٰ عمير بن عدي.

فقال عمر بن الخطاب ﷺ: انظروا الىٰ هذا الأعمى الذي تشدَّد في طاعة الله.

فقال (الرسول ﷺ): لا تقل الأعمىٰ ولكنَّه البصير(٣).

فلمَّا رجع عمير من عند رسول الله ﷺ، وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا اليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير أنت قتلتها؟

فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظِرون، فوالذي نفسي بيده، لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتَّىٰ أموت أو أقتلكم.

فيومئذٍ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام، خوفاً من قومهم.

فقال حسّان بن ثابت يمدح عمير بن عدي:

بني وائل وبني واقف ... وخطمة دون بني الخزرج
متىٰ ما دعت اختكم ويحها ... بعولتها والمنايا تجي

---

(١) افتات: اي فرّق عنه اصحابه.

(٢) لا ينتطح فيها عنزان: معناه ان شأن قتلها هين لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(٣) المدهش ان رسول الله ﷺ يمدح عميراً وعمر يذمّه!

فــهزَّت فــتىً مــاجداً عِــرقُه ... كــريم المــداخــل والمخــرج
فــضرَّجها مــن نجــيع الدمــاء ... قــبيل الصــباح ولم يحــرج
فــاوردكَ اللهُ بــردَ الجــنا ... ن جــذلان في نــعمة المــولج[1]

فالنبي ﷺ يصفه بكونه رجل نصر الله ورسوله، فيعترض عمر بأنّه أعمىٰ؟! فيردّ الرسول ﷺ مقولة عمر، بنهي حازم: لا تقل الأعمىٰ ولكنّه البصير؟!

وجاء في تاريخ الخميس: «عندما قتل عمير بن عوف العصماء بنت مروان لهجوها النبي ﷺ، وتحريضها عليه، استحسن النبيُ ﷺ ذلك وقال: «مَنْ أحبَّ أن ينظر الىٰ رجل، كان في نصرة الله ورسوله، فلينظر الىٰ عمير بن عدي.

فقال عمر: الىٰ هذا الأعمىٰ؟ بات في طاعة الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: مه يا عمر فإنّه بصير»[2].

واضح علىٰ قول عمر ﷺ عدم تعبده بالنصوص الإلهية والنبوية؟! وقد صرَّح عمر بندمه علىٰ بعض أفعاله تلك، ولكنه ﷺ سرعان ما خالف النصوص الشرعية في مسائل أخرىٰ!

مَنْ رفع صوته عند النبي ﷺ؟

أخرج البخاري: كاد الخيِّران أن يهلكا: أبا بكر وعمر ﷺ، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ، حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس

(١) مغازي الواقدي ١/١٧٤.

(٢) تاريخ الخميس ١/٤٠٧ عن شواهد النبوة.

أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل لا احفظ إسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلّا خلافي. فارتفعت أصواتهما، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[١].

وأخرج البخاري ايضاً: أنَّ عبد الله بن الزبير أخبرهم، أنّه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر:

ما أردت إليَّ او إلّا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا (تجادلا)، حتّىٰ ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ (حتّىٰ انقضت الآية) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٢].

واخرج الحافظ أبو نعيم في حليته عن أبي عسيب: خرج رسول الله ﷺ ليلاً فدعاني، فخرجت إليه، ثمَّ مرَّ بأبي بكر فدعاه، فخرج، ثمَّ مرَّ بعمر فدعاه فخرج اليه، فانطلق حتّىٰ دخل حائطاً لبعض الانصار، فقال لصاحب الحائط: أطعمنا بسراً، فجاء بعذق (تمر) فوضعه فأكلوا، ثم بماء فشرب فقال: «لتسألن عن هذا يوم القيامة». قال وأخذ عمر العذق فضرب به الأرض، حتّىٰ تناثر البسر نحو وجه رسول الله ﷺ، ثمَّ قال: يا رسول الله: أئنا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة ؟ قال: نعم[٣].

أبو بكر وامارة الحج

في السنة التاسعة للهجرة بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج وقراءة سورة براءة ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي

---

(١) الحجرات، ٢.

(٢) الحجرات ١ ـ ٥، صحيح البخاري ٣/١٩٠ ـ ١٩١ تفسير سورة الحجرات.

(٣) حلية الاولياء ٢/٢٧، تفسير الطبري ٣٠/١٨٦.

الأرضِ أربعَةَ أشهُرٍ واعلَمُوا أنَّكُم غيرُ مُعجِزِي اللهِ وأنَّ اللهَ مُخزِي الكَافِرِين ﴾[١] ثم نزل جبرائيل على النبي ﷺ يخبره: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك. فقال النبي ﷺ: عليٌّ منّي وأنا منه، ولا يؤدي إلّا أنا أو علي[٢].

وقد روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بكر أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكّة: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلىٰ مدته، والله بريءٌ من المشركين ورسوله، قال: فسار بها (أبو بكر) ثلاثاً ثم قال لعلي: الحقه فرُد عليَّ أبا بكر وبلغها أنت، ففعل.

فلمّا قدم على النبي ﷺ أبو بكر بكىٰ، قال: يا رسول الله هل حدث فيَّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلّا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل منّي[٣]، وحكاه في الكنز بتفسير سورة التوبة[٤]، عن ابن خزيمة وأبي عوانة، والدارقطني في الافراد.

وروىٰ أحمد بن حنبل بسند عن علي عليه السلام قال: لما نزلت عشر آيات من سورة براءة على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي: ادرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلىٰ مكّة، فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله هل نزل فيَّ شيء؟ قال: لا، ولكن جبرائيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، ونقله في الكنز عن أبي الشيخ وابن مردويه،

---

(١) التوبة: ١، ٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤/١٦٤، كنز العمال ٦/١٥٣.

(٣) تاريخ أبي زرعة ص٢٩٨، مسند أحمد بن حنبل ٢/١.

(٤) كنز العمال ١/٢٤٦.

ونحوه في الكشاف أيضاً[١].

وروى الحاكم عن ابن عمر من حديث قال فيه: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلى أهل مكّة فانطلقا، فاذا هما براكب فقال: من هذا؟ قال: أنا علي يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ علي الكتاب فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة فقالا: ما لنا يا رسول الله؟ قال: ما لكما إلّا خير، ولكن قيل لي لا يبلغ عنك إلّا أنت أو رجل منك[٢].

وقد روى عودة أبي بكر وبكائه وذهاب علي بن أبي طالب أميراً على الحج أحمد بن حنبل وأبو يعلى من رواية أبي اسحاق عن يزيد بن منبع عن أبي بكر[٣].

واخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ﷺ ببراءة إلى أهل مكّة ثم بعث علياً ﷺ على أثره، فأخذها منه، فكأنَّ أبا بكر وجد في نفسه، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي.

وأخرج ابن مردويه رواية مشابهة ولكن من طريق أبي نافع.

وجاء في تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب انه رواه الطبرسي والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدّي والثعلبي والواحدي والقرطبي والقشيري والسمعاني واحمد بن حنبل وابن بطة ومحمد بن اسحاق وأبو يعلى الموصلي والأعمش وسماك بن حرب في كتبهم عن عروة بن الزبير وأبي هريرة وانس وأبي رافع وزيد بن نفيع وابن عمر وابن عباس واللفظ له: انه لما نزل ﴿براءة من الله ورسوله﴾ إلى تسع آيات أنفذ النبي ﷺ أبا بكر إلى مكّة لأدائها فنزل جبرائيل وقال: انه لا يؤديها إلّا أنت أو رجل منك، فقال النبي ﷺ لأمير المؤمنين: اركب

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٥١/١١، كنز العمال ٢٤٧/١، تفسير ابن كثير ٥٤٣/٢، ٥٤٤.

(٢) المستدرك، الحاكم ٥١/٣.

(٣) حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الزمخشري ٢٤٣/٢.

ناقتي العضباء والحق أبا بكر، وخذ براءة من يده. قال: ولما رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ جزع، وقال: يا رسول الله انك أهّلتني لأمر طالت الأعناق فيه، فلما توجّهت إليه رددتني منه؟ فقال ﷺ: الأمين هبط إليّ عن الله تعالىٰ: انه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وعلي منّي ولا يؤدّي عنّي إلّا علي.

وجملة الله تعالىٰ: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك مطلقة تسمح لعلي عليه السلام فقط. بتبليغ الأحكام الابتدائية مثل تلك التي جاءت في سورة براءة بمنع طواف العريان، ومنع دخول المشركين البيت الحرام.

ووجد اتباع الخط الأموي في ذلك الفعل الإلهي تضعيف لخطهم فتحركوا لتحريف ذلك النهج الإلهي فقالوا: بأنّ أبا بكر استمر في أمارة الحج وعلي عليه السلام مأمور تحت امارة أبي بكر، وقالوا: بان أمر الله هذا جاء وفق عادة عرب الجاهلية بان لا يبلغ في العهود إلّا شخص من قبيلته.

أقول بان النبي ﷺ كان رسولاً لله وزعيماً للبشرية وليس مثل رئيس قبيلة صغيرا ولم تكن في عادة الجاهلية أن لا يبلغ عن زعيم القبيلة إلّا فرد منها بل يمكن ذلك لكل حليف أو صديق. والأخطر من ذلك أن سورة براءة قول الله تعالىٰ وليس قول رئيس قبيلة كما يزعمون، وقول الله سبحانه لا يبلغه إلّا المطهرون من أفراد أهل البيت عليهم السلام من الذين قرنهم الله تعالىٰ مع القرآن في قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

ولماذا هذا التضعيف للقول الإلهي بانه جاء وفقاً لمعايير الجاهلية! ولو كان الأمر هكذا لما جاء اللهُ بشريعة وقوانين مخالفة لتعاليم وعادات الجاهلية!

وقد كذّب أبو بكر هؤلاء الكتاب بما فعله بعد رجوعه من بكائه، وما قاله للرسول ﷺ: هل نزل فيَّ شيئ؟

وقد كان أبو بكر وعمر في مرّات عديدة مأمورين، مرّة في حملة ذات

السلاسل تحت قيادة عمرو بن العاص ومرّة تحت قيادة علي ﷺ في حج السنة التاسعة، ومرّة تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومرّة في السنة العاشرة عندما استعمل ابا دجانة الساعدي أو سباع بن عرفطة الغفاري على ما في سيرة ابن هشام ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم. ومرّة عندما بعثهما في حملة اسامة بن زيد الى الشام فبقي أبو بكر وعمر يناديان أسامة بالأمير في طول مدة حياتهما.

وبذلك يكون عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح واسامة بن زيد قد ترأسوا على جيوش من جنودها أبو بكر وعمر، وهذا يثبت بانهما مع عثمان بن عفان من عامّة أصحاب النبي ﷺ، لم يميزهم عن غيرهم سوى السلطة السياسية التي سيطروا عليها في انقلاب السقيفة. بينما لم يتزعّم شخص على رسول الله ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب ﷺ.

وهناك مئات المصادر تذكر رواية أخذ علي بن أبي طالب ﷺ سورة براءة من أبي بكر ورجوع أبي بكر إلى المدينة وخوفه من نزول قرآن فيه أو وجده من ذلك، وتبليغ علي ﷺ لسورة براءة واذانه وحجة بالناس، منهم: أبو محمد أسماعيل السدي الكوفي المتوفي سنة ١٢٨ هـ وابو محمد عبد الملك ابن هشام البصري المتوفي سنة ٢١٨ هـ، وامام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١ هـ، وابو محمد عبد الله الدارمي صاحب السنن المتوفي سنة ٢٥٥ هـ، وابو عبد الله بن ماجة القزويني صاحب السنن المتوفي سنة ٢٧٣ هـ وابو عيسى الترمذي صاحب الصحيح المتوفي سنة ٢٧٩ هـ، والحافظ ابو عبد الرحمن أحمد النسائي صاحب السنن المتوفي سنة ٣٠٣ هـ، ومحمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ، ومحمد بن اسحاق المتوفي سنة ٣١١ هـ، وعبدالله البغوي صاحب المصابيح المتوفي سنة ٣١٧ هـ، وعبدالرحمن بن أبي حاتم التيمي المتوفي سنة ٣٥٤ هـ، وسليمان بن احمد الطبراني المتوفي سنة

٣٦٠ هـ، وعلي بن عمر الدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥ هـ، والحاكم النيسابوري صاحب المستدرك المتوفي سنة ٤٠٥ هـ، والبيهقي صاحب السنن، وجار الله الزمخشري والقرطبي صاحب التفسير الكبير، وابن الأثير صاحب الكامل في التاريخ وابن أبي الحديد وابن كثير والسخاوي وجلال الدين السيوطي والقسطلاني وابن حجر الهيثمي.

المخالفون لحملة أسامة

لقد حاول عمر وأبو بكر وجماعة آخرون، عدم الأنخراط في حملة اسامة بن زيد وتأخيرها، وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فعلاً من أفراد الحملة، كما جاء ذلك في تاريخ احمد زيني دحلان: «فلمّا أصبح يوم الخميس عقد ﷺ لأُسامة لواءً بيده ﷺ، ثمّ قال: اغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه الىٰ بريدة، وعسكر بالجرف، فلم يبق من المهاجرين الاولين والأنصار إلّا اشتدَّ لذلك، وتهيَّأ للخروج، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص ﷺ[١].

وذكر في شرح نهج البلاغة أن جلّة المهاجرين والأنصار كانوا في الحملة ومنهم أبو بكر، عمر، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير[٢]. وجاء في كتاب كنز العمال: «وفي ذلك البعث أبو بكر وعمر»[٣]. وجاء في طبقات ابن سعد: اخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ بعث سريّة

---

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية احمد زيني دحلان ٢/٣٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/٥٢.

(٣) منتخب كنز العمال بهامش مسند احمد بن حنبل للمتّقي الهندي ٤/١٨٠، الطبقات لابن سعد ٤/٦٦.

فيهم أبو بكر وعمر فاستعمل عليهم أسامة بن زيد»[١].

وقال ابن الأثير: واوعب مع اسامة المهاجرون الأوَّلون، منهم: أبـو بكـر وعمر، فبينما الناس علىٰ ذلك ابتديْ رسول الله ﷺ مرضه[٢].

ولو أردنا معرفة تاريخ أمر رسول الله ﷺ بحملة أسامة بن زيـد، نراجـع مغازي الواقدي: ذلك في يوم الثلاثاء، لثلاث بقين من صفر، وعقد له اللواء في يوم الخميس، للـيلة بـقيت مـن صـفر، ثمَّ مـرض الرسـول ﷺ، أي حـدثت هـذه الأحداث، بعد حوالي شهرين علىٰ حجة الوادع وبيعة غدير خم الشهيرة ونزول آية: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وأتمَمت عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾[٣].

وعن عصيان البعض لهذه الحملة بحجج شتَّىٰ، فقد ألقوا (الرواة الأمويون) بتبعة الأمر على المنافقين واخفوا أسماء كبار الصحابة.

ذكر الطبري: وقد أكثر المنافقون في تأمير اسـامة، حـتَّىٰ بـلغه، فـخرج النبي ﷺ على الناس، عاصباً رأسه من الصداع، فقال...: قـد بـلغني إنّ اقـواماً يقولون في إمارة أسامة، ولعمري لئن قالوا في إمارته، لقد قالوا في إمارة أبيه مـن قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للامارة، وإنَّه لخليق لها، فأنفذوا بعث اسامة[٤].

وعلىٰ رواية الواقدي الّتي تقول: إنّ الرسـولَ ﷺ أمر بالحملة في تاريخ ثلاث بقين من صفر، وتوفي في يوم الأثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول، يكـون عصيان جملة اسامة قد استمرَّ أسبوعين من الزمن؟!

وقد غضب الرسول ﷺ لذلك العصيان، والقيل والقال في زعامة أسـامة،

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٦/٤

(٢) الكامل في التاريخ ٣١٧/٢، ذكر احداث سنة أحدى عشرة.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٣١/٢.

فخرج وقد عصّب على رأسه عصابة، وعليه قطيفة، ثمّ صعد المنبر، وقال ﷺ: يا أيُّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في تأميري اسامة بن زيد؟ والله لئن طعنتم في إمارتي أُسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله، إن كان للإمارة لخليقاً وإنَّ إبنه من بعده لخليق للامارة.

وقد قالوا في اسامة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والانصار، وكان عمره ثمان عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة[1].

وذكر الواقدي شيئاً غامضاً عن المخالفين لحملة أسامة فقال: وكان أشدّهم قولاً عيّاش بن أبي ربيعة القائل: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاوّلين[2].

وقال الشهرستاني: الخلاف الثاني في مرضه إنّه قال: جهّزوا جيش أسامة، لعن اللهُ من تخلّف عنه. فقال قوم: يجب علينا إمتثال أمره، واسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد إشتدّ مرض النبي عليه الصلاة والسلام، فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه، فنصبر حتّى نبصر أيَّ شيءٍ يكون من أمره[3].

اذاً التخلف عن حملة اسامة كان يعتمد على عذرين: الأول: الشكّ في قيادة أسامة. والثاني: اشتداد مرض النبي ﷺ، وعدم قدرة العاصين على مفارقة الرسول ﷺ؟!

أمّا الشقُّ الاول، فقد أجاب عنه الرسول ﷺ، بتركيزه على قوّة وقابلية أسامة، وفعلاً أثبت ذلك في حربه هناك.

وأمّا الشقّ الثاني، فقد انتفى وانحلّت أركانه بلعن النبي ﷺ المتخلّفين عن حملة اسامة، ولا يمكن ان يكون العاصي والملعون على لسان النبي ﷺ

---

(١) تاريخ الطبري ١٨٨/٣، السيرة الحلبية ٢٠٧/٣.

(٢) مغازي الواقدي ١١١٨/٢.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

محباً له ﷺ.

وقداثبتت النصوص بتواتر الأوامر النبوية لأبي بكر وعمر بالانضمام إلىٰ حملة أسامة[١].

وذكر ابن سعد: إنَّ سريَّة أُسامة بن زيد بن حارثة الىٰ أهل أُبـنَى، وهـي أرض السرات، ناحية البلقاء، وقال: فلمَّا كان يوم الاربعاء بـدأ بـرسول الله ﷺ المرض فحمَّ وصدع، فلمَّا أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده، ثمَّ قال: اغزُ بسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأوَّلين والانصار إلّا إنتدب في تلك الغزوة، فيهم أبـو بكـر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسـعيد بـن زيـد وغيره، فتكلَّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوَّلين. فـغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب علىٰ رأسه عصابة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أمَّا بعد أيُّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في إمارة أُسامة، ولئن طعنتم في إمارة أُسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنَّه كان للأمارة لخليق، وإن إبنه من بعده لخليقاً للأمارة[٢].

وهناك أدلة تثبت وتبيِّن، أنَّ عمر وأبا بكر من جملة هؤلاء المعارضين لقيادة أسامة، إن لم يكونوا زعامتهم.

إنَّ أبا بكر والآخرين، الذين عصوا النبي ﷺ في أمره بحملة أُسـامة، هـم ذاتهم الذين عصوا النبي ﷺ في رزيَّة يوم الخميس. في يوم الخميس، لمَّا طـلب النبي ﷺ كتفاً ودواة ليكتب كتاباً لن تضلَّ أُمَّته من بعده، قـال عـمر وأبـو بكـر

---

(١) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد، المواهب اللدنية، القسطلاني ٣٥٩/١ ط. دار الكتب العلمية، بيروت، السيرة النبوية، ابن دحلان ١٤٥/٢. الخلفاء، الذهبي ص ١١.

(٢) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد، ٢٤٩/٢.

واتباعهم: لقد اشتدَّ مرض النبي ﷺ او قالوا: إنّه يهجر (والعياذ بالله) وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله[١].

اذاً تلك المجموعة، قد جاءت بحجّة وعذر لردّ أوامر النبي ﷺ في الذهاب للحرب والغزو، وفي جلب قرطاس ودواة لكتابة وصيّته. اذ قالت أولاً: قد اشتدَّ مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته.

وقالوا ثانياً: قد اشتدَّ مرض النبي ﷺ حسبنا كتاب الله. او إنَّ النبي ﷺ يهجر حسبنا كتاب الله.

ولا يمكن تقديم الأعذار الواهية لردّ كلام الرسول ﷺ، وتبرير عصيانه، لأنَّ النبي ﷺ في حملة أُسامة لعن المتخلّفين عنها، وغضب لذلك غضباً شديداً، حتّىٰ أنَّه خرج مخاطباً المسلمين في مرضه، معصوب الرأس، دلالة علىٰ وجوب الأمر، لاعناً المتخلفين عن الحملة[٢].

وفي يوم الخميس غضب عليهم النبي ﷺ ثانية، وطردهم من بيته، فاجتمع في حقّهم اللعن والطرد النبوي من بيته ﷺ.

والدليل الثاني علىٰ أنَّ أبا بكر وعمر من العاصين لحملة أُسامة: هو ذهاب أبي بكر الىٰ زوجته في السنح[٣]، بعد خطبة النبي ﷺ وغضبه والحاحه عليهم للخروج، ولعنه المتخلّفين عن الحملة.

وفعلاً لمّا مات النبي ﷺ، كان أبو بكر موجوداً في السنح، عند زوجته، عاصياً أمر النبي ﷺ في الغزو. وقد التفتت رجالات الأمويين الىٰ هذا فجعلوا لابي بكر إذناً نبوياً بالذهاب الى السنح، بعد خطبة النبي ﷺ وإلحاحه، في خروج

---

(١) صحيح البخاري ٤/٤٩٠، صحيح مسلم ١١/٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤١ ط. مؤسسة الأعلمي، كنز العمال ٧/٢٣٢ ط. مؤسسة الرسالة، أسد الغابة، ابن الأثير ٢/٣١٠.

المقاتلين، ولعن المتخلّفين![(١)]

ولا أدري كيف يعطيه النبيُّ ﷺ إذناً بالذهاب الى السنح بعد غضبه ولعنه المتخلفين عن الحملة. وأبو بكر جندي من جنود أسامة، وعدالة النبي ﷺ تأبىٰ أنْ يسمح لواحد منهم بالذهاب الىٰ احدىٰ زوجاته، لأنّه يومها وحصّتها..

وأوجد بعض الأعراب عذراً آخر لأبي بكر لتبرير عصيانه لحملة أسامة يتمثّل في طلب النبي ﷺ إليه البقاء في المدينة للصلاة بالناس وظاهر الأمر أن هذا التبرير من اختلاق الكتّاب المتأخرين، وهو معارض للتبرير الأول، بالذهاب إلى السنح.

فقد قال ابن دحلان: «فلا منافاة بين ما روي أنَّ أبا بكر ﷺ كان من ذلك الجيش، ومن روىٰ أنّه تخلّف، لأنّه كان من الجيش أولاً، ثم تخلّف لما استثناه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس[(٢)].

ولم يكتفِ ابن دحلان بتبرير قضية عصيان أبي بكر لحملة اسامة، فقال: إنَّ تخلّفه (أبا بكر) كان بأمر منه ﷺ، لأجل صلاته بالناس، وفيه اشارة إلىٰ انه خليفة بعده[(٣)].

ان أبا بكر لم يذهب إلىٰ معسكر أسامة في الجرف، ولم يبق في المدينة عند النبي المريض ﷺ، بل ذهب إلىٰ زوجته في السنح (خارج المدينة)!

ووجوده في السنح ينفي قضيّة صلاته بالناس، ويؤكّد عصيانه لحملة اسامة.

ولولا قول عمر لابي بكر بموت الرسول ﷺ، لبقي هناك مدّة أطول.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٢) السيرة النبوية، ابن دحلان ١٤٥/٢ ط. دار احياء التراث.

(٣) المصدر السابق.

والدليل الثالث: انَّ عمر بن الخطاب إستمرَّ في معارضته لقيادة أسامة بن زيد تلك الحملة بعد تولي أبي بكر السلطة، بالرغم من الغضب النبوي الشديد، وتأكيده ﷺ علىٰ صلاحيّة أسامة للقيادة؟!

اذ قال عمر بن الخطاب لابي بكر: «إنَّ الانصار أمروني أنْ أبلّغك، وانهم يطلبون اليك أن تولّي رجلاً أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمّك وعدمتك يا ابن الخطاب، إستعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن انزعه»[1].

وهكذا توضّح أنَّ مخالفة الجماعة لقيادة أسامة، لم تكن إلّا عذراً، الهدف منه البقاء في المدينة الىٰ ما بعد وفاة الرسول ﷺ للسيطرة على الحكم... وهؤلاء قد أدركوا قصد النبي ﷺ، وأهدافه في بيعة الغدير، وفي طلبه كتابة الوصيّة لعلي ؑ وأمره باخلاء المدينة من وجوه المهاجرين والانصار في حملة اسامة.

ولمّا تمَّ لابي بكر السيطرة على الحكم لم يبق موجب لمعارضة تلك الحملة وقيادتها؟! وفعلاً سيّرها أبو بكر الى الشام بقيادة أسامة بن زيد.

الدليل الرابع: لم يرغب أبو بكر وعمر بالسير في تلك الحملة، فطلبا اذناً من اسامة بن زيد فأعطاهما، ولكن إستمرّا في مناداته بالأمير في مدّة خلافتهما. أي استمرّا في رغبتهما السابقة في عصيان الانخراط في تلك الغزوة للتمكّن من ادارة الحكومة.

وبذلك فقد ذهب اسامة بن زيد في حملته، دون فردين وهما أبو بكر وعمر. اذ قال أبو بكر لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٣٤/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١، تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢.

حادثة يوم الخميس وكتابة الوصيّة

لقد استمرَّ عصيان البعض لحملة اسامة مدّة إسبوعين كما ذكر الواقدي، وفي هذه الفترة طلب النبيُّ ﷺ من المسلمين بالحاح الإلتحاق بغزوة أسامة، فلم ينفع معهم؟ فخطب بهم ثانية ولعن العاصين منهم فلم ينفع ذلك؟ فطلب منهم في الثالثة المجيئ بلوح ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فقالوا: النبي ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله؟!

إن تلك المجموعة العاصية لحملة أسامة، والملعونة من قبل النبي ﷺ[1]، هي التي منعت دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام، وأسّست السقيفة، وهاجمت بيت علي وفاطمة عليهما السلام، ونجحت في فرض خلافة دورية لقبائل قريش، دون بني هاشم والأنصار. وذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: فأوّل تنازع وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، بأسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: لمّا اشتدَّ بالنبي ﷺ مرضُهُ الذي مات فيه، قال: إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً، لا تضلّوا بعده.

فقال عمر رضي الله عنه: إنَّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط، فقال النبي ﷺ: قوموا عنّي، لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ[2].

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثمَّ بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتدَّ

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٣.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢.

برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع.

فقالوا: هجر رسول الله ﷺ. قال ﷺ: دعُوني فالَّذي أنا فيه خيرٌ ممَّا تدعوني اليه»[١].

وفي رواية قال عمر: إنّ النبيَّ ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله كتاباً، لن تضلُّوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر.

فلمَّا أكثروا اللغط والأختلاف عند النبيِّ، قال ﷺ: قوموا عنِّي[٢] أي أخرجهم ﷺ من بيته غاضباً عليهم.

وفي طبقات ابن سعد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: اشتكى النبيُّ ﷺ يوم الخميس، فجعل يعني ابن عباس يبكي، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس إشتدَّ بالنبيِّ ﷺ وجعه، فقال: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً، لا تضلُّوا بعده أبداً. قال: فقال بعض من كان عنده: إنَّ نبي الله لَيَهْجرُ.

قال فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال ﷺ: أو بعد ماذا؟ قال: فلم يدعُ به[٣].

وأخرج الامام أحمد بن حنبل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنَّه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثمَّ نظرت الىٰ دموعه علىٰ خدَّيه تحدر، كأنها نظام اللؤلؤ.

---

(١) صحيح البخاري ٤/٩٠-٤ باب جوائز الوفد، ح١٢٢٩، صحيح مسلم ٨٩/١١، طبقات ابن سعد ٣٦/٢، مصباح المنير ٦٣٤.

(٢) صحيح البخاري باب قول المريض قوموا عنّي ٩/٧، صحيح مسلم، آخر كتاب الوصيّة ٧٥/٥، مسند الإمام احمد ٣٥٦/٤ ح٢٩٩٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٢٤٢/٢.

قال: قال رسول الله ﷺ: أئتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً، لا تضلُّون بعده أبداً فقالوا: رسول الله يهجر[١]. بينما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾[٢] و ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ..﴾[٣].

وذكر سبط بن الجوزي: ولمَّا مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: إئتوني بدواة وبياض، لأكتب لكم كتاباً، لا تختلفون فيه بعدي، فقال عمر: دعوا الرجل فإنَّه ليهجر[٤].

واعترف عمر بمعارضته للرسول في يوم الخميس، قائلاً: إنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه الخ[٥]. أي أراد الرسول ﷺ أن يذكر الإمام علياً ﷺ للأمر.

وكان اعتراف عمر واضحاً في أيام خلافته بأنَّ النبيَّ أراد ان يصرِّح بإسمه (علي ﷺ) فمنعته؟! إذ سألوا عمر: ماذا أراد أن يكتب ﷺ في يوم الخميس؟ قال عمر: تعيين الخليفة علي[٦].

فعمر فهم هدف النبيّ ﷺ بطلبه دواة وصحيفة، أنَّه يريد كتابة الوصيَّة، وفهم من قوله: لأكتب كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً، ولاية علي بن أبي طالب ﷺ.

لأنَّ النبي ﷺ في غدير خم وعندما بايع علياً ﷺ ذكر ذلك النص: من كنت

---

(١) مسند احمد بن حنبل ١/٣٥٥.

(٢) آل عمران: ١٣٢.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالي ٢١، تاريخ ابن الوردي ١/١٢٩.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

(٦) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ٨/١٣٢.

مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. إن تمسّكتم به لن تضلُّوا بعده أبداً. وقال ﷺ أيضاً: «وإنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، ما إن تمسَّكتم بهما، لن تضلُّوا أبداً»[1].

فأصبح معروفاً تلازم أهل البيت ﷺ مع عدم الضلال، وتلازم علي ﷺ مع عدم الضلال.

لذلك اعترف الخليفة عمر لابن عباس لاحقاً قائلاً: أراد الرسول ﷺ أن يصرِّح باسمه في يوم الخميس، فمنعته[2].

وعمر الذي قال كلمة يهجر لرسول الله ﷺ في يوم الخميس كرَّرها ثانية عند مخاصمة طلحة لعثمان: كان بين عثمان وطلحة تَلَاحٍ في مسجد رسول الله ﷺ، فبلغ عمر ﷺ فأتاهم وقد ذهب عثمان، فقال: أفي مسجد رسول الله ﷺ، تقولان الهُجْر وما لا يَصْلُح من القول؟[3]

فجثا طلحة على ركبتيه وقال: إنّي والله لأنا المظلوم المشتوم! فقال: أفي مسجد رسول الله تقولان الهُجْر، وما لا يَصْلُح من القول؟ ما أنتَ منّي بناج. فقال: اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين، فوالله إنّي لأنا المظلوم المشتوم، فقالت أمّ سلمة من حجرتها: واللهِ إنَّ طلحة هو المظلوم المشتوم[4].

الملاحظ من هذا النص أنَّ عمر قد أراد ضرب طلحة بدرَّته لأنّه هجر في المسجد وقال ما لا يليق به. فهل يليق بعمر الصحابي ان يقول للنبي محمد ﷺ يهجر وهو يريد كتابة الوصيّة الإلهية للبشريَّة جمعاء؟!

---

(١) مسند احمد ٢٨١/٤، تفسير الفخر الرازي ٦٣٦/٣، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٢١، صحيح الترمذي ٦٢١/٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣.

(٣) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبّه ٣٢/١.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبّة ٣٣/١.

امامة أبي بكر للصلاة في صبيحة يوم الأثنين

قال مَعْمَر عن الزهري قال النبي ﷺ لعبد الله بن زمعة : مر الناس فليصلوا ، فخرج عبد الله بن زمعة فلقي عمر بن الخطاب ، فقال : صلِّ بالناس ، فصلىٰ عمر بالناس ، فجهر بصوته فسمع رسول الله ، فقال : أليس هذا صوت عمر ؟ قالوا : بلىٰ يا رسول الله فقال : يأبىٰ الله ذلك والمؤمنون ، ليُصَلِّ بالناس أبو بكر ، فقال عمر لعبد الله بن زمعة بئيس ما صنعت ، كنتُ أرىٰ أن رسول الله ﷺ أمرك أن تأمرني ، قال : لا والله ما أمرني أن آمر أحداً[١] .

وعن عائشة : لما ثَقُل رسول الله ﷺ قال : مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس . قالت : قلت : يا رسول الله إنَّ أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه فلو أمرت غير أبي بكر ، قالت : والله مابي الا كراهية أن يتشاءم الناس باول من يقوم مقام رسول الله ﷺ ، قالت : فراجعته مرتين أو ثلاثاً ، فقال : ليصل بالناس أبو بكر ، فانكن صواحب يوسف[٢] . وعن أنس بن مالك : لما كان يوم الأثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ، فرأىٰ أبا بكر وهو يصلي بالناس ، قال : فنظرتُ إلىٰ وجهه كأنه ورقة مصحف ، وهو يتبسم ، قال : وكِدْنا أن نفتتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ فإذا أبو بكر دار ينكص ، فأشار إليه النبي ﷺ أن كما أنت ، ثم أرخى الستر فقبض من يومه ذلك[٣] .

و « قالت عائشة خرج أبو بكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة ، فخرج يهادي

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢١٥ ـ ٢٢٤ ، المغازي النبوية ، الزهري ص١٣٢ .

(٢) صحيح البخاري ، فتح الباري ٨/١٤٠ ، مغازي الزهري ص١٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري ، فتح الباري ٨/١٤٣ ، مغازي الزهري ص١٣٢ .

بين رجلين كأني انظر إلىٰ رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخَّر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثمّ أتىٰ به حتىٰ جلس إلىٰ جنبه، فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلّون بصلاة أبي بكر»[١].

وهذه الرواية تثبت بأن النبي ﷺ لم يوصِ بالصلاة لأبي بكر، لأن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة بالرغم من مرضه الشديد منعاً لصلاة أبي بكر بالناس.

أمّا ما قالته عائشة من ان النبي ﷺ يصلي بالناس وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر فهذا يدل علىٰ امامة رسول الله ﷺ للصلاة.

لقد جاء حديث صلاة أبي بكر بدل النبي ﷺ في صبيحة يوم الأثنين عن طريق عائشة وانس بن مالك. واختلفت الروايات مرّة أن أبا بكر صلّىٰ بالناس ثلاثة أيام، ومرّة انه صلىٰ بهم صلاة صبح يوم الأثنين (يوم وفاته). واختلاف الروايات دليل بطلانها.

ويرد الحديث أيضاً بادلة أخرىٰ منها: أن عائشة وفي سبيل السيطرة علىٰ ملك المسلمين لابن عمها طلحة أو لابن اختها عبد الله بن الزبير افتعلت حرب الجمل التي راح ضحيتها قريب من عشرين ألف مسلم فما كانت ستفعل في سبيل ملك أبيها! فهل يصح مع هذا قبول حديثها في موضوع خلافة أبيها؟

لقد ردَّت عائشة نفسها ذلك الحديث إذ قالت بان النبي ﷺ قد قال لها انكن صواحب يوسف.

ومن الطبيعي أن يقول لها النبي ﷺ ذلك لأنها احتالت والحت في قضية امامة ابيها صبيحة يوم الأثنين.

فالنبي ﷺ لم يكن ليتكلم بهذا الكلام الجارح إن لم تكن القضية خطيرة.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٥٣.

والاحتيال في عملية الخلافة من الأمور العظمىٰ عند المسلمين.

وصواحب يوسف كما جاء في القرآن الكريم كن يلححن علىٰ يوسف في نفسه ويمتنع يوسف منهن ويفر من حيلهن، حتىٰ رغب في السجن هرباً من طلباتهن. وعائشة نفسها تروي حديث رسول الله ﷺ لها ولحفصة «انكن صواحب يوسف»[(١)].

ورغم هذه الاهانة النبوية لعائشة وفشل مسعاها في الحصول علىٰ أمر نبوي أو اجازة نبوية بامامة ابيها لصلاة صبيحة يوم الأثنين، فقد روت أمراً نبوياً بامامة ابيها لصلاة صبيحة يوم الأثنين! أي انها الحت في هذا الموضوع كثيراً في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته. ثم نطقت عائشة بكثير من الأحاديث الصحيحة في أواخر أيام حياتها بعدما ساءت علاقتها بالحكم الأموي أثر قتلهم لأخيها عبد الرحمن، مبطلة بذلك ما قالته من أحاديث بعد وفاة رسول الله ﷺ في سبيل إيصال أبيها إلى السلطة. منها: انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب[(٢)]. وأحب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال بعلها[(٣)].

ولقد صدر الأمر النبوي لابي بكر بالذهاب في حملة اسامة فكيف يكون حاضراً في المدينة في صبيحة يوم الأثنين. وحضوره دلالة عصيانه أمر النبي ﷺ.

وقد عصىٰ أبو بكر وعمر الأمر النبوي بالانخراط في حملة اسامة في زمن حياة النبي ﷺ وبعد مماته.

فيكون حال أبي بكر بين أمرين إمّا أن يكون موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الأثنين، وإما أن يكون قد ذهب إلىٰ زوجته في السنح (خارج المدينة).

---

(١) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، البداية والنهاية. ابن كثير ٢٥٣/٥.

(٢) حلية الأولياء ٦٣/١. المستدرك الحاكم ١٢٤/٣، كنز العمال ٤٠٠/٦.

(٣) الرياض النضرة ٢١٣/٢، كنز العمال ٨٤/٦. صحيح الترمذي ٣١٩/٢.

وفي الحالتين يكون عاصياً للأمر النبوي بالذهاب في حملة أسامة. إذ كان اسامة في الجرف، وإذا كان عاصياً للأمر النبوي فكيف يعيّنه النبي ﷺ اماماً للصلاة بدلاً عنه ؟

وإذا كان اماماً للصلاة بأمر نبوي فلماذا لم يبق في المدينة ليصلي بالناس بقية الأوقات ؟ فلقد كان أبو بكر في السنح عند موت النبي ﷺ ؟[1] وبعد مماته.

والمؤكد ان ابا بكر كان موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الأثنين ثم ذهب إلى السنح معرضاً عن الأمر النبوي بالذهاب في حملة اسامة إلى الشام. فعندما مات النبي ﷺ اجمعت الأخبار على وجود أبي بكر هناك، علماً بان النبي ﷺ قد مات قبل صلاة ظهر يوم الأثنين. واذا كانت أمامة الصلاة دلالة على الخلافة العظمى فلماذا لا تكون امارة علي بن أبي طالب ؑ للحج في السنة التاسعة دليلاً عليها ؟ وهي تتضمن امامة الصلاة وامارة الحج وتبليغ سورة براءة، وارجاع أبي بكر إلى المدينة، ووجله من نزول قرآن فيه وبكائه.

أما أنس بن مالك الراوي الثاني للحديث فلقد كان منحرفاً عن إمام المتقين علي بن أبي طالب ؑ، وكان انحرافه إلى درجة ان امتنع من الشهادة مع باقي الصحابة في مسجد الكوفة بسماعه حديث رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. فدعا عليه الإمام علي ؑ.

وكان أنس بن مالك مع أبي بكر وعمر في احداث السقيفة وما بعدها لذلك عيّنه أبو بكر والياً على البحرين[2]، وطرده عمر.

ومن الطبيعي أن يكون هذا الرجل الذي اعترف ولي المسلمين والمسلمون بكذبه غير صالح الحديث وخصوصاً في قضية سياسية تخص امامة المسلمين.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٣٢٣.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢١، تاريخ خليفة ص١٢٣.

مَنْ هنَّ صواحب يوسف؟

في يوم الخميس، وقبل أيام قليلة من وفاة رسول الله ﷺ، اختلف الرجال والنساء الحاضرون في استجابة طلب الرسول ﷺ كتفاً ودواة لكتابة الوصيَّة الإلهية.

وقد وقف بنو هاشم ومعظم نساء النبي ﷺ ونصف الحاضرين مع الطلب النبوي الشريف، ووقف أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة واتباعهم معارضين له.

وقد طلبت مجموعة النساء الأولىٰ من الحاضرين احضار كتف ودواة لرسول الله ﷺ فغضب عمر عليهنَّ ووصفهنَّ بصويحبات يوسف قائلاً: أُسكتن فإنَّكنَّ صواحبه، إذا مرض ﷺ عصرتن اعينكنَّ، فإذا صح أخذتنَّ بعنقه.

فقال رسول الله ﷺ هنَّ خيرٌ منكم[1].

إذن لم يوافق النبي ﷺ علىٰ وصف عمر لنسائه الطاهرات بصويحبات يوسف وهنَّ المطيعات للأمر النبوي (ومن المؤكد وجود فاطمة ﷺ وأمّ سلمة وسودة وام ايمن فيهن). وتمثَّل الرد النبوي في منحيين:

الأول تفضيل نسائه علىٰ أبي بكر وعمر وعصبتهم الرافضين لوصية النبي ﷺ.

والثاني رفض مقولة عمر بأنَّ نساء النبي ﷺ صويحبات يوسف. لأن صويحبات يوسف في نظر رسول الله ﷺ هن عائشة وحفصة ومن لف لفهن.

وبعد أربعة أيام علىٰ تلك الحادثة أي في يوم الأثنين بيَّن النبي ﷺ المستحق

---

(١) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ٣/١١٤.

لتلك الجملة في قوله ﷺ لعائشة وحفصة : إنّكنّ لانتن صواحب يوسف .

الملاحظ لمجموع الروايات في صلاة النبي ﷺ في صبيحة يوم الأثنين انها كانت كالآتي :

بعد أربعة أيام علىٰ حادثة يوم الخميس المرّة ، وبالذات في صبيحة وفاة النبي ﷺ في يوم الأثنين ، أمرت عائشة بلالاً ، باخبار أبي بكر علىٰ لسان النبي ﷺ ، بامامة المسلمين في صلاة الصبح !

وعندما علم النبي ﷺ بذلك ، غضب غضباً شديداً ، وخرج إلى الصلاة متّكئاً علىٰ علي ﷺ والفضل بن العباس ، فنحّىٰ أبا بكر ، وصلّىٰ جماعة بالناس . وبعد عودته إلىٰ غرفته في المسجد النبوي قال ﷺ لعائشة غاضباً : إنّكنّ لانتنّ صواحب يوسف .

الواضح من الروايات ان النبي ﷺ لم يأمر احداً بامامة الصلاة في يوم الأثنين وعندما علم بامامة أبي بكر للصلاة تحرك بسرعة إلى المسجد معتمداً علىٰ علي ﷺ والفضل بن العباس فجذب أبا بكر من ثوبه واقامه مقامه .

وصلّىٰ هو ﷺ بالمسلمين ولم يسمح لابي بكر بالصلاة بهم أي فعل به مثلما فعل به سابقاً في امارة الحج يوم ارجعه وارسل علي بن أبي طالب ﷺ مكانه .

والظاهر ان الأمر بامامة الصلاة صدر زوراً من عائشة وحفصة اللاتي انضممن إلىٰ عمر في قوله لرسول الله ﷺ يهجر ، يهجر . فانتقم النبي ﷺ من عائشة وحفصة قائلاً : « إنّكنّ لانتنّ صواحب يوسف »[1] .

ولكن عائشة ادّعت بأنّ النبي ﷺ هو الذي أمر أبا بكر بامامة الصلاة[2] .

إن الذي يقرأ روايتي عائشة وأنس بن مالك يجد تضاداً ومعارضة

---

(١) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢ ، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢ ، سيرة ابن هشام ٣٠١/٢ . الكامل في التاريخ ٣٢٢/٢ .

بين أمرين:

الأول: الأمر النبوي لأبي بكر بامامة الصلاة.

والأمر الثاني: قول رسول الله ﷺ لهن: أنَّكنّ لانتنّ صواحب يوسف، ويجد تعارضاً بين صلاة النبي ﷺ بالناس مرّة وصلاة أبي بكر بهم مرّة أُخرىٰ؟ فيفهم بان السياسة هي التي دعت عائشة لاختلاق أمر نبوي لأبي بكر بامامة الصلاة، مثلما فعلت في زمن عثمان عندما أفتت بقتل عثمان: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. ثم افتت بقتل قاتليه! متسببة في مذبحة مروّعة راح ضحيتها حوالي عشرين الف مسلم! وتظهر الأحاديث المذكورة مهزلة في عالم الحديث إذ جاء فيها بان أبا بكر صلّىٰ بصلاة النبي ﷺ والناس صلّت بصلاة أبي بكر. وان النبي ﷺ أكمل صلاة أبي بكر! وجاء في رواية بان النبي ﷺ شاهد أبا بكر يصلي مكانه فأشار إليه ان كن مكانك ثم جاء النبي ﷺ وصلّىٰ بالناس.

ولا ادري كيف شاهد النبي ﷺ أبا بكر في ذلك الظلام في صلاة الصبح وكيف شاهده أبو بكر وهو في غرفته المظلمة! وعلىٰ سرير المرض!

وفي زمن خلافة عمر سار عمر علىٰ منهجه الخاص، ففضّل المجموعة النسائية الثانية (عائشة وحفصة وام حبيبة) على المجموعة النسائية الأولىٰ فاطمة ﷺ وام سلمة. بالرغم مما قاله ﷺ للمجموعة الثانية بانهن صواحب يوسف.

إذ اعطىٰ عائشة وحفصة وام حبيبة بنت أبي سفيان اثني عشر الف درهم[1]. وحرّم هو وابو بكر فاطمة ﷺ من خمسها وفدكها[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢.

(٢) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١، سنن البيهقي ٦ باب سهم ذي القربى، مسند الشافعي. قسم الفئ ص ١٨٧.

وقطع عمر عطاء أمّ سلمة لمدة سنة[١].

فيكون عمر بن الخطاب قد أهان طرفين في يوم الخميس:

الطرف الأول رسول الله ﷺ بقوله له: انه يهجر.

والطرف الثاني: نساء الرسول ﷺ بقوله لهن: أسكتن فإنّكنّ صواحبه[٢]. وحرمانهنّ من حقوقهن لاحقاً!

عمر وجرأته الكبيرة

جاء في لسان العرب: الجرأة: الشجاعة، ورجل جريّ: مُقْدِمٌ من قوم أجْرِئاء وقد قال ابن عمر في أبي هريرة: لكنّه اجترأ وجَبُنّا. يريد أنّه أقدَمَ على الإكثار من الحديث عن النبي ﷺ وجَبُنّا نحن عنه، فكثر حديثُه وقلّ حديثُنا[٣].

ويقال كان الحجّاج شديد الجرأة على الله تعالىٰ. والجريّ هو المقدام، وقيل أجرأ من أسامة أي اشد اقداماً من الأسد[٤].

المعروف أنّ الجرأة هي الشجاعة، وقد يوجد انسان جريّ في أعماله، لكنّه غير معروف في ساحات الحرب والوغىٰ، بل انّه فرّار غير كرّار وجرأته منحصرة في الظلم.

وقد يتجرّأ شخص علىٰ آخرين فيهينهم، ويسلب حقوقهم، ويظلمهم بقوّة جيشه او قبيلته، ولكنّه يجبن عن مواجهتهم في ساحات القتال والصراع.

---

(١) دلائل الامامة، الطبري ص٣٩.

(٢) منتخب كنز العمال ٣/١١٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ١/٤٤.

(٤) أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، الشرتوني ١/١١١.

فالامام علي عليه السلام عرف بالشجاعة والبطولة، ولكنّه لم يجرأ على الإساءة الى النبي ﷺ وصحبه وعموم المسلمين. لان الجرأة في هذه الموارد تكون من الظلم، ولا تكون من الشجاعة، فالشجاعة لها قواعدها وأصولها.

وكان الخليفة عمر يملك جرأة في الوقوف أمام النبي ﷺ في أي مورد شاء. فقد أغضب الرسول ﷺ في عدّة مواضع وأحداث. وتجرّأ عمر علىٰ ابنته الصغيرة فدفنها حيّةً، وتجرّأ علىٰ أُخته فأدماها، وتجرّأ علىٰ فاطمة الزهراء عليها السلام فرفسها، وتجرّأ علىٰ أمّ فروة بنت أبي قحافة فضربها، وتجرّأ علىٰ سعد بن عبادة فوطأه، وقتله، وتجرّأ علىٰ علي عليه السلام فسحبه من بيته الىٰ مقرّ أبي بكر بمساعدة أعوانه[1].

فقد تجرّأ عمر علىٰ كثير من الناس بدءاً بالرسول ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، وابن عبادة، وأبي بكر وخالد، وامير ربيعة، وانتهاءً بابنته الصغيرة[2].

وقد تجرّأ الخليفة عمر على النبي ﷺ قبل اسلامه وبعد اسلامه، وفي حياة الرسول ﷺ وبعد موته. ومن جرأته في حياة رسول الله ﷺ وصفة النبي ﷺ بشجرة نبتت في كبا (مزبلة)[3].

ومن جرأته علىٰ رسول الله ﷺ بعد موته منع دفنه وابقائه بلا دفن (انتظاراً لمجيء أبي بكر) يومين وقيل ثلاثة أيام[4].

---

(١) السقيفة وفدك، الجوهري ص٥١.

(٢) مصادر هذه النصوص موجودة في موضوعات هذا الكتاب المختلفة.

(٣) تذكرة الفقهاء ٢/٤٧٠. صحيح البخاري ٨/٩٤، ٩٥. صحيح مسلم ٧/٩٢، ٩٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/١٨٨.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤٣، ٤٤٤. الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥. مسند أحمد بن حنبل ٣/١٩٦، سنن الدارمي ١/٣٩، طبقات ابن سعد ٢/٢٦٧، كنز العمال ٧/٢٣٢، السقيفة وفدك، عبد الفتاح عبد المقصود ص١٠٩، ١١١.

وكانت جرأته عالية بقوله لسفير الله في الارض: إنَّه يهجر[١]، ورفع صوته علىٰ صوت النبي ﷺ[٢]، وسحبه النبي ﷺ من ثوبه عند امامته صلاة الجماعة علىٰ روح ابن أُبي.

وقال عمر لصفيّة (عمّة النبي ﷺ)[٣]: إنّ قرابتك من رسول الله ﷺ لا تغني عنك من الله شيئاً، ردّاً علىٰ ما نزل من قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربَىٰ﴾[٤].

فكان بعض الصحابة يعتقدون ان بإمكانهم مخالفة وعصيان النبي ﷺ، ولو كان ذلك في محضره، وأمام عينيه، ولو أدّىٰ ذلك الىٰ غضبه ﷺ وانزعاجه.

وقد أدَّىٰ عصيان النبي ﷺ، في يوم رزيَّة الخميس، الىٰ غضبه وأمره بطرد العاصين لكلامه من بيته. فالنبي ﷺ الحليم والكريم الاخلاق والواسع الصدر، لم يتحمَّل ذلك الوضع المزري، والمعارضة المتوجه في الواقع الى الله سبحانه وتعالىٰ، لأنَّ معارضة أمر النبي ﷺ، تعني معارضة الله في واقع الحال. اذ قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِن هُوَ إِلَّا وَحيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَىٰ﴾[٥].

فكلامه كلام الله عزوجل، لا يخالفه إلّا من خالف الرحمن، وشذَّ عن الاسلام، والله العظيم يقول في كتابه الشريف: ﴿وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ

---

(١) صحيح البخاري ٤/٩٠، باب جوائز الوفد، صحيح مسلم ١١/٨٩.

(٢) اخرج البخاري: كاد الخيران أن يهلكا رفعا اصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأنزل الله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي...﴾ صحيح البخاري ٣/١٩٠، تفسير سورة الحجرات.

(٣) مجمع الزوائد ٨، ٢١٦.

(٤) الشورىٰ، ٢٣.

(٥) النجم، ٤، ٥.

لأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ ﴾[1].

وقد تعجّب الكثير من جرأة عمر في بيعته لأبي بكر في السقيفة، فقد قال ابنُ أبي الحديد المعتزلي: قال النقيب:

وممّا جرّأ عمر على بيعة أبي بكر، والعدول عن علي وما كان يسمعه من رسول الله ﷺ في أمره. أنّه أنكر مراراً على الرسول ﷺ أُموراً من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة، ممّا هي خلاف النص وذلك نحو انكاره عليه في الصلاة على عبد الله بن أُبي المنافق، وانكاره: فداء اسارى بدر، وانكاره عليه تبرُّج نسائه للناس، وانكاره قضيّة الحديبيّة، وانكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، وانكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، وانكاره أمره بالنداء من قال لا اله إلّا الله دخل الجنّة، وانكاره أمره بذبح النواضح، وانكاره على النساء بحضرة رسول الله ﷺ هيبتهن له دون رسول الله ﷺ، الى غير ذلك من أُمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلّا انكاره قول رسول الله ﷺ في مرضه: إئتوني بدواة وكتف، أكتب لكم مالا تضلُّون بعدي، وقوله ما قال، وسكوت رسول الله ﷺ عنه.

وأعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، وبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله، وقد كثر اللغط وعلت الأصوات: قوموا عنّي، فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع، فهل بقي للنبوة مزيّة او فضل؟!

فمن بلغت قوّته وهمّته الى هذا، كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه. غير خائف من الأنصار ولا ينكر عليه أحد... وهو أشد

---

(١) الحاقّة، ٤٤ ـ ٤٦.

من مخالفته النص في الخلافة ، وأفضع واشنع[١] .

إنّ النقيب العالم قد فسَّر بيعة عمر لابي بكر باسلوب رصين . اذ كان يجب الوقوف أمام معارضة ومخالفة عمر للنبيّ ﷺ ، في وقت مبكر ، كي لا تستفحل هذه الحالة عند عمر ، وتتطوَّر الىٰ درجة منع النبي ﷺ من كتابة وصيته ومخالفته في حضوره . .

فالنقيب يتعجَّب من عدم الرد الحاسم ، من قبل الأنصار أو غيرهم علىٰ عمر في يوم الخميس ، يوم طلب ﷺ كتابة الوصيَّة . . . لأنَّ الحالة كانت تتطلب رداً حاسماً ضدَّ عمر وجماعته في بيت النبي ﷺ . . .

وقد ذكر النقيب مخالفات عمر للرسول ﷺ ، ووضع يده علىٰ أشدِّ المخالفات خطورة ، ألا وهي منع النبي ﷺ من كتابة وصيَّته في داخل بيته ، وبين انصاره ، وإتّهامه بالهجر . فكان نتيجة ذلك اللغط ان طرد النبي ﷺ المخالفين له ، وهم عمر وأتباعه من بيته ، وهذا الغضب النبوي له معان كثيرة .

وثانياً بيَّن النبيُّ ﷺ أفضلية نسائه عليهم ، وهذا خطير جدّاً ، فقد ورد عن عمر : «كنَّا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النسوة حجاب ، فقال رسول الله ﷺ : اغسلوني بسبع قرب ، وأتوني بصحيفة ودواة ، أكتب لكم كتاباً ، لن تضلُّوا بعده أبداً . فقال النسوة : ائتوا رسول الله ﷺ بحاجته .

فقلت : أُسكتن فإنَّكنَّ صواحبه ، إذا مرض عصرتن أعينكنَّ ، فإذا صح أخذتنَّ بعنقه .

فقال رسول الله ﷺ : هنَّ خيرٌ منكم»[٢] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٣/١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) منتخب كنز العمال للمتقي الهندي ٣/١١٤ .

والمخالفة الثانية من عمر للرسول ﷺ كانت قبل وفاة النبي ﷺ أيضاً، حين قال عمر: محمد شجرة نبتت في كبا. كما ذكرنا ذلك في موضوع نسب عمر[١].

وبينما كانت حادثة يوم الخميس في بيت النبي ﷺ، كانت المخالفة الأخرىٰ في مسجد النبي ﷺ، ولا أدري أي الواقعتين أشدُّ ألماً علىٰ قلبِ النبي ﷺ؟ ولكنّي أدري بأنّ الوقعة الأولىٰ كانت بعد الواقعة الثانية.

وإذا كانت علاقة عمر وجماعته مع النبي ﷺ علىٰ هذه الحال في الأيام الأخيرة لوفاته ﷺ فكيف يروي اتباع الحزب القرشي كذباً أنّ النبي ﷺ قال: «عمر معي وأنا مع عمر، والحقُّ بعدي مع عمر..؟!»[٢].

إنّ عمر بن الخطاب قد صرَّح في خلافته بمنعه النبيَّ ﷺ من الوصيّة[٣]، ولكنّه نفسه أوصى الىٰ عثمان بن عفان!

وهنا يحقُّ لنا ان نسأل: لماذا مَنَع عمرُ النبيَّ ﷺ من الوصيّة وراح هو يوصي الىٰ من يريد؟ فهل مكانته الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية أعلىٰ من مكانة المصطفىٰ؟ واذا كانت وصيّة خاتم الأنبياء هجراً وهذياناً، فلماذا لا يتّهم نفسه بالهجر، يوم أوصىٰ وهو علىٰ أعتاب الموت؟

أم انّه مسدَّد والنبيُّ ﷺ يهجر والعياذ بالله؟

والذي يزيد في الطين بلّه، ان وصيّة عمر لم تقتصر على الخلفاء من بعده؟ بل أنه أوصى الىٰ اثنين من الولاة؟!! ولمّا كانت ولاية معاوية وسعيد بن

---

(١) تذكرة الفقهاء ٤٧٠/٢، صحيح البخاري ٩٤/٨ ـ ٩٥، صحيح مسلم ٩٢/٧ ـ ٩٣، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٨٨/٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٤/٢.

(٣) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ١٣٢/٨.

العاص والوليد بن عقبة محرزة في ظل حكم عثمان، يكون عمر قد أوصى الى خمسة من الولاة! ثم اوصى بابقاء جميع ولاته سنة واحدة.

فقد كتب عمر في وصيّته أن يولّى الامام سعد بن مالك (سعد بن أبي وقاص) الكوفة، وأبا موسى الاشعري[١].

وبعد بيعة ابن عوف لعثمان قال علي عليه السلام: يا ابن عوف، ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا، من دفعنا عن حقّنا والاستئثار علينا، وإنّها لسنّة علينا، وطريقة تركتموها[٢]. فيكون عمر قد منع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته بينما أوصى هو إلى عثمان وسعد والأشعري ومعاوية والوليد وسعيد!

حادثة انكار وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وبينما الناس في حزن شديد، وأسىً بالغ، إذ طلع عليهم عمر بقول عجيب، تمثّل في نكرانه موت الرسول صلى الله عليه وآله. فأحدث هَرَجاً وَمَرَجاً اكبر من ذلك اللغو الحاصل في يوم الخميس، عندما قال: النبيُّ صلى الله عليه وآله يهجر.

وهو دون الهرج والمرج، الذي أحدثه عمر في اليوم التالي لدفن النبي صلى الله عليه وآله، إذ جاء مع صحبه لاحراق بيت فاطمة بنت محمد عليها السلام، قبل مضي يومين على وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

فخرج الناس عن بكرة أبيهم لرؤية عمر وجماعته وهم يحملون حطباً وناراً لاحراق أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله بينما بايع المسلمون النبي صلى الله عليه وآله في بيعة الحديبية بالدفاع عنهم كما يدافعون عن أهلهم؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد ٥٠/٩، طبع دار احياء الكتب العربية.

(٢) شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد ٥٣/٩.

وقد حاول عمر تأخير دفن النبي ﷺ الى حين مجيء أبي بكر من السنح ، فصرَّح بعدم موت النبي ﷺ مستخدماً اسلوب الحلف والقسم بالله العظيم لاقناع المسلمين بحياة النبي ﷺ (الميت فعلاً) فقال: إنَّ رسول الله واللهِ ما مات ولا يموت[١].

واللهِ ليرجعنَّ رسولُ الله[٢].

ولما جاء أبو بكر من السنح قال لعمر: ايها الحالف على رسلك[٣].

وقد قال عمر عن موت النبي ﷺ عدَّة اوصاف لا يشبه بعضها بعضاً وهي:

: ذهب ﷺ الى الله تعالى في الأرض بجسده..[٤]

: ذهب ﷺ الى السماء بروحه وجسده مثل عيسى ﷺ[٥].

: عرج الى السماء بروحه مثل موسى ﷺ[٦].

: مغشيٌّ عليه[٧]... وهذه الأوصاف يخالف بعضها بعضاً ؟!

وبينما قال عمرُ للناس أن النبي ﷺ لم يمت، ويحلف بالله العظيم بذلك. في نفس ذلك الوقت أرسل عمرُ سالمَ بن عبيد الى أبي بكر، ليخبره بموت النبي ﷺ ؟![٨]، وضرورة مجيئه بسرعة وهكذا تلاعب عمر بجسد النبي ﷺ ومراسم دفنه، دون أي احترام منه لخاتم الانبياء، لاقتضاء المصلحة السياسية

(١) تاريخ الطبري ٤٤٢/٢، تاريخ اليعقوبي ١١٤/٢، سيرة ابن هشام ٣٠٥/٤.

(٢) المصدر السابق، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣٢٣/٢، سيرة ابن هشام ٣٠٥/٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٢٨/١.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٢/٢، سيرة ابن هشام ٣٠٥/٤.

(٥) الملل والنحل، الشهرستاني ١٥/١.

(٦) سنن الدارمي ٣٩/١.

(٧) طبقات ابن سعد ٢٦٧/٢.

(٨) كنز العمال ٢٣٢/٧ ط. مؤسسة الرسالة.

ذلك! وبينا قال الرسول ﷺ لعمر في الكعبة ليلاً (يوم كان يؤذيه): أما تتركني يا عمر ليلاً ولا نهاراً[١].

نتصور قوله ﷺ لعمر بعد مماته: أما تتركني يا عمر حيًّاً وميّتاً!

ويعجب المسلم من قسم وحلف عمر بالله العظيم زوراً لاقتضاء المصلحة السياسية ذلك!

فهو يعلم يقيناً بموت النبي لكنه يقسم باليمين المغلظة بعدم وفاته ﷺ!

ومعظم الأحداث العظيمة والخطيرة التي وقعت بين عمر وجماعته من جهة والنبي ﷺ وأهله، من جهة أخرى حدثت في السنة الأخيرة من حياة النبي ﷺ وبطل هذه الأحداث كلّها الجريء عمر، وأبو بكر.

فقد ذكر الإمام احمد بن حنبل في مسنده، حديث أنس عن يوم وفاة النبي ﷺ إذ قال عمر: إنَّ رسول الله لم يمت، ولكنَّ ربَّه أرسل اليه، كما أرسل الى موسى، فمكث عند قومه اربعين ليلة. إنّي لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتّى يقطّع أيدي رجال من المنافقين، وألسنتهم يزعمون أو يقولون: إنَّ رسول الله قد مات[٢]. وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: وروى جميع أصحاب السير، أنَّ رسول الله ﷺ، لمَّا توفي كان أبو بكر بالسنح، فقام عمر بن الخطاب، فقال: ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتّى يظهر دينه على الدين كله، وليرجعن فليقطعنَّ أيدي رجال، وأرجلهم ممّن أرجف بموته.

وقال عمر: لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله ﷺ إلّا ضربته بسيفي، فجاء أبو بكر، وكشف عن وجه رسول الله ﷺ وقال: بأبي أنت وأمّي طبت حيًّاً وميّتاً، والله لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثمَّ خرج، والناس حول عمر، وهو يقول

---

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ١١٠.

(٢) مسند الإمام احمد ٣/١٩٦.

لهم: إنّه لم يمت، ويحلف.

فقال له: أيُّها الحالف علىٰ رسلك ثمّ قال: من كان يعبد محمداً، فانّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد اللهَ، فإنّ اللهَ حيٌّ لا يموت.

ولا يحتاج الأمر الىٰ شهادة أبي بكر لأنّ الله تعالىٰ قال: ﴿إنّكَ مَيّتٌ وإنّهُم مَيّتُونَ﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿أفإن مَاتَ أو قُتِلَ إنقَلَبتُم عَلَىٰ أعقابِكُم﴾[2].

قال عمر: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها، أن سقطت علىٰ الأرض، وعلمت أنَّ رسول الله ﷺ قد مات[3]. فعمر لم يطمئن بقول القرآن والنبي ﷺ والمسلمين جميعاً بموت رسول الله ﷺ، بل اطمأن بقول أبي بكر فقط؟! وكيف لم يطمئن عمر بموت النبي ﷺ، وهو الذي أرسل سالم بن عبيد الىٰ أبي بكر في السنح، ليخبره بموت المصطفىٰ محمد ﷺ؟!![4]

وذكر الطبري: أنّه لمّا توفي رسول الله ﷺ، قام عمر بن الخطاب، فقال: إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله توفي، وإنَّ رسول الله واللهِ ما مات، ولكنّه ذهب الىٰ ربّه، كما ذهب موسىٰ بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثمَّ رجع بعد أن قيل قد مات.

واللهِ ليرجعن رسولُ الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، يزعمون أنَّ رسول الله مات. قال وأقبل أبو بكر، حتّىٰ نزل علىٰ باب المسجد، حين بلغه الخبر، وعمر يكلّم الناس، فلم يلتفت الىٰ شيء، حتّىٰ دخل علىٰ رسول الله ﷺ في بيت

---

(١) الزُّمر، ٣١.

(٢) آل عمران، ١٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٢٨.

(٤) كنز العمال ٧/٢٣٢، طبع مؤسسة الرسالة، أسد الغابة، ابن الأثير ٢/٣١٠ ط. دار التراث بيروت، الاصابة، ابن حجر ٢/٤ ط. دار احياء التراث، بيروت.

عائشة، ورسولُ الله مُسجّىٰ في ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتّىٰ كشف عن وجهه، ثمَّ أقبل عليه فقبّله.

ثمَّ قال: بأبي أنتَ وأُمّي أمّا الموتة الاولىٰ فقد ذقتها، ثمَّ لن يصيبك بعدها موته أبداً. ثمَّ ردَّ الثوب علىٰ وجهه، ثمّ خرج وعمر يكلّم الناس، فقال: علىٰ رسلك يا عمر، فأنصِتْ، فأبىٰ إلّا ان يتكلّم، فلمّا رآه أبو بكر لا ينصت، أقبل على الناس، فلمّا سمع الناس كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمَّ قال: أيُّها الناس، إنّه من كان يعبد محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ اللهَ حيٌّ لا يموت، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ﴾. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية نزلت علىٰ رسول الله ﷺ حتّىٰ تلاها أبو بكر يومئذ. قال: وأخذ الناسُ عن أبي بكر، فإنّما هي في أفواههم.

قال عمر: والله ما هو إلّا أن سمعت أبا بكر يتلوها فَعُقِرتُ[1].

فعمر قال هناك: إنَّ الرسول ﷺ لم يمت، بل ذهب الىٰ ربّه كموسىٰ وإنَّ محمداً لا يموت، حتّىٰ يظهر دينه على الدين كله.

فان كان النبي ﷺ ذهب الىٰ ربّه مثل موسىٰ، فلماذا نسي جسده في المدينة؟! بينما ذهب موسىٰ مع جسده إلىٰ ربّه، وخلّف هارون عليهم.

وذكر القرآن أخباراً بوفاة الناس ومنهم محمد ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفإِن مَاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَىٰ أَعقَابِكُم﴾[2] و ﴿كُلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ﴾[3]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾[4]، ﴿فَلَمَّا قَضَينَا عَلَيهِ المَوتَ مَا دَلَّهُم عَلَىٰ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/٤٤٢، تفسير روح المعاني للآلوسي ٤/٧٤.

(٢) آل عمران، ١٤٤.

(٣) آل عمران، ١٨٥.

(٤) الزمر، ٣٠.

مَوتِهِ إلَّا دَابَّةُ الأَرضِ تأكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾[١] ولقد ذكر النبي ﷺ في عدَّة حوادث في الغدير، وحجَّة الوداع، وفي يوم الخميس، وفي خطب أخرى قرب موته، إذ قال: إغسلوني بسبع قرب، وأتوني بصحيفة ودواة لأكتب لكم كتاباً، وليغسلني علي بن أبي طالب ﷺ وقال النبيُّ ﷺ في حجَّة الوداع: إنِّي مخلِّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

وقال ﷺ في غدير خم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه بمعنى الوصيَّة لعلي ﷺ[٢]. اذاً كان موت النبي ﷺ الوشيك واضحاً للمسلمين دون ريب؟! والظاهر وجود جماعة تساعد عمر في ادعائه، ومن المحال أن يتمكَّن عمر وحده من تأخير دفن النبي ﷺ الىٰ زمن مجئ أبي بكر وتلك المجموعة هي التي ساعدته في احداث السقيفة، واخذ البيعة لابي بكر والهجوم علىٰ بيت فاطمة ﷺ.

ولو كان عمر يؤمن بعدم موت النبي القريب، فلماذا منع النبي ﷺ في يوم الخميس من كتابة وصيَّته؟!! ولماذا أنكر عمر أقوال المسلمين والآيات القرآنية والأحاديث النبوية بموت النبي ﷺ وأخذ بقول أبي بكر فقط؟!

ولماذا ترك عمر وأبو بكر مراسم دفن الرسول ﷺ، وذهبا الىٰ سقيفة بني ساعدة لأخذ البيعة لانفسهما؟

الجواب الأقرب للواقع: انَّ عمر وجد المصلحة الشخصيَّة والحزبية تتمثَّل في ايقاف مراسم دفن الرسول ﷺ، الىٰ حين عودة أبي بكر من خارج المدينة، وعليه اصطنع قضيَّة عدم وفاة الرسول ﷺ وقصَّة ذهابه الى السماء؟!

واضطرَّ عمر لأجل هذا الىٰ استخدام التهديد والوعيد، بأنَّ النبيَّ ﷺ سيعود ويقطع أيدي رجال وأرجلهم ممَّن أرجف بموته. وقال ايضاً: لا أسمع رجلاً يقول:

---

(١) سبأ، ١٤.

(٢) تاريخ الإسلام، الخطيب ص ٢٣٢، سنن النسائي ٢٨١/٤.

مات رسول الله ﷺ إلّا ضربته بسيفي.

كما اضطّر عمر لوصم من قال بوفاته ﷺ بالنفاق، والقائلون بوفاته هم جميع اهل المدينة من الانصار والمهاجرين الا عمر واتباعه. إذ قال عمر: سوف يقطع النبيُ ﷺ أيدي رجال من المنافقين والسنتهم، يزعمون او يقولون إنَّ رسول الله قد مات!![1] كما اضطرَّ عمر، لأجل تمشيه قضيَّته، الىٰ اتهام النبي ﷺ بالدمويَّة، بأنَّه سيقطع ألسن وأيدي وأرجل، لا لذنب ولا لجريمة لهم سوىٰ قولهم بموت النبي ﷺ[2]. وأدَّت عملية ادعاء عدم موت الرسول ﷺ، الىٰ تأخير عملية دفنه ﷺ، والتشويش علىٰ مراسم تجهيزه ﷺ، ولم يصح الناس من حيرتهم تلك، واختلال توازنهم ذاك إلّا علىٰ مراسم زفّ أبي بكر الىٰ مسجد النبي ﷺ خليفة للمسلمين! وعمر الذي كان ممسكاً بسيفه، مكذّباً موت النبي ﷺ، أمسك بعدها بعسيب نخل يدعو الناس الى بيعة أبي بكر!!

وفي ظل هذا التشويش، والتهريج المنظم، بقي جسد رسول الله ﷺ مطروحاً على الأرض، دون احترام ولا دفن ليومي الاثنين والثلاثاء!! وقيل بقي ثلاثاً لم يدفن[3]. فشاهدت روح نبيّنا محمد ﷺ حالة الصخب والضجيج بادعاء عدم موته ﷺ، والاستهانة بمراسم تجهيزه، وحالة الفرح والسرور في زفّة أبي بكر الى المسجد من قبل عمر وانصاره.

وهكذا كان رسول الله ﷺ قد ولد يتيماً، وعاش فقيراً، وتعرَّض لأبشع انواع الظلم، في سبيل نشر الإسلام، من قبل الكفار والمنافقين. ومقولة النبي ﷺ لعمر في داخل الكعبة ما زال النبي ﷺ وعمر والناس يتذكّرونها: أما تتركني يا

---

(١) مسند أحمد ٣/١٩٦.

(٢) مسند أحمد ٣/١٩٦، تاريخ الطبري ٢/٤٤٢، تفسير روح المعاني ٤/٧٤.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١/١٣٠، تاريخ الطبري ٢/٤٤٢، ٤٤٣.

عمر ليلاً ولا نهاراً ؟ ![1]

وبعدما أنكر عمر موت النبي ﷺ ، يكون لسان حاله ﷺ : أما تتركني يا عمر في حياتي ومماتي .

ففي حياتي تقول بأنّني أهجر (أي ميت) وفي مماتي تقول إنّني حي ؟!

وقد قرن الله سبحانه بين موت النبي ﷺ وانقلاب وارتداد الناس ﴿أفإن مّات أو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَىٰ أعقابِكُم﴾ وقال النبي ﷺ : أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم[2].

وقد اعترف ابن أبي الحديد المعتزلي ، بتلفيق عمر لقصّة عدم موت النبي ﷺ ، لخوفه من الفتنة ، وتغلب أقوام على الخلافة[3].

وشارك عبد الفتاح عبد المقصود المصري ابن أبي الحديد في اتّهام عمر باصطناع الموقف قائلاً : كلُّ أعمال عمر من بيعته لابن الجراح ، وذهابه وحده مع أبي بكر الى السقيفة و... نعتذر عنها لولا تهديد عمر للقائلين بموت النبي ﷺ ، وبهذا التهديد يتّهمه عبد الفتاح باصطناع الموقف[4].

حتىٰ فلانة لم تشترك في مراسم جهاز النبي ﷺ

بعد مجئ أبي بكر من السنح ذهب مع عمر وابن الجراح الى السقيفة ، وذهب الىٰ هناك ايضاً الكثير من أفراد الحزب القرشي تاركين وراءهم جسد النبي ﷺ بلا غسل ولا صلاة ولا تشييع ولا دفن .

وقد ثبت حضور الكثير من أفراد الحزب القرشي في السقيفة مما يؤيد

---

(١) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ص ١١٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١/ ١٣٠.

(٤) السقيفة والخلافة ، عبد الفتاح عبد المقصود ١٠٩ ـ ١١١.

وجود اتفاق قبلي بينهم علىٰ ترك مراسم جهاز النبي ﷺ والتوجه إلىٰ سقيفة بني ساعدة لاجراء مراسم بيعة أبي بكر ا فقد ثبت وجود أبي بكر وعمر وابن الجراح وابن عوف والمغيرة وخالد بن الوليد واسيد بن حضير وبشير بن سعد ومعاذ بن جبل في السقيفة. وفرّت عائشة أم المؤمنين أيضاً من مراسم جهاز النبي ﷺ لتساعد في تدبير خلافة ابيها إذ روىٰ أحمد بن حنبل أن عائشة كانت غائبة يومين بعد وفاة النبي ﷺ، ولم تشهد جنازته: إذ جاء:

«عن عمرة عن عائشة قالت: واللهِ ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتىٰ سمعت صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء»[١].

ولكن الأمويين رووا ما رووا كذباً علىٰ رسول الله ﷺ، في حين لم تكن هي في غرفتها، فلم تعلم بوقت دفن النبي ﷺ الا من سماعها صوت المساحي في آخر الليل ليلة الأربعاء.

* * *

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦٢/٦، سنن البيهقي ٤٠٩/٣.

السقيفة والخلافة

احداث السقيفة

الظاهر من عمل أبي بكر وعمر في السقيفة، وما قبلها وما بعدها، ان التخطيط الذي خطّطاه مع صحبهم كان دقيقاً وناضجاً للغاية، قد استنفد وقتاً طويلاً وجهوداً حثيثة من عدّة اشخاص، فقد اشترك الى جانبهما ابو عبيدة بن الجراح، وعثمان وابن العاص وانس وقنفذ واسيد.

ذكر اليعقوبي وقد شارك المغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وعبد الرحمن ابن عوف في السقيفة[1].

وبجهود أولئك الاشخاص مُنِع النبي ﷺ من كتابة وصيته في يوم الخميس، ومُنِعت حملة اسامة من التحرك الى الشام، ومُنِع الناس من دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام تمّ فيها انتخاب أبي بكر في السقيفة. وظاهر الامر ان تخطيط التحرّك كان يعتمد على الأمور التالية:

سلب السلطة من القوتين الاساسيتين في المدينة بني هاشم والأنصار، لذلك اقترحت الخطّة مهاجمة كلّاً منهما على حدة. وبما ان بني هاشم سينشغلون بمراسم دفن الرسول ﷺ، فالأفضل ارضاء الأنصار أولاً وانتزاع البيعة منهم، ثمّ اقامة بيعة سريعة، قبل انتهاء بني هاشم من مراسم دفن

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٣، الاصابة، ابن حجر ١/٣٢٥.

الرسول ﷺ. لقد أدرك عمر وابو بكر وابو عبيدة أنَّ الانصار قوة كبيرة، يحسب لها حساب في المدينة المنوَّرة، وأي خليفة منتخب يجب أن يحصل على تأييدها، للوصول الى السلطة، فهم أكثر من نصف سكان المدينة.

وفي الأنصار الصحابة الكرام، الذين اشتركوا في معركة بدر، واحد، وخيبر وحنين، وغيرها. وهم الذين بايعوا بيعة الرضوان والعقبتين، ونصروا الرسول ﷺ والمهاجرين بأموالهم، وأنفسهم، وجهودهم. ولو مال الأنصار بأجمعهم إلى أي طرف لمالت كفَّته، وحقَّق أهدافه. وقد قال رسول الله ﷺ: آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حبّ الأنصار(١).

وعن البراء ان النبي ﷺ قال في الأنصار: لا يحبّهم إلّا مؤمن ولا يبغضهم إلاّ منافق. من أحبهم أحبَّهُ الله ومن أبغضهم أبغضه الله(٢).

وكانت خطَّة أبي بكر وعمر وابن الجراح تتمثَّل في اقصاء هذه الطائفة عن الخلافة، بصورة اساسية وجذرية كي لا ينافسوا قريشاً أبداً.

وقد أدركوا أنّ هذا لا يتم بأدلة قبلية، ولا حجج عقلية، ولا براهين عرفية، بل يتمّ بأحاديث نبوية...

فجاؤهم بحديث: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش، والامراء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش.

وفي الواقع هذا الحديث هو امتداد لحديث الثقلين، إذ قال ﷺ: إنِّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وأحدهما اكبر من الآخر، وأنهما لن يفترقا الى يوم القيامة(٣).

---

(١) صحيح مسلم ج ٣٢/١ حديث ٧٤.

(٢) صحيح مسلم ج ٣٢/١ حديث ٧٥.

(٣) كنز العمال ٤٥/١، سنن الترمذي ٣٠٨/٢، اسد الغابة، ابن الاثير ١٢/٢، الصواعق المحرقة، ابن حجر ١٣٦، سنن مسلم ١٢٢/٧، مسند احمد ١٨١/٥.

فذلك الثقل اوله علي ﷺ وآخره المهدي ﷺ وهم الذين لا يفارقون القرآن الىٰ يوم القيامة. والآيات والاحاديث في أهل البيت كثيرة منها الآية الكريمة: ﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]. والحديث الشريف: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ[2].

وتمكّن ابو بكر وعمر وابن الجراح من الاستفادة من حديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش بالصاقه بالقرشيين عموماً وبالموجودين في السقيفة خصوصاً! وبواسطة هذا الحديث أخرجوا الانصار وغيرهم، بعد اجراء تغيير في متنه، لصالح قريش[3].

وبما ان الأنصار قوّة كبيرة، ومؤمنة ببيعة الغدير للامام علي ﷺ، فقد توجّهت الخطة لنحو كسب أفراد منهم مثل بشير بن سعد من الخزرج ومعاذ بن جبل وأُسيد بن حضير من الاوس. وبقيت زعامات كثيرة عند الانصار علىٰ خلاف هذا المنهج.

واقتضت الخطّة للهروب من تأييد جموع الانصار للامام علي ﷺ، ان تكون

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) المعارف، ابن قتيبة ٨٦ ط. مصر.

(٣) جاء في الحديث عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم اسمعها، فقال أبي إنّه قال: كلّهم من قريش. صحيح البخاري، كتاب الأحكام.

بينما الحديث الكامل رواه القندوزي في ينابيع المودة في الباب السابع والسبعين عن بعض علماء العامة انه قد روي حديث جابر بن سمرة وقال في آخره: كلّهم من بني هاشم.وروى الحافظ أبو نعيم في حليته ٨٦/١ بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فأنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.

بيعتها ختلة وخلسة. وكانت المجموعة قد انتصرت في منع النبي ﷺ من كتابة وصيته، وعرقلة حملة اسامة، التي سعى فيها النبي ﷺ لابعاد كل المنافسين للامام علي عليه السلام الى خارج المدينة. مثل عمر وأبي بكر وابن الجراح وعثمان وابن عوف وخالد والمغيرة وغيرهم.

وكان كل من النبي ﷺ وهؤلاء يعدّ خطة لتعيين خليفة للمسلمين، ودحر خطبة الخصم، ثم حدثت فجأة مشكلة في الخطة الاستراتيجية المذكورة، لجماعة أبي بكر وعمر تمثّلت في وفاة الرسول ﷺ في غياب أبي بكر. وهنا تحرّك عمر بكل الوسائل المتاحة لتأخير دفن الرسول ﷺ الى حين عودة أبي بكر من السنح. ولو دفن الرسول ﷺ قبل عودة أبي بكر لأخفقت الخطّة تماماً. وقد اضطر عمر وجماعته الى منع المسلمين من دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام، الى حين مجئ أبي بكر من السنح[1]؛ لأنّ الخطّة كانت تعتمد على افراد معينين، وطريقة خاصّة، ووقت خاص ودقيق. فالوقت أو ساعة الصفر للعملية محدد في زمن انشغال بني هاشم بمراسم دفن النبيّ ﷺ. وقد نجحت هذه الخطّة ايضاً، بما اختلقه عمر من ادعاء عدم وفاة النبي ﷺ وذهابه ﷺ إلى الله سبحانه كموسى، وما رافق ذلك من تهديد ووعيد، ولكن عمر وبسبب حراجة الموقف، وهيبة المقام لم يطرح عذراً واحد بل طرح أعذاراً شتّى، شكّكت الناس في نواياه: فقد قال بذهابه ﷺ الى ربه كموسى (اي بجسده)[2] وقال مرّة برفعه الى السماء كعيسى عليه السلام[3] وقال اخرى بارتفاع روحه الى السماء فقط دون جسده[4] وقال أيضاً: غشي رسول الله ﷺ[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٣، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٤٢، سيرة ابن هشام، ٣٠٥.

(٣) الملل والنحل ١/١٥.

(٤) سنن الدارمي ١/٣٩.

وبعد وصول أبي بكر، تحرّكت المجموعة بسرعة الى المكان المحدد لإجراء بيعة أبي بكر والمتمثّل في سقيفة بني ساعدة، البعيدة عن بيت ومسجد الرسول ﷺ مكان إجراء مراسم دفن النبي ﷺ ثمّ استدرجوا سعد بن عبادة للحضور في السقيفة لالقاء تبعة الأحداث على كاهله!

وبعد وصولهم الى السقيفة اختلقوا الاجواء للكلام في خلافة النبي ﷺ. وهنا قال الانصار الحاضرون بقوة: لا نبايع إلّا عليّاً[٦]، لكن عمر وجماعته سعوا في منهجين:

الأول: حصر الخلافة في قريش لاخراج الانصار، واعتمدوا في ذلك على الحديث الوارد في أهل البيت ﷺ وهو الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة، وادعوا بأنّهم عشيرة النبي ﷺ، في حين عشيرة النبي ﷺ مشغولة بمراسم دفن النبي ﷺ؟!

الثاني: حصر الخلافة في الموجودين في داخل السقيفة؛ لإخراج بني هاشم منها!

ولمّا طبّق افراد المجموعة المنهج الأول، تحوّلوا نحو المنهج الثاني، فواجهوا به دعوى الأنصار: لا نبايع إلّا علياً. فعلي ﷺ من أهل البيت وابن عم النبي ﷺ وهو قرشي وزعيم بني هاشم وصاحب نص الغدير ووصي رسول الله ﷺ. لكنه غير موجود في السقيفة.

وبسرعة خارقة للأعراف والتقاليد، حصر أبو بكر الخلافة في رجلين: عمر وابن الجراح؟! فعاد الرجلان فتنازلا عن حقّهما بترشيحهما له[٧].

---

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٢٦٧.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٤٣.

(٧) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١/٦.

وهنا أيّد البيعة رجال الأنصار المتّفقين مع أبي بكر وعمر وهم معاذ واسيد وبشير وزيد بن ثابت. وكان زيد بن ثابت من أصول يهودية ويتقن اللغة العبرية ولكنّهم وضعوا له نسباً في الأنصار[١].

وقد أيّد زيد أبا بكر في السقيفة ودعا إلىٰ بيعته فقد روىٰ ابن كثير: «أن زيد ابن ثابت أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه...»[٢].

وقال زيد في السقيفة: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإنّما الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره، كما كنّا أنصار رسول الله ﷺ.

فقام أبو بكر فقال: جزاكم اللهُ خيراً من حي يا معشر الأنصار وثبت قائلكم[٣].

وبين حيرة الحاضرين من سرعة اجراء المخطّط ودقّة تنظيمه دخلت قبيلة أسلم الى الميدان حسب الاتفاق معها فبايعت أبا بكر.

وقد قال عمر: «ما ان رأيت أسلم حتّىٰ أيقنت بالنصر؟»[٤] ولكن كيف جاءت أسلم بتلك السرعة الخاطفة؟ ولماذا بايعت دون جدال؟ وكيف ايقن عمر بالنصر برؤيتها؟ ولماذا لم تذهب لمراسم النبي ﷺ؟! اسئلة بحاجة الىٰ جواب.

وقد جاء: «ان أسلم أقبلت بجماعتها حتىٰ تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر»[٥]. وكان الاولىٰ بأسلم الذهاب الىٰ مراسم دفن النبي ﷺ من دخولها في بيعة خاطفة وفلتة؟

---

(١) مسند أحمد ١/٢٣٩، ٤٠٥، ٤٤٢. تاريخ المدينة المنورة ٣/١٠٠٦.

(٢) السيرة النبوية ٤/٤٩٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥/١٨٥.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، شرح نهج البلاغة ٢/٢٨٧.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت.

وكانت الخطة تقتضي مواجهة حاسمة مع الأنصار، ولما نـادت الانـصار في السقيفة لا نبايع إلّا علياً، وفشلت في مسعاها، وأُخِذَت البيعة منها قسراً وحيلة انحسرت الأنصار عن الدولة فتحرك أعوان الدولة، من مثل عمرو بـن العـاص، وعكرمة بن أبي جهل، وغيرهم لهجو الأنصار بإسلوب عنيف.

واستمرت معارضة سعد بن عبادة لحكم أبي بكر وعمر الىٰ ان انتهىٰ ذلك في زمن عمر بن الخطاب بنفيه الى الشام ثم قتله هناك...

وقد قتله محمد بن مسلمة في الشام بأمر عمر بن الخطاب[1] ولكـنَّ الدولة القت بتهمه قتله على الجن ؟! (اي جن الشام)، ثم قُتِل محمد بن مسلمة بواسطة رجل شامي.. (ليس من الجن) ؟! وكانت خطة الحزب القرشي تعتمد علىٰ اتهام سعد بن عبادة بحادثة تأسيس وقائع السقيفة لضرب عصفورين بحجر الأول أي الانتقام من سعد بن عبادة رئيس الأنصار وعزل علي بن أبي طالب ﷺ زعيم بني هـاشم ووصي المصطفى ﷺ. فجاءوا بسعد بن عبادة إلى السقيفة مستدرجين اياه، أو انه كان في سقيفته مع ثلة من الأنصار معذوراً عن حـضور مـراسم دفـن النـبي ﷺ لمرضه.

وكان سعد زعيم الأنصار وابنه قـيس مـن دهـاة العـرب ومـن المـؤمنين المجاهدين الذين شاركوا في حروب النبي ﷺ، ولو أراد سعد السيطرة على الخلافة بغتة لما تمكن رجال الحزب القرشي مـن أخـذها مـن الأنـصار ولجـمع الجـموع العظيمة، وهيأ الخطط الخطيرة.

علماً بأنهما من المتقين الأخيار الذين لا يسعون لأخذ الخلافة من علي بن أبي طالب ﷺ، ويشهد لذلك قول النبي ﷺ: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة. وقال ﷺ في غزوة ذي قرد: اللهم ارحم سعداً وآل سعد، نعم

---

(١) انساب الأشراف، ١/٥٨٩ ، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود، ١٣.

المرء سعد بن عبادة[١].

ويشهد لذلك جهود قيس وانصاره في بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومشاركته في الجمل وصفين والنهروان. ورفضه رشوة معاوية البالغة الف الف درهم ليكون بجانبه وينصرف عن نصرة الحسن عليه السلام. فأرسل إليه بالمال، وقال: تخدعني عن ديني[٢]. ورفضه عرض معاوية بإعطائه سلطان العراقين (الكوفة والبصرة) والحجاز[٣].

واعتمدت الخطّة أيضاً علىٰ سلب النصّ الإلهي والنبوي من أهل البيت عليهم السلام، وتمثّل ذلك السلب في نظرية خطيرة طرحها عمر في رزية يوم الخميس الا وهي: حسبنا كتاب الله، مقابل نظرية الله ورسوله والمتمثلة بالثقلين: القرآن واهل البيت عليهم السلام.

واعتمدت الاطروحة علىٰ اقصاء أهل البيت تماماً عن مسرح الاحداث، بمنع تدوين الحديث النبوي واحراقه. ومنع الصحابة من الخروج من المدينة المنوّرة الى الامصار الاسلامية المفتوحة لمنع انتشار الحديث النبوي.

واقتضت الخطّة إرضاء أبي سفيان وابنائه بمشاركتهم في السلطة.

وتطوّرت الخطّة الموضوعة الى العمل في احداث انقسامات في داخل البيت الهاشمي، بكسب العباس وابنائه الىٰ صفوف السلطة باغرائه بالمشاركة في الحكم مع ابنائه، لكنها فشلت لمعارضة العباس ذلك[٤].

وكانت خطّة عمر وأبي بكر وصحبهم تتمثّل في الاقصاء الكامل لاهل

---

(١) امتاع المقريزي ص٢٦٣. ٥١٥. تاريخ ابن عساكر ٨٢/٦، ٨٨. مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٤٢/٩، السيرة الحلبية ٨/٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٩١/٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٣٢١/١١ رقم ٦٣٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١٢٥/٢. السقيفة وفدك. الجوهري ص٣٧.

البيت ﷺ، واضعافهم في النواحي المرجعية، والتراثية، والاقتصادية، والسياسية. وامتدَّت تلك الخطَّة زمنياً الىٰ ما بعد زمن أبي بكر وعمر.

اي ان عمر مبرمج اطروحة السقيفة، لم يكتفِ باقصاء الامام علي ﷺ، واحلال أبي بكر محله، ولا بتنصيب نفسه بيد أبي بكر، بل نراه انزعج جداً في خلافته من قول عمار بن ياسر: لو مات عمر لبايعت علياً؟!(١) وهدّدمن بايع عليّاً ﷺ بالموت قائلاً: كانت بيعة أبي بكر فلته وقى اللهُ المسلمين شرَّها ومن عاد إليها فاقتلوه(٢).

وجاء عمر بعثمان وبني أميّة إلى الخلافة لاقصاء علي وبني هاشم عنها إلى الأبد.

لماذا جرت الأحداث في سقيفة بني ساعدة؟

ان نسب سعد هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة، وقيل حارثة بن حزام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي(٣) والى قبيلته تنسب سقيفة بني ساعدة.

وقد تم انتخاب هذه السقيفة من قبل الحزب القرشي لأمور منها بعدها عن المسجد النبوي حيث تم غسل النبي ﷺ بواسطة بني هاشم.

وثانياً وجود سعد بن عبادة في هذه السقيفة، لأنّها سقيفة قومه ومن الطبيعي وجوده فيها، وإلاّ فمن السهولة استدراجه أو دعوته إليها. ولو تمّت الأحداث في سقيفة بعيدة أخرىٰ لصعب ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري، ٢/٤٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/٢٩.

(٣) أُسد الغابة، ابن الأثير ٢/٣٥٦.

وكانت عصبة قريش قد شخّصت اثنين من زعماء المسلمين المنافسين لها على حكم البلاد. الأول علي بن أبي طالب عليه السلام زعيم بني هاشم ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله. والثاني سعد بن عبادة زعيم الأنصار.

ولما كان علي بن أبي طالب عليه السلام مشغولاً بمراسم دفن النبي صلى الله عليه وآله بقي سعد بن عبادة. فاستعدت عصبة قريش له جيداً بمفاجئته ورده ببعض الأنصار الموالين لها والمتّفقين معها من أمثال اسيد بن حضير وبشير بن سعد ومحمد بن مسلمة ومعاذ ابن جبل.

وكان سعد بن عبادة يومها مريضاً لا يقوىٰ على الحركة لذا قال: إنّي لا أقدر لشكواي أن أُسمع القومَ كلهم كلامي[1].

وقال لعمر: أما واللهِ لو أنّ بي قوة أقوىٰ علىٰ النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يجحرك وأصحابك[2].

وبسبب مرض سعد وعدم استعداده لهذا الإنقلاب المفاجيء فقد سيطرت عصبة قريش علىٰ سقيفة بني ساعدة، فتمّت بيعتهم لأبي بكر بتأييد مجموعة من الأنصار منضمين إليهم.

وكانت المجموعة التي بايعت أبا بكر تضم عشرات الافراد من الحزب القرشي وقبيلة أسلم، فوطأت سعد بن عبادة وكسرت أنف الحباب بن المنذر[3].

وكانت خطة عصبة قريش تهدف إلىٰ ضرب الزعيمين بضربة واحدة. فتمكّنت من القضاء علىٰ سعد بن عبادة قضاءً معنوياً عبر اتهامه بمحاولة اغتصاب

---

(١) تاريخ الطبري ٤٥٥/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤٥٩/٢.

(٣) تاريخ الطبري ص٤٥٧ـ٤٦٣.

السلطة، فبقي سعد محكوماً في التاريخ إلىٰ يومنا هذا بمحاولة ليس لها واقع.

وبواسطة هذا الإتهام سلبت منه أي محاولة لاحقة لإبعاد عصبة قريش عن الخلافة. ورغم ترك سعد للسياسة والمدينة لم يسلم بجلده إذ قُتِل في حوران الشام.

والظاهر ان عمر كان مصرّاً علىٰ قتل سعد في السقيفة إذ قال: اقتلوه قتله الله ثم قام علىٰ رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتىٰ تندر عضوك. فقال ابو بكر: مهلاً يا عمر الرفق ههنا أبلغ[1].

لكن عمر بقي مصرّاً علىٰ رأيه، فلمّا انتهت مدّة خلافة أبي بكر بوفاته أرسل محمد بن مسلمة إلى الشام فقتله هناك[2].

هل رشّح سعد بن عبادة نفسه للخلافة؟

لقد وقع سعد بن عبادة ضحيّة السياسة حيّاً وميّتاً. فلقد ألصقوا به (حيّاً) تهمة سعية لغصب الخلافة. والصقوا به ميّتاً تهمة مقتله بأيدي الجن؟!

وقد قال الإمام علي عليه السلام: «لقد كان سعد لمّا رأى الناس يبايعون أبا بكر نادىٰ: أيها الناس إنّي والله ما أردتها، حتىٰ رأيتكم تصرفونها عن علي، ولا أبايعكم حتّىٰ يُبايع علي، وَلَعَلّي لا أفعل وإن بايع، ثم ركب دابته وأتىٰ حوران، وأقام في خانٍ حتىٰ هلك ولم يبايع»[3].

اذن كانت تهمة قريش لسعد باطلة، ولا أصل لها من الصحّة، فالرجل لم يستغل فترة انشغال الناس بجهاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقبض السلطة كما ادّعوا: ولقد كان سعد في ذلك اليوم مريضاً مشغولاً بنفسه. ولو كانت عنده رغبة في قبض الخلافة لقبضها

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.

(٢) أنساب الأشراف، العقد الفريد ٤/٢٤٧، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص١٣.

(٣) كشف المحجة لثمرة المهجة ١٧٣ ـ ١٨٩ طبعة النجف.

قبل مجيئ أبي بكر وعمر وصحبهم الى السقيفة. إذ مات النبي ﷺ في يوم الأثنين قبل الزوال[١] وقالت عائشة: دفن نبي الله ﷺ ليلة الأربعاء[٢].

فسعد بن عبادة كان بامكانه الحصول علىٰ بيعة له في يوم الأثنين، أو في يوم الثلاثاء، ولكنَّه لم يفعل ذلك؟! إذن كيف اتَّهموه واتَّهموا الأنصار بمحاولة السيطرة على السلطة؟ انها السياسة تفعل ما تريد ولا تتوانىٰ عن التضحية بما تشاء لما تشاء. وهكذا تفعل حكومات العالم؟!

وفي حادثة السقيفة كان كبش الفداء سعد بن عبادة الذي ذهب ضحيَّة الانقلاب العسكري المدبّر من قبل حزب قريش..

متىٰ كان الانقلاب العسكري الأول؟

لقد اثبتنا في موضوع حملة اسامة الزام النبي ﷺ لابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم بوجوب الانخراط في صفوف جيش اسامة. فتحوَّل هؤلاء بالأمر الإلهي الصادر من فم رسول الله ﷺ إلىٰ جنود في تلك الحملة المتوجهة إلى الشام.

ولكن أفراد عصبة قريش المشتركين في التخطيط للسيطرة على الحكم امتنعت من الذهاب في تلك الحملة بالرغم من الاصرار النبوي. فعاد البعض إلى المدينة وذهب أبو بكر إلى خارج المدينة (السنح)[٣] دون اهتمام بالأمر الإلهي واللعن النبوي للعاصين.

وعندما مات رسول الله ﷺ افتعلت تلك العصبة العسكرية العاصية للأمر الإلهي انقلاباً عسكرياً سيطرت فيه على الدولة. وكانت ساعة الصفر لذلك

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٢/٣٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٢، ٤٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٢، الكامل في التاريخ ص ٣٢٢.

الانقلاب تتمثّل في موت رسول الله ﷺ، ومدته محصورة بين البدء بغسل النبي ﷺ وانتهاءً بدفنه، وساحة الانقلاب تتمثّل في سقيفة بني ساعدة. وفعلاً تم ذلك التخطيط ونفذ وانتخبوا أبا بكر.

وقد استمر بعض الجنود الفارين من حملة اسامة بمناداة اسامة بالأمير طيلة حياتهم. ومنهم أبو بكر وعمر وبعد سيطرة أبو بكر على السلطة طلب من اسامة إذناً ببقاء عمر في المدينة، فقال له اسامة جواباً خطيراً : ماذا تقول في نفسك ؟[١]

وبالرغم من كل ذلك فقد بقي صدىٰ صوت الأنصار: لا نبايع إلّا علياً[٢].

واعترف عمر بمعارضة الأنصار لهم قائلاً (عن حادثة السقيفة): وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها[٣].

فإذا كانت الأنصار بأسرها قد تخلّفت عن بيعة أبي بكر، وقالت بأسرها: لا نبايع إلّا علياً، فمتىٰ حصلت البيعة لابن عبادة ؟، وكيف ؟

ولو بايع سعد لنفسه في فترة وفاة النبي ﷺ ووجود أبي بكر في السنح (خارج المدينة)، وجمع الأعوان لنفسه وشاطرهم السلطة، (مثلما فعل ابو بكر وعمر مع المغيرة وابن العاص وخالد وابن عوف وعثمان وغيرهم) لما تمكّن عمر من وطئه، والمطالبة بقتله، وكسر انف الحباب ؟!! لقد وطأوا سعداً وكسروا انف الحباب، بينما ذكرت الأخبار بأنّهما ثبتا مع النبي محمد ﷺ في معركة أحد يوم فرّ منها أبو بكر وعمر[٤] وبعد حادثة السقيفة قُتِل ابن عبادة وأُهمل ذكر الحباب! وصعد نجم المعادين للنبي ﷺ من أمثال ابن العاص ومعاوية والوليد بن عقبة!

---

(١) تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٣٢٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٦، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٤) مغازي الواقدي ١/٢٤٠.

بينما كان سعد بن عبادة حاملاً للواء الرسول ﷺ في كل معارك، فإذا حدث قتال أخذ اللواء علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

وكان الحباب بن المنذر حاملاً لراية الخزرج في كثير من المعارك منها معركة أحد ومعركة خيبر[2].

ولقد دهشت من قول عمر «إنّي لقائم العشيّة في الناس أُحذّرهم هؤلاء الرهط، الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم (أو حقّهم)»[3]. وقال ايضاً: «وقد دفّت إلينا دافّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر»[4].

أي يتهم عمر عماراً وجماعته بمحاولة غصب السلطة لصالح علي عليه السلام.

فإذا كانت بيعة الناس لعلي عليه السلام تسمّىٰ غصباً، فماذا تسمّىٰ بيعة أبي بكر الفتلة، ووصيّة أبي بكر لعمر القائمة على الفلتة.

انَّ علياً عليه السلام عنده نص الهي بالبيعة ووصية نبوية وبيعة جماهيرية في الغدير وبيعة في سقيفة بني ساعدة (يوم قالت الأنصار: لا نبايع إلّا علياً عليه السلام) والذي عنده نص الهي وبيعة جماهيرية بالخلافة كيف يُتّهم بمحاولة غصب السلطة؟

لقد كان عمر، علىٰ جانب كبير من القدرة في المناورة السياسية لإخراج منافسيه من حلبة الصراع، فلقد اتّهم عماراً وجماعته بمحاولة غصب السلطة، واتّهم ابن عبادة بالنفاق، قائلاً: «قتله اللهُ إنّه منافق»[5]. واتّهم علياً بن أبي طالب بالدعابة، وهو أبعد ما يكون عن عالم المزاح واللهو والدعابة. بينما اتّهم النبي ﷺ بالهجر

---

(١) أسد الغابة ٢٠/٤، أنساب الأشراف ١٠٦/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٩/٢، ١٠٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٢٦/٢.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٣٢٧/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٤٥٩/٢.

لاخراجه من حلبة الصراع السياسي، ومنعه من كتابة الوصيّة السياسية[١].

ومن مناورات عمر السياسية، إتّهامه النبي ﷺ في حياته بأنّه ميت، وإتّهامه في مماته بأنّه حيّ؟ إذ قال عمر عن النبي ﷺ في يوم الخميس: إنّه يهجر أي عجوز خرف فهو ميت، وقال عمر عن النبي ﷺ بعد وفاته، بأنّه غشي عليه أو ذهب الى الله تعالىٰ وسيعود أي انه حي؟! إنتظاراً لمجيئ أبي بكر من خارج المدينة. ولو عكس عمر وأصحابه القضيتين لما حدثت عندنا مشكلة سياسية ودينية.

والملاحظ لعالم السياسة والسياسين يجد ذلك العمل مألوفاً لا غرابة فيه؟! وقد قال طه حسين عن مقتل سعد بن عبادة: قتلته السياسة[٢].

تخوّف الخليفتين من استلام منافسيهم السلطة

كانت السقيفة بقيادة عمر، رتّبها وخطط لها، وقاد حركاتها وسكناتها، الىٰ ان سلّمها الىٰ أبي بكر، جاهزة مهيئة في صورة خلافة عظمى للنبي محمد ﷺ وقد ذكر الزهري في مغازيه عن انس بن مالك «رأيت عمر يُزعج أبا بكر إلى المنبر ازعاجاً» والظاهر ان ذلك حدث في البيعة العامة بعدما ادرك أبو بكر معارضة الأنصار وبني هاشم وآخرين له. ليس هذا فحسب بل هيأ عمر الأدوار المتقدمة عليها والمتأخرة عنها.

فالمرحلة المتقدمة عليها، تمثّلت في تأخير دفن الرسول ﷺ، الىٰ حين مجيئ صاحبه ورفيقه أبي بكر، وقد تحمّل عمر الكثير من المشاق في هذا السبيل، اذ نادىٰ بعدم موت النبي ﷺ حتىٰ ازبدّ شدقاه (كما ذكروا)، واضطر الىٰ خلق قضية لم

---

(١) صحيح البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفد ح ١٢٢٩، صحيح مسلم ١١/٨٩.

(٢) الخلفاء الراشدون، طه حسين ص ٣٢.

تكن في ذهن أحد من المسلمين ألا وهي رحيل النبي ﷺ الى الله سبحانه كموسىٰ عليه السلام وعيسىٰ عليه السلام[١].

وكان يحتمل أن تؤدي تلك القضيّة الىٰ فتنة دامية، لو أقدم بنو هاشم أو الأنصار او المهاجرون علىٰ قتل عمر، لأجل منعه دفن النبي ﷺ...

اذ تأخّر دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام[٢]، ولولا حكمة بني هاشم، لوقع ما لا تحمد عقباه، وقد تكلّم الناس (ومنهم العباس) مع عمر، ولكن دون فائدة، اذ إستمر شاهراً سيفه، مانعاً الناس من دفنه مهدّداً ومنذراً لكل المسلمين!

وقد وجدت أنّ عمر لا يمكنه منع دفن النبي ﷺ لوحده، ولا بد له من جماعة قويّة تسنده وتدعمه أمام بني هاشم وباقي المسلمين، ومن المؤكّد أن يدعمه في منحاه المذكور جماعة السقيفة المشاركين له.

والمرحلة المتأخرة واللاحقة للسقيفة، كانت ايضاً من الخطورة بمكان، بحيث تنذر بفتنة عظمىٰ، تطيح برؤوس الآلاف من المسلمين.

وإليك حديث السقيفة علىٰ لسان عمر بن الخطاب، قاله في المدينة في خطبة الجمعة، اذ ذكر ابن عباس قائلاً: كنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف القرآن، قال فحجّ عمر وحججنا معه، قال: فإنّي لفي منزل بمنىٰ، اذ جاءني عبد الرحمن بن عوف، فقال شهدت أمير المؤمنين اليوم وقام إليه رجل فقال: إنّي سمعت فلاناً (عمار بن ياسر) يقول: لو قد مات أمير المؤمنين (عمر) لقد بايعت فلاناً (علياً عليه السلام) قال فقال أمير المؤمنين: إنّي لقائم العشيّة في الناس، فحذّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم، قال قلت (اي ابن عوف) يا أمير

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٢، سيرة ابن هشام ٤/٣٠٥، الملل والنحل، الشهرستاني ١/١٥، سنن الدارمي ١/٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٣٣٢، تاريخ الطبري ٢/٤٥٠.

المؤمنين إنَّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنَّهم الذين يغلبون على مجلسك، وإنِّي لخائف إن قلت اليوم مقالة الّا يعوها ولا يحفظوها ولا يضعوها على مواضعها وأن يطيِّروا بها كل مطير، ولكن أمهل حتىٰ تقدم المدينة، تقدم دار الهجرة والسنَّة، وتخلص باصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فتقول ما قلت متمكناً، فيعوا مقالتك، ويضعوها، علىٰ مواضعها فقال: والله لاقومن بها في أول مقام أقومه بالمدينة، قال: فلما قدمنا المدينة، وجاء يوم الجمعة، هجرت للحديث الذي حدَّثنيه عبد الرحمن، فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير، فجلست الىٰ جنبه عند المنبر ركبتي الىٰ ركبته، فلمَّا زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرج، فقلت لسعيد وهو مقبل: ليقولن امير المؤمنين اليوم علىٰ هذا المنبر مقالة لم يقل قبله، فغضب وقال: فأي مقالة يقول لم يقل قبله؟ فلما جلس عمر على المنبر اذن المؤذنون، فلما قضى المؤذن أذانه، قام عمر فحمد الله واثنىٰ عليه، وقال: أما بعد فانِّي أريد أن أقول مقالة قد قُدِّر أن اقولها من وعاها وعقلها وحفظها، فليحدِّث بها حيث تنتهي به راحلته، ومن لم يعها فإنِّي لا أحل لاحد ان يكذب عليَّ، إنَّ الله عزّوجلّ بعث محمداً بالحقّ، وانزل عليه الكتاب، وكان فيما انزل عليه آية الرجم، فرجم رسول الله ورجمنا بعده، وإنِّي قد خشيت أن يطول بالناس زمان فيقول قائل: والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضةٍ أنزلها اللهُ، وقد كنَّا نقول: لا ترغبوا عن آبائكم، فانه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو قد مات امير المؤمنين بايعت فلاناً (علياً عليه السلام) فلا يَغُرَّن امرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك، غير أن الله وقىٰ شرَّها، وليس منكم من تقطَّع إليه الاعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خبرنا حين توفىٰ اللهُ نبيّه صلى الله عليه وآله أنَّ علياً والزبير ومن معهما تخلَّفوا عنّا في بيت فاطمة وتخلفت عنّا الأنصار بأسرها، واجتمع المهاجرون الىٰ أبي بكر، فقلت لابي بكر: انطلق بنا الىٰ اخواننا

هؤلاء من الانصار (يبين عمر هنا أنهما انطلقا الى السقيفة بلا خبر عن وجود بيعة للانصار هناك اذاً لم تكن بيعة هناك بل انطلق عمر مع أبي بكر الى السقيفة بمجرد عودة أبي بكر من خارج المدينة، وتركا بني هاشم والناس مشغولين بجهاز النبيﷺ) فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدراً فقالا: اين تريدون يا معشر المهاجرين (الظاهر ان عمر وأبا بكر لم يكونا وحدهما، بل معهما آخرون مثل ابن الجراح، والمغيرة، وخالد، وابن عوف) فقلنا: نريد اخواننا هؤلاء من الانصار. قالا: فارجعوا فاقضوا امركم بينكم (اي لا شئ في السقيفة والامر بيدكم ولكم) فقلنا: والله لنأتينهم، قال: فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، قال: واذا بين اظهرهم رجلٌ مزمَّلٌ، قال قلت: من هذا ؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما شأنه ؟ قالوا: وجِعٌ، فقام رجل منهم، فحمد الله، وقال: أمَّا بعد فنحن الانصار وكتيبة الإسلام وانتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت الينا من قومكم دافة، قال: فلما رأيتهم يريدون ان يختزلونا من اصلنا ويغصبونا الامر، وقد كنت زوَّرت في نفسي مقالة اقدمها بين يدي أبي بكر وقد كنت اداري منه بعض الحد، وكان هو اوقر منِّي، وأحلم، فلمّا أردت ان اتكلم قال: علىٰ رسلك، فكرهت أن أعصيه، فقام فحمد الله واثنىٰ عليه، فما ترك شيئاً كنت زورت في نفسي ان اتكلم به لو تكلمت إلّا قد جاء به أو باحسن منه، وقال: اما بعد يا معشر الانصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلّا وانتم له أهلٌ، وإن العرب لا تعرف هذا الامر إلّا لهذا الحي من قريش، وهم اوسط داراً ونسباً، ولكن قد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة، إن كنت لأُقدَّم فتضرب عنقي فيما لا يقربني الىٰ إثم احبُّ اليَّ من أن أؤمَّر علىٰ قوم فيهم ابو بكر، فلمّا قضىٰ ابو بكر كلامه، قام منهم رجل، فقال: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجَّب منّا امير ومنكم امير يا معشر

قريش. قال فارتفعت الأصوات وكثر اللغط. فلمّا اشفقت من الاختلاف، قلت لابي بكر: ابسط يدك ابايعك، فبسط يده، وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار، ثم نزونا على سعد، حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل اللهُ سعداً، وإنا واللهُ ما وجدنا امراً هو اقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم، ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فأما أن نتابعهم على ما نرضى أو نخالفهم فيكون فساداً[١].

فيتوضّح من كلام عمر بن الخطاب ان الانصار لم تكن عندهم بيعة، ولا يوجد ذكر لشخص أخبر عمر أو أبا بكر بأنَّ الانصار عندهم بيعة.. بل هم ذهبوا إلى السقيفة بلا اي سبب ظاهر، وعندما التقوا مع اثنين من الانصار قال الانصاريان لهما باطمئنان كامل ان ارجعوا، أي الى مراسم دفن الرسول ﷺ ثم اقضوا امركم بينكم يا ايها المهاجرون فلا خطر من الانصار كما تدَّعون.

ولكنَّ عمر وأبا بكر أصرّا على الذهاب الى السقيفة لامرٍ لم يفصح عنه عمر ابن الخطاب؟!

والظاهر من كلام عمر ان الحوار حول الخلافة قد بدأ بعد دخولهم الى السقيفة، فمن بدأ الكلام هل هم الانصار ام ابو بكر وعمر؟ لم يبين عمر ذلك.

والواضح ان القادمين (عمر وابا بكر واتباعهم) هم الذين بدأوا الحوار والجدال، وعلى أثر اطروحة مجموعة المهاجرين تحرَّك الانصار الحاضرون.

والظاهر ايضاً ان جماعة الانصار الحاضرين، كانوا قليلي العدد، وهم في مجلس عادي وصغير فيهم سعد بن عبادة المريض، المعذور عن الاشتراك في مراسم دفن النبي ﷺ؟!

وقال عمر: إنَّ أول من طرح البيعة لشخص في داخل السقيفة هو ابو بكر،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٦.

عند مبايعته واحداً من اثنين هما عمر أو ابو عبيدة، ولكنَّه (اي عمر) طلب من أبي بكر ان يبسط يده لمبايعته. فبسط ابو بكر يده وبايعه عمر.

وقال الطبري في رواية: إنَّ الانصار بعد بيعة عمر لابي بكر (قالت: لا نبايع إلّا علياً)[١].

وهذه الرواية الثانية تؤيد رواية عمر، وتبيِّن عدم بيعة الانصار لسعد بن عبادة وتؤكد رغبتهم في بيعة علي عليه السلام.

وبعد ان حصر عمر وأبو بكر البيعة في الموجودين في السقيفة واخرج علياً عليه السلام (لأنّه غير موجود في داخل السقيفة) منها بدأ الأنصار بالمطالبة بحقّهم في الخلافة، واظهار خوفهم من بيعة أبي بكر وعمر وابن الجراح.

ثم ظهرت معارضة الأنصار وانحسارهم عن أبي بكر بعد بيعة أبي بكر العامّة، فبدأ عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو بهجاء الأنصار، وكلهم موتور قد وتره الأنصار[٢].

وكانت نظرة سعد بن عبادة الى الخلافة نظرة دينية قبلية، فلم يقبل بزعامة عمر وأبي بكر، لذا قال لعمر عندما طالب بقتله: واللهِ لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة...

وقد استدرك ابو بكر الموقف، فقال: مهلاً يا عمر، الرفق ههنا أبلغ.

وقال سعد: اما والله لو أن بي قوة أقوى على النهوض، لسمعت منّي في اقطارها وسككها زئيراً يجحرك وأصحابك. أما والله اذاً لاحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٣.

(٢) الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار ص٥٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.

وقال ابو سفيان لعلي ﷺ: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش، واللهِ لئن شئت لاملأنها عليه خيلاً ورجالاً... مالنا ولابي فصيل، إنّما هي بنو عبد مناف[١].

عدم مبالاة بالعواقب

كان عمر قد قرّر في الجاهلية الأقدام على قتل النبي ﷺ، وهذا يبيّن جرأته الكبيرة، وعدم مبالاته بعواقب الأمور[٢].

لأنّ قتل النبي ﷺ سوف يؤدي الى قتل قاتله، وقتل من اشتبه باعطائه الأوامر أو ساعد في اجراء هذا الأمر وهذا يعني حصول فتنة في داخل مكّة. بين قبائل قريش، لا تنطفيء دون اراقة انهار من الدم، والاطاحة بوجوه القوم ورجالهم، ونكبة ابنائهم ونسائهم. إنّ أعداء النبي ﷺ من وجهاء قريش، بالرغم من كونهم حمقى إلّا أنّهم أخذوا بمشورة العقلاء من قريش.

وقد دفع الله سبحانه هذه الفتنة الهوجاء والعمياء، وحفظ النبي ﷺ وأسلم عمر.

إنّ عمر في الجاهلية لم يكن عنده جاه عظيم أو مال كثير، يخاف عليه الزوال بانتصار الإسلام، مثلما كان يفكر وجهاء مكّة.

وبالعكس فانّ اي تحوّل في مكة في صالح الإسلام، وسقوط رؤساء القوم سوف يفسح المجال لظهور شخصيات جديدة ووجوه شابّه...

ولكنّ عمر الذي كان كافراً، اعتقد بأنّ اختلافه مع الرسول ﷺ في الدين

---

(١) تاريخ الطبري ٤٤٩/٢.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١٩١/٣، صفوة الصفوة، ابن الجوزي ٢٦٩/١.

كافٍ للحكم بقتله ﷺ دون تفكير بخطورة العاقبة وظهور فتنة. وجرأة عمر وعدم مبالاته بحصول فتنة، قد ارتكبها عمر في حادثتين لاحقتين:

الأولىٰ في السقيفة عندما اراد قتل سعد بن عبادة (زعيم الانصار). فقد قال عمر عن سعد: اقتلوه قتله الله، ثم قام علىٰ رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتىٰ تندر عضوك[١].

والذي انقذ الموقف واوقف الفتنة هو أبو بكر إذ قال: مهلاً يا عمر الرفق ها هنا أبلغ[٢].

ولكنَّ عمر نفَّذ قراره المذكور بقتل ابن عبادة اثناء خلافته بواسطة محمد بن مسلمة. ولمَّا قُتِل في الشام ألقت السلطات تبعة القتل علىٰ الجنّ فراراً من عواقب الأمور.

والثانية بعد السقيفة عندما جاء بالنار والحطب لاحراق بيت فاطمة ﷺ، وضَغطِه البابَ عليها، وحثّه أبا بكر علىٰ قتل الإمام علي ﷺ (زعيم بني هاشم)[٣].

وفي الحادثة الثانية جاء عمر بن الخطاب بجمع من أعوانه يحملون حطباً وناراً لاحراق بيت فاطمة بنت محمد ﷺ مع ابنيها الحسن والحسين وزعيم بني هاشم علي بن أبي طالب ﷺ.

ولولا فتح فاطمة ﷺ باب بيتها لاحرق عمرُ الدارَ، اذ لمَّا قالت فاطمة ﷺ لعمر: أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، أَنْدَرَ: أتى بنادر من قول أو فعل. واندر الشيّ: أسقطهُ، وضرب يده بالسيف فاندرها اي أسقطها. أقرب الموارد ٢/١٢٨٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.

(٣) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٢، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤/٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٩٨، تاريخ أبي الفداء (المطبعة الحسينية بمصر).

ولو تمكّن عمر من احراق البيت الهاشمي علىٰ أهل بيت النبوة: لحدثت فتنة عمياء تذهب برؤوس الكثير من المسلمين والمسلمات، خاصّة وان رايات المعارضة قد فشت وكثرت، فكان نتيجة اقدام فاطمة ﷺ في فتح بابها، ومنع إحراق منزلها، ان ذهبت هي ضحيّة تلك الفتنة، وهمُّها وهم زوجها اطفاء كل فتنة، وحفظ بيضة الإسلام.

وفي أحداث السقيفة كسر عمر انف الحباب بن المنذر، ذلك الانصاري المعارض لطموحات وتوجهات قريش، والذي ثبت مع النبي ﷺ في معركة أحد يوم فرَّ أصحابه ووصف عمرُ سعدَ بن عبادة بوصف لا يتّصف به، إذ قال: قتله اللهُ إنّه منافق[١].

انَّ محاولة قتل النبي ﷺ في مكّة تعادل محاولة قتل الإمام علي ﷺ (وصي المصطفىٰ) في المدينة، لأنَّ من شأن ذلك إحداث فتنة عمياء تقضي على الإسلام وفي الحالتين طلب عمر قتل زعيم بني هاشم.

ومن مصاديق عدم مبالاة عمر بالأحداث مهما كانت خطرة، اقدامه علىٰ تولية عثمان الخلافة، وهو عالم بلينه وعصبيته الشديدة لبني أميّة. علماً بأنَّ عمر نفسه قد هدّد عثمان قائلاً: وما يمنعني منك يا عثمان إلّا عصبيتك وحبك قومك وأهلك[٢]. فكانت النتيجة كما توقع عمر ذبح لعثمان وحدوث فوضىٰ في أمور المسلمين.

ومن مصاديق عدم مبالاة عمر بالعواقب، إحراقه للحديث النبوي الشريف، صحيح انه أراد اخفاء مناقب منافسيه، وهذه مصلحة سياسية كبرىٰ له، إلّا انّه منع تدوين باقي الحديث المتعلّق بتفسير القرآن، وأحكام العبادات،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٩٢.

والمعاملات فانتشرت فوضىٰ في الشريعة الىٰ درجة أن حكم أبو حنيفة بتحريم زواج الرجل من إبنته من الزنا، في حين حكم الشافعي بحلّية ذلك ؟!

وحكم الصادق عليه السلام وابو حنيفة والشافعي وابن حنبل بحرمة أكل لحم الكلب، مقابل حكم مالك بن انس بحلّيته ؟! وافتى الصادق عليه السلام ومالك بن انس بإسبال اليد في الصلاة، وافتى الثلاثة الآخرون بالتكتف ؟!

وهذه أعظم مشكلة فقهية وقع الناس فيها، وستظل قائمة الىٰ يوم القيامة ؟! ويمكن ان تسمّيها بفتنة المسلمين في الناحية الفقهية والعقائدية ؟

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر، ورقّم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطأ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر، الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجّب، وتوعّد من لجأ الىٰ دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لابي بكر أمر ولاقامت له قائمة[1].

واعتمد عمر في بيعة السقيفة علىٰ أسلم، فقال حينما رآهم: «ما هو إلّا أن رأيت أسلم حتّىٰ أيقنت بالنصر»[2].

وذكر ابن الأثير: «جاءت أسلم فبايعت، فقوي أبو بكر بهم، وبايع بعد»[3].

وظاهر الحال وجود اتّفاق له معهم، على المجيء الى المدينة، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ومبايعة عمر أو من يشير إليه عمر[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١/١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٢/٣٣١.

(٤) اسلم بن أفصي بطن من خزاعة وهم بنوا أسلم بن أفصي، بن حارثة بن عمرو بن عامر من القحطانية ←

وقال السيوطي: فعلي وشيعته كانوا وجوداً مميزاً في زمن النبي ﷺ، وكانوا مشغولين مع علي بجنازة النبي ﷺ، وفي هذا الوقت بالذات بادر الآخرون الى السقيفة، ورتّبوا بيعة أبي بكر. فأدان علي وفاطمة وشيعتهم هذا التصرف، واتّخذوا موقف المعارضة حتى بويع علي بالخلافة. فكانوا معه في مواجهة الانحراف، وتنفيذ وصيّة النبي ﷺ بالقتال على تأويل القرآن، ثم كانوا مع أبنائه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الى يومنا هذا.

أقول: وكان لابي بكر وعمر وجود مميّز أيضاً، وبواسطة هذا الوجود المميّز منع النبي ﷺ من كتابة وصيته، ومنع من تنفيذ حملة اسامة، ومنع المسلمون من دفنه في يومي الاثنين والثلاثاء. وبواسطة هذا الوجود وصل ابو بكر الى السلطة.

أهداف الطلقاء

لقد رضي الطلقاء وامثالهم من العرب الداخلين في الإسلام عن دولة الخلافة بعد تحقّق ما كانوا يصبون إليه، وكان الفائز الأول في ذلك هم طلقاء قريش الذين اعادوا إلى الوجود حكمهم. ومن جملة ما نجح الطلقاء في تنفيذه هو:

١ ـ تزوير نص النبي ﷺ في خلافة الأئمة الاثني عشر للرسول ﷺ.

٢ ـ ابعاد قبيلة الرسول ﷺ (بني هاشم) عن الخلافة والمرجعية الدينية الرسميّة.

←

ومن قراهم وَبرّة وهي قرية ذات نخيل من اعراض المدينة.

الاشتقاق لابن دريد ص٢٢، نهاية الارب للنويري ٣١٨/٢، العقد الفريد لابن عبد ربه ٧٦/٢، معجم البلدان لياقوت الحموي ٩٠١/٤.

٣ـابعاد باقي العرب عن سدّة الزعامة السياسية والدينية وهذه من أهم مطالب قريش في الجاهلية.

٤ـتناوب قبائل قريش الخلافة؛ والى الأبد.

٥ـالحفاظ على شروط قريش المعتبرة في منزلة الإنسان والمتمثّلة في كونه عربياً، قرشياً، حرّاً. والغاء شروط الإسلام القائمة على السابقة في الدين والتقوىٰ وفضيلة في علوم الإسلام. وشروط قريش مشهودة في ولاة الدولة.

٦ـاعادة مجد بني أميّة كما كان في الجاهلية.

٧ـفصل عمرة التمتع عن الحج.

٨ـابعاد مقام ابراهيم عن الكعبة، كما كان في الجاهلية.

٩ـمنع تدوين الحديث النبوي ومنع تفسير القرآن؛ مثلما قالت قريش عن رسول الله ﷺ بانه يخطأ ويسهو.

* * *

نظرية أبي بكر وعمر

في

أهل البيت عليهم السلام

خطوات عملية في حق أهل البيت

كانت نظريّة قريش في أهل البيت عليهم السلام تتمثّل في: الاعتقاد بامكانية مخالفة النصوص النبوية عند اقتضاء المصلحة.

: فرض نظريّة حسبنا كتاب الله التي تسلبهم الوصيّة الالهية بكونهم الثقل الثاني بعد القرآن، وقد صرَّح بهذه النظرية عمر في يوم الخميس أمام رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال: حسبنا كتاب الله[1].

: إبعادهم عن الخلافة. وعن الوظائف الحكومية الكبيرة.

: أخذ فدك منهم. ومنع الخمس عنهم. لسلبهم القوة الاقتصادية.

: منع تدوين الحديث لحذف مناقبهم وفضائلهم والنصوص الإلهية في حقّهم.

: رفع منزلة بني أميّة أعداء بني هاشم التقليديين، ورفع منزلة قريش عموماً. لذا نصَّبت قريش عثمان ولياً للعهد، ونصَّبت ستة اشخاص من بني أميّة ولاة على الأقاليم الإسلامية وهم معاوية ويزيد وعتبة أبناء أبي سفيان وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط.

: إبعاد بني هاشم عن المرجعية الدينية. لاضعاف منزلتهم وأهدافهم.

أمّا الخلافة فسألة أساسية يدور حولها الأمر، وهي قطب الرحى، الذي

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

تجتمع حوله قبائل قريش.

وتقرَّر ان تتناوب قبائل قريش الخلافة ولا تحصر في قبيلة واحدة. والمحروم منها هم بنو هاشم والانصار وبقية المسلمين. فيبق هذا المنصب الخطير يتنعم به القرشيون وأولادهم. نعمة أبدية لا تحول عنهم ولا تزول؟!

فجاؤوا الى النصوص الالهية فغيَّروها، فأصبح الأئمة الأثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام واولهم علي عليه السلام الوارد فيهم النص الإلهي متمثلين في قريش (أبي بكر، عمر، عثمان).

إذ كانت قريش تعتقد بأنَّ نبوة محمد صلى الله عليه وآله حكماً لبني هاشم، وبالتالي فإنَّ الملك يجب ان تتناوبه باقي قبائل قريش، دون بني هاشم.

وقد بيَّن يزيد اعتقاده ذلك قائلاً:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل
لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

وقال يزيد في شعره المذكور الشاهد على كفره:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لاهلّوا واستهلوا فرحاً ثمَّ قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل[1]

وقد صرَّح عمر بن الخطاب بحسد قريش لجمع النبوة والخلافة في بني هاشم قائلاً لابن عباس: أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ كرهوا أن يجمعوا

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٩٢/٨، مقتل الخوارزمي ٥٨/٢، اللهوف ٦٩، مثير الأحزان ٨٠، مقاتل الطالبيين ١٢٠، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٨٢/٣، سيرة ابن هشام ٩٧/٣، تذكرة خواص الأمة ١٤٨، طبقات الشعراء ٢٠٠، فتوح ابن اعثم ٢٤١/٥.

لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا علىٰ قومكم بجحاً بجحاً[1].

أي ان قريشاً كانت تنظر الىٰ نبوة محمد ﷺ كملك لبني هاشم؟! وإنَّ بني هاشم قد نالوا النبوة، فلا يمكن ان يجمعوا النبوة والخلافة.

أهل البيت عليهم السلام في القرآن والسنة

لقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه والنبي في أحاديثه مناقب أهل البيت عليهم السلام في مواطن عديدة منها:

﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾[2].

وقد نصَّ العلماء علىٰ أنَّها نزلت في أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والذين أيَّدوا نزولها في هؤلاء من علماء السنّة:

الطبري في تفسيره ج ١٠٩/١٤.

والآلوسي في تفسيره روح المعاني ١٣٤/١٤.

والقرطبي في تفسيره ٢٧٢/١١.

والتستري في تفسيره إحقاق الحق ٤٨٢/٣.

وابن كثير في تفسيره ٥٧٠/٢.

والحاكم في تفسيره شواهد التنزيل ٣٣٤/١.

والإمام الثعلبي في تفسيره هذه الآية.

وجاء أيضاً: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٤/٣، تاريخ الطبري ٢٢٣/٢، ٢٨٩، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٧/٣.

(٢) سورة النحل، ٤٣، وسورة الأنبياء، ٧.

وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيراً ﴾[1].

وهذه الآية في حق أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، نزلت في بيت أمّ سلمة، عندما كان هؤلاء الخمسة تحت الكساء، وسمّيت الآية بآية التطهير.

ولمّا أرادت أمّ سلمة الدخول معهم تحت الكساء، رفض النبي ﷺ ذلك وقال: أنتِ على خير، ومصادر السنّة التي سلّمت وأيّدت نزولها في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ هي:

١ ـ خصائص الأمام النسائي / ٤٩.

٢ ـ مسلم في صحيحه باب فضائل أهل البيت ٢ / ٣٦٨.

٣ ـ صحيح الترمذي ٥ / ٣٠.

٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ / ٣٣٠.

٥ ـ تلخيص الذهبي.

٦ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ٨٥.

٧ ـ الإستيعاب لابن عبد البر ٣ / ٣٧.

٨ ـ تفسير القرطبي ١٤ / ١٨٢.

٩ ـ أحكام القرآن لابن عربي ٢ / ١٦٦.

١٠ ـ مستدرك الحاكم ٣ / ١٢٣.

١١ ـ اسباب النزول للواحدي ٢٠٣.

١٢ ـ منتخب كنز العمال ٥ / ٩٦.

١٣ ـ البخاري في التاريخ الكبير ١ / ٦٩.

١٤ ـ تفسير الفخر الرازي ٢ / ٧٠٠.

---

(١) الاحزاب، ٣٣.

١٥ ـ السيرة الحلبية ٣ / ٢١٢.

١٦ ـ أُسد الغابة لابن الأثير ٢ / ١٢.

١٧ ـ تفسير الطبري ٢٢ / ٦.

١٨ ـ تاريخ ابن عساكر ١ / ١٨٥.

١٩ ـ تفسير الكشاف للزمخشري ١ / ١٩٣.

٢٠ ـ مناقب الخوارزمي، ٢٣.

٢١ ـ السيرة الدحلانية ٣ / ٣٢٩.

٢٢ ـ تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٣.

٢٣ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ٣١١.

٢٤ ـ مصابيح السنّة للبغوي ٢ / ٢٧٨.

٢٥ ـ الدر المنثور للسيوطي ٥ / ١٩٨.

وقد قال الفخر الرازي: إنّ الآية تدلُّ علىٰ أنّ هؤلاء الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين مطهَّرون من الذنوب الصغيرة والكبيرة.

وهناك الكثير من المفسرين والحفّاظ والمؤرخين والعلماء من أهل السنّة، ممّن لم نذكرهم هنا، قد ذكروا نزول الآية في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خاصّة. ولم تدّعِ عائشة ولا حفصة ولا أم سلمة بأنها من أهل البيت عليهم السلام، بل على العكس من ذلك ذكرت عائشة وأم سلمة بأنّ الآية نزلت في حق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. ثمّ جاء بعض الرواة والحفظة فالصقوا نساءَ النبي صلى الله عليه وآله بأهل بيته: حقداً عليهم وحسداً لهم! والآية الثالثة التي أجمعوا علىٰ نزولها في أهل البيت عليهم السلام هي: ﴿فَقُل تَعَالَوا نَدعُوا أَبنَاءَنَا وَأَبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَعنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾[1].

---

(١) آل عمران ٦١.

وعن أبي مسعود الأنصاري أنّه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عُبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عز وجل أن نصلّي عليك، فكيف نصلّي عليك؟

قال: فسكت رسولُ الله ﷺ حتّىٰ تمنّينا أنّه لم يسأله. فقال رسول الله ﷺ قولوا: اللهمّ صلّ علىٰ محمد وآل محمد، كما صلّيت علىٰ إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وآل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد.

ولمّا كان يوم أحد شُجَّ رسول الله ﷺ في وجهه، وكسرت رباعيته، فقام رسول الله ﷺ يومئذ رافعاً يديه يقول:

إنَّ الله تعالىٰ اشتدَّ غضبه على اليهود أن قالوا: عزير ابن الله، واشتدَّ غضبه على النصارىٰ أن قالوا: المسيح ابن الله، وإن الله اشتدَّ غضبه علىٰ من أراق دمي، وآذاني في عترتي[1]. وقد ذكر النبي ﷺ أحاديث في فضل أهل البيت ﷺ منها قوله ﷺ: أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق[2].

وقال الرسول ﷺ: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد[3].

بيت فاطمة

لقد صرَّح أبو بكر بمكانة فاطمة ﷺ العالية والخطيرة فقد ذكر ابن قتيبة: «لمّا أخرجوا علياً مضوا به الى ابي بكر، فقالوا له: بايع، فقال إن انا لم أفعل فمه؟ قالوا

---

(١) كنز العمال ١٠/٤٣٥ حديث ٣٠٠٥٠.

(٢) كنز العمال ٢١٦/٦، مستدرك الصحيحين ٣٤٣/٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٧/١٢ ح١٢٣٨٨ الصواعق المحرقة، ابن حجر ص١٨٦.

(٣) كنوز الحقائق ص١٥٣، الرياض النضرة ٢٠٨/٢.

(عمر وصحبه) اذاً والله الذي لا اله الّا هو نضرب عنقك ، قال : اذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله ، قال عمر : امّا عبد الله فنعم ، وامّا أخا رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك فقال : لا أكرهه على شيء ، ما كانت فاطمة الى جنبه »[١].

وفعلاً لم يقدم أبو بكر ولا عمر على قتل علي عليه السلام طيلة حياة فاطمة عليها السلام ، ولمّا ماتت فاطمة الزهراء بعد أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وآله ، بايع الامام علي عليه السلام أبا بكر ، ولم يوقع نفسه في التهلكة .

فلقد أدرك أبو بكر ثقل فاطمة عليها السلام الاجتماعي والديني ، وان أي ثورة تقودها فاطمة عليها السلام مصيرها النجاح ، لذلك علّق أبو بكر أوامره في علي عليه السلام بحياة فاطمة عليها السلام ، أي انّ أوامره ستنفّذ في حال موتها .

ولكن كيف عرف أبو بكر بأنّ فاطمة عليها السلام ستموت قريباً وعمرها مثل عمر عائشة ، أي ١٨ سنة .

الجواب : لقد عرف أبو بكر بضغط عمر لباب فاطمة عليها السلام عليها ، وسمع صرختها فتيقن موتها القريب ![٢]

ان اتفاق قبائل قريش على تناوب السلطة مطلب قرشي ، لذا فالقضاء على أهل البيت عليهم السلام أصحاب النص الإلهي بالخلافة مطلب قرشي .

لقد كانت العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وعمر بن الخطاب فيها خطوب كثيرة . وبعد موت النبي صلى الله عليه وآله انعكست تلك العلاقة غير الجيدة على ابنته فاطمة عليها السلام وهي في الحقيقة علاقة أهل البيت عليهم السلام مع قريش .

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١٣/١.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١٩/٢ ، .... ، ومروج الذهب ، للمسعودي ، والوافي بالوفيات للصفدي حرف أ . ٥/٢ ، ٤٨/٦ ، تاريخ اليعقوبي ١٧٠/٢ ، السقيفة ، الهلالي ص ٨٥ .

فأول حادثة لعمر بعد السقيفة هي هجومه علىٰ بيت فاطمة ﷺ، كما ذكروا:

١ ـ أخرج ابن عبد ربه الأندلسي: الَّذين تخلّفوا عن بيعة ابي بكر علي والعباس والزبير وسعد بن عبادة، فامَّا علي والعباس فقعدوا في بيت فاطمة، حتّىٰ بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب، ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لِتحرِقَ دارَنا ؟ قال: نعم او تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة[١].

٢ ـ وذكر الطبري الحادثة في تاريخه قائلاً:

أتىٰ عمر بن الخطاب منزل علي ﷺ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لاحرقنَّ عليكم او لتخرجن الى البيعة، فخرج الزبير مُصْلّتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[٢].

٣ ـ وذكر عالم المعتزلة ابن ابي الحديد الحادثة قائلاً:

ولمَّا رأت فاطمة ماصنع عمر، صرخت وولولت، وإجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهن فخرجن الى باب حجرتها، وقالت: يا أبا بكر ما اسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، واللهِ لا اكلِّمَ عُمرَ حتَّى الق الله[٣].

٤ ـ وذكر البلاذري مصيبة الزهراء قائلاً:

إنَّ أبا بكر أرسل الىٰ علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقَّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب أتُراك محرِّقاً عليَّ بابي ؟ قال: نعم وذلك أقوى فيما جاء به أبوكِ[٤].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢٥٩/٤، تاريخ أبي الفداء ١٥٦/١.

(٢) تاريخ الطبري ١٩٨/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١٩/٢.

(٤) انساب الاشراف ٥٨٦/١.

إذن قضيّة الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام مسلّمة. وتبقى قضيّة اخرى وهي هل ضرب عمر فاطمة وأسقط إبنها ؟

٥ ـ ذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قائلاً: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح، احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[1].

٦ ـ وقال صلاح الدين الصفدي الشافعي المتوفي سنة ٧٦٤ هجرية في ترجمة النظام: «إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتّى ألقت المحسن من بطنها»[2].

٧ ـ ولقد ذكر الحادثة ابن قتيبة الدينوري في كتابه المعارف إلّا ان يد التحريف الخائنة حذفت ذلك في الطبعات الحديثة.

إذ نقل ابن شهر آشوب المتوفي سنة ٥٨٨ هـ قائلاً: «وفي معارف القتيبي: أنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي»[3].

٨ ـ وقال الكنجي الشافعي المقتول في سنة ٦٨٥ هـ عن الشيخ المفيد: «وزاد على الجمهور، وقال إنّ فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي ذكراً، كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً، وهذا شيء لم يوجد عند أحدٍ من أهل النقل إلّا عند ابن قتيبة»[4].

فالظاهر من الروايتين ان ابن قتيبة قد ذكر الحادثة في كتابه المعارف لكنّ يد التحريف الخائنة حذفت ذلك! وكتبت: «وأمّا محسن بن علي فهلك وهو صغير»[5].

---

(١) كتاب الملل والنحل للشهرستاني ٥٦/١ طبعة مكتبة الانجلوا العصرية.

(٢) الوافي بالوفيّات ٣٤٧/٥.

(٣) مناقب آل ابي طالب ٤٠٧/٣، طبع دار الأضواء.

(٤) كفاية الطالب ص ٤١٣، قالت عليها السلام: والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله. اليعقوبي ص ١٢٦

(٥) المعارف، ابن قتيبة ص ٩٣.

٩ـوذكر ابن حجر في ترجمة محمد بن عبد الله الواعظ البلخي قوله: بكت فاطمة يوماً من الأيام، فقال لها علي: يا فاطمة لم تبكين عليّ؟! أأخذت فيئك (فدك)؟ أغصبتك حقك؟ أفعلت كذا؟ أفعلت كذا؟ وعدَّ أشياء مما يزعم الروافض: ان الشيخين فعلاها في حق فاطمة. قال: فضجَّ المجلس بالبكاء من الرافضة الحاضرين توفي في صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة[١].

ومن الناحية الطبية يموت كل من يدخل جسم حديدي في رئته بين شهر وثلاثة اشهر ان لم يعالج بالادوية والعمليات الحديثة، لعدم وجود كريات الدم البيضاء بصورة كافية في الرئتين.

بينما جاء عن حمزة الأسلمي: أنَّ رسول الله أمّره علىٰ سرية، قال: فخرجت فيها وقال ﷺ: «إن وجدتم فلاناً فاحرقوه بالنار. فولّيتُ فناداني فرجعت إليه فقال ﷺ: إن وجدتم فلاناً فاقْتُلُوهُ ولا تحْرُقُوه، فإنَّه لا يُعذِّب بالنار إلا ربُّ النّار»[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمة أحمد بن محمد بن السري بن يحيىٰ بن أبي دارم المحدِّث أبو بكر الكوفي: قال محمد بن أحمد بن حمّاد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ موته: كان مستقيم الأمر عامَّة دهره، ثمَّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: «إنَّ عمر رفس فاطمة حتّىٰ أسقطت بمحسن»[٣].

١٠ـوروىٰ إبراهيم بن محمّد الجويني بإسناده عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، عن النبي الأكرم ﷺ: «وأما ابنتي فاطمةُ فإنّها سيّدةُ نساءِ العالمين مِن

---

(١) لسان الميزان، ابن حجر ٥/٢٤٦، الوافي بالوفيات ٣/٣٤٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود ٢/٥٠٨ حديث ٢٣٢٧ـ٢٦٧٣.

(٣) لسان الميزان ١/٢٩٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ١/١٣٩، والرفس: الصدمة بالرجل في الصدر.

الأوّلين والآخرين، وهي بضعةٌ مني، وهي نورُ عيني، وهي ثمرةُ فؤادي، وهي روحِي التي بين جنبَيَّ، وهي الحوراءُ الإنسيةُ، متىٰ قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زَهَر نورُها لملائكة السماءِ كما يزهَرُ نورُ الكواكبِ لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلىٰ أمَتي فاطمةَ سيّدةِ إمائي، قائمةٌ بين يديَّ، تَرعدُ فرائصُها من خيفتي، وقد أقبلتْ بقلبها علىٰ عبادتي، أُشهدُكم أني قد آمنتُ شيعتَها من النار. وإنّي لمّا رأيتُها ذكَرْتُ ما يُصنعُ (بها) بعدي، كأني بها وقد دَخلَ الذلُّ بيتَها، وانتُهكتْ حرمتُها، وغُصِبَ حقُّها، ومُنِعَتْ إرثَها، وكُسِرَ جَنْبُها، وأُسقَطتْ جنينَها، وهي تنادي يا محمّداه فلا تُجابُ، وتستغيثُ فلا تُغاثُ. فلا تزالُ بعدي محزونةً مكروبةً باكيةً، فتتذكرُ انقطاعَ الوحي من بيتها مرّةً، وتتَذَكَّرُ فراقي أُخرىٰ[1].

١١ ـ وذكر المؤرخ اسماعيل أبو الفداء: «إنَّ أبا بكر بعث عمر بن الخطاب الىٰ علي ومن . معه ليخرجهم من بيت فاطمة ﷺ، وقال إن أبو عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيٍ من نار علىٰ أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة ﷺ وقالت: إلىٰ أين يا ابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم[2].

١٢ ـ وذكر المسعودي: فأقام أمير المؤمنين ﷺ ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله ﷺ، فوجّهوا إلىٰ منزله فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيدة النساء بالباب، حتّىٰ أسقطت محسناً، وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال: لا أفعل. فقالوا: نقتلك. فقال: إن تقتلوني فإنّي عبد الله وأخو رسوله[3].

---

(١) فرائد السمطين ٢/٣٦، البحار، المجلسي ١٧٢/٤٣.

(٢) تاريخ أبو الفداء ١٦٤/١.

(٣) إثبات الوصيّة، المسعودي ١٢٣.

١٣ ـ وذكر عمر رضا كحالة: فجاءهم عمر فناداهم وهم في دار فاطمة، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لاحرقنَّها علىٰ من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنَّ فيها فاطمة، فقال: وإن[١].

١٤ ـ وذكر الخبر الطبري في تاريخه[٢] طبع مصر القديم، ولكنَّ الناشر حذفه لاحقاً؟!

١٥ ـ وذكره الواقدي في كتاب إثبات الهداة لعلّامة المحدِّثين صاحب الوسائل، وذكره النوفلي في الأخبار، حيث قال عروة ابن الزبير يعذر أخاه عبد الله بن الزبير: إنَّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته، كما أرهب بني هاشم عمر وجمع لهم الحطب.

١٦ ـ وذكره المسعودي في أخبار عبد الله بن الزبير قائلاً: فقد كان عروة بن الزبير يعذر اخاه، إذا جرى ذكر بني هاشم، وحصره إياهم في الشعب، وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ويقول: إنَّما أراد بذلك إرهابهم، ليدخلوا في طاعته، كما أُرهب بنو هاشم، وجُمع لهم الحطب لاحراقهم اذ هم أبوا البيعة فيما سلف، وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا، وقد أتينا على ذكره في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الأذهان[٣].

وقول عروة بن الزبير بن العوام: «وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا» هو الذي يفسّر لنا سبب اقدام الكثير من الناشرين والمحدِّثين علىٰ حذف حادثة الهجوم علىٰ بيت فاطمة ﷺ، كلها او بعضها.

قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم

---

(١) اعلام النساء ١١٤/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٢/٢.

(٣) مروج الذهب، المسعودي ٧٧/٣ ط. دار الهجرة.

في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنما أراد بذلك الا تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون، وان يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم، لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار. هذا ما ذكره المسعودي في مروج الذهب طبع الميمنية ٨٦/٣. وقد حذفت فقرة «كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخر... الخ». من سائر الطبعات. وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي نصَّ المسعودي دون حذف في كتابه[١].

وهذا من أدلة عمل يد التحريف في كتب السيرة والتاريخ القديمة!

وكسر رجال الحزب القرشي بعد ذلك ضلع عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود بامر عثمان بن عفان[٢] وكسروا انف الحباب بن المنذر في السقيفة.

١٧ ـ والنظام هو زعيم طائفة النظامية السنية المعتزلية، واسمه إبراهيم بن سيار بن هاني النظام[٣].

قال الجاحظ عنه: كان النظام أشد الناس انكاراً على الرافضة[٤].

قال المقريزي: «... وزعم (النظام) انه (عمر) ضرب فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ومنع ميراث العترة[٥].

١٨ ـ وذكر البغدادي عن النظام قوله: «أنه كان يقول عن عمر: إنه ضرب فاطمة، ومنع ميراث العترة»[٦].

١٩ ـ وفي رواية أخرىٰ: «ومع أهل البيت استخدم عمر نفس الشدَّة،

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد ١٤٧/٢٠.

(٢) أعيان الشيعة ٢١٣/٤٢، المستدرك ١٣/٣، تاريخ اليعقوبي ١٩٧/٢، تاريخ ابن كثير ١٦٣/٧.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٥٦/١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ٣٢/٢٠.

(٥) الخطط (المواعظ والاعتبار) ٣٤٦/٢.

(٦) الفرق بين الفرق ص١٤٨.

فحاصرهم بالحطب وأحرق عليهم، وعندما دخلت الجماعة بيت فاطمة ، دفع قنفذ الباب علىٰ فاطمة، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنينها من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش، حتّىٰ ماتت، وقيل إنَّ الضارب عمر »[1].

٢٠ـومن أدلة هجوم القوم علىٰ بيت فاطمة، ما قاله العباسُ لعمر أثناء زيارة أبي بكر وعمر وابن الجراح له في بيته، بعد الهجوم علىٰ دار فاطمة . إذ هدَّده عمر فقال العباس: هذا الذي قدَّمتموه أول ذلك وبالله المستعان[2].

٢١ـوفي رواية أخرىٰ عن طريق سليم بن قيس:

« فإقتحموا بغير اذن (الدار)، وثار علي إلىٰ سيفه، فسبقوه إليه وكاثروه، وهم كثيرون، فتناول بعض سيوفهم، فكاثروه فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة ، عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت، وانَّ في عضدها كمثل الدملج من ضربته. ثمَّ انطلق بعلي يعتلُّ عتلاً، حتّىٰ إنتهىٰ به إلىٰ أبي بكر، وعمر قائم بالسيف علىٰ رأسه وخالد بن الوليد وأبو عبيده ابن الجراح وسالم مولىٰ أبي حذيفة ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة واسيد بن حضير وبشير بن سعد وسائر الناس حول أبي بكر عليهم السلاح[3].

وذكر أنَّ قنفذاً ألجأها الىٰ عضادة بابها، ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنينها من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتّىٰ ماتت.

---

(١) هامش الملل والنحل ٥٣/١ والوافي بالوفيات ١٧/٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٢٠/١، تاريخ اليعقوبي ١٢٥/٢.

(٣) السقيفة لسليم بن قيس الهلالي ٨٥، وقد روىٰ أبان بن عياش كتاب سليم بن قيس. وقال سلم العلوي في أبان بن أبي عياش: يا بني عليك بأبان. وقال أيوب السختياني: ما زال نعرفه بالخير منذ كان. وقال ابن حبّان: كان أبان من العبّاد، يسهر الليل بالقيام ويطوي النهار بالصيام، سمع عن أنس أحاديث وجالس الحسن، ميزان الاعتدال، الذهبي ١٠/١ـ١٤ طبعة دار المعرفة، وقد روىٰ ابن حجر العسقلاني عن أبان بن عياش، الإصابة، ابن حجر ١٥/١ـ٥٨٨، ٢٦٦/٢، ٤٧٤/٤.

٢٢ـوذكر المفكر عبد الفتاح عبد المقصود المصري في كتابه السقيفة والخلافة: «أتىٰ عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنَّ عليكم او لتخرجن إلى البيعة.

ثمَّ تطالعنا صحائف ما أورده المؤرخون بالكثير من أشباه هذه الأخبار المضطربة، التي لا نعدم من بينها عنف عمر، ما يصل به إلى الشروع في قتل علي، أو احراق بيته علىٰ من فيه. فلقد ذكر أنَّ أبا بكر أرسل عمر بن الخطاب، ومعه جماعة، بالنار والحطب إلىٰ دار علي وفاطمة والحسن والحسين، ليحرقوه بسبب الإمتناع عن بيعته، فلمَّا راجع عمر بعض الناس قائلين: إنّ في البيت فاطمة. قال: وإن[١].

وقد نظَّم هذه الواقعة شاعر النيل حافظ ابراهيم فقال:

وقولة (لعلي) قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرَّقت دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفىٰ فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها[٢]

٢٣ـوايَّد الحادثة معاوية بن أبي سفيان في رسالته لمحمد بن الحنفية، إذ كتب إليه: ثم إنَّهما (أبو بكر وعمر) دعواه إلىٰ بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمّا به الهموم، وإرادا به العظيم (أي الموت)[٣].

٢٤ـوذكر ابن قتيبة الحادثة المأساوية قائلاً: إنَّ أبا بكر ﷺ تفقَّد قوماً تخلَّفوا عن بيعته عند علي كرّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ

---

(١) السقيفة والخلافة. عبد الفتاح عبد المقصود المصري ١٤.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم ٧٥/١.

(٣) مروج الذهب. المسعودي ١٢/٣.

أو لاحرقنّها علىٰ من فيها ، فقيل له : يا أبا حفص : إنّ فيها فاطمة ؟ فقال : وإن .

فخرجوا فبايعوا إلّا علياً ، فإنَّه زعم أنّه قال : حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثيابي علىٰ عاتقي حتّىٰ أجمع القرآن .

فوقفت فاطمة رضي الله عنها علىٰ بابها فقالت : لاعهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردُّوا لنا حقّاً . فأتىٰ عمر أبابكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولىٰ له : إذهب فادع لي علياً .

قال فذهب إلىٰ علي فقال له : ما حاجتك فقال : يدعوك خليفة رسول الله .

فقال علي : لسريع ما كذّبتم علىٰ رسول الله .

فرجع فابلغ الرسالة قال : فبكىٰ أبو بكر طويلاً ، فقال عمر ثانية : لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة . فقال أبو بكر ﷺ لقنفذ : عد إليه ، فقل له : خليفة رسول الله يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدّىٰ ما أُمر به . فرفع علي صوته فقال : سبحان الله لقد ادَّعىٰ ما ليس له . فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة ، فبكىٰ أبو بكر طويلاً ، ثمَّ قام عمر فمشىٰ معه جماعة ، حتّىٰ أتوا باب فاطمة ، فدقُّوا الباب ، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها : يا أبتِ يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة . فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا علياً ، فمضوا به الىٰ أبي بكر ، فقالوا له : بايع . فقال إن أنا لم أفعل فه ؟ قالوا : إذاً والله الذي لا اله إلّا هو نضرب عنقك[1] .

٢٥ ـ وقال عمرو بن العاص لمعاوية : « وانت تعلم انه الشجاع المطرق ، ومعه أهل العراق ، وأهل الحجاز ، وقد سمعته أنا وأنت ، وهو يقول : لو استمكنت من

---

(١) الإمامة والسياسة ، لابن قتيبة ١/١٢ ـ ١٣ .

اربعين رجلاً يوم فتش البيت يعني بيت فاطمة »[١].

٢٦ ـ وقال ابن أبي الحديد في شرحه : إنَّ زينب بنت رسول الله ﷺ تجهَّزت للحوق بأبيها ، وخرجت من مكَّة علىٰ بعير لها ، وهي في الهودج . فخرج في طلبها هبّار بن الأسود ، فروَّعها بالرمح ، وكانت حاملاً ، فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكَّة ، دم هبّار بن الأسود .

قلت ـ والكلام لابن أبي الحديد ـ وهذا الخبر أيضاً ، قرأته علىٰ النقيب أبي جعفر فقال : إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبّار بن الأسود ، لأنه روّع زينب ، فألقت ذا بطنها ، فظهر الحال أنّه لو كان حياً ، لأباح دم من روَّع فاطمة حتَّى ألقت ذا بطنها»[٢].

٢٧ ـ وقال الإمام الحسن عليه السلام للمغيرة بن شعبة ، في مجلس معاوية ، بقوله : « وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، حتَّىٰ أدميتها ، وألقت ما في بطنها ، استذلالاً منك لرسول الله ، ومخالفة منك لأمره ، وانتهاكاً لحرمته ، وقد قال رسول الله ﷺ : أنتِ سيدة نساء أهل الجنَّة ، واللهُ مصيِّرُكَ إلى النار[٣].

٢٨ ـ وذكر أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة وفدك الحادثة : « وساقهما (علي والزبير) عمرُ ومن معه سوقاً عظيماً ، وإجتمع الناس ينظرون ، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال ، ورأت فاطمة ما صنع عمر ، فصرخت وولولت ، وقالت عليها السلام بعد أن قامت الىٰ باب الحجرة : يا أبا بكر ما أسرع

---

(١) صفين ، المنقري ص١٦٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/١٩٢ ، وهبار بن الاسود بن عبد العزىٰ بن قصي هو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ في نفر من سفهاء قريش ، حين أرسلها زوجها أبو العاص الى المدينة ، فأهوى إليها هبّار وضرب هودجها ، ونخس الراحلة ، وكانت حاملاً فأسقطت فقال رسول الله ﷺ : اقتلوه فإنّه لا يعذِّب بالنار إلاّ ربُّ النار ، الاصابة لابن حجر ٣/٥٩٨ ، أسد الغابة ٥/٣٨٤ .

(٣) الاحتجاج ١/٤١٤ .

ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ﷺ، والله لا اكلم عمر حتى ألقى الله سبحانه[١].

وكانت المجموعة التي هجمت على بيت فاطمة ؛ تضمّ عمر وهو قائد لها، وأسيد بن حضير[٢] وسلمة بن سلامة بن وقش[٣]، وثابت بن قيس بن شماس الخزرجي[٤]، ومحمد بن مسلمة[٥]، وخالد بن الوليد[٦]، وبشير بن سعد، والمغيرة بن شعبة[٧]، وأبا عبيدة بن الجراح[٨]، وسالماً مولى أبي حذيفة[٩]، ومعاذ بن جبل، وقنفذ[١٠]، وعثمان[١١]، وعبد الرحمن بن عوف[١٢]، وزياد بن لبيد[١٣]،

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري ٥١.

(٢) كتاب السقيفة، أبو بكر الجوهري. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١١/١.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤٧/٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٨/٦، وفي تفسير الدر المنثور أخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو يعلى والبغوي في معجم الصحابة وابن المنذر والطبراني وابن مردوية والبيهقي في الدلائل عن أنس قال: لما نزلت: «يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ الى قوله.. وانتم لا تشعرون» كان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في بيته حزيناً.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٨/٦، السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري ٥١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الاحتجاج ٤١٤/١، الاختصاص ص ١٨٥.

(٨) الاختصاص ص ١٨٥.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) هامش الملل والنحل ٥٣/١، الوافي بالوفيات ١٧/٦، الإمامة والسياسة ابن قتيبة ١٢/١.

(١١) الاختصاص، المفيد ١٨٤ ـ ١٨٧ ط. مكتبة الصدوق.

(١٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٨/٦، البداية والنهاية ٢٥٠/٥، سير أعلام النبلاء ٢٦.

(١٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٨/٦.

ومسلمة بن أسلم[١] . ومعاوية بن أبي سفيان[٢] ، وعمرو بن العاص[٣] وكان خارج البيت جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردءاً لهم .

وقد أثبت الشهرستاني والبلاذري والصفدي والجوهري وابن عبد ربه الاندلسي ، وعروة بن الزبير ، أنّه لم يكن تجمُّع معارض في بيت فاطمة عليها السلام . كما صوَّرته السلطة الأموية لاحقاً .

٢٩ ـ وجاء : تخلَّف عليٌّ عن بيعة أبي بكر فأُخرِجَ ملبَّباً[٤] يُمضىٰ به ركضاً ، وهو يقول : معاشر المسلمين ، علامَ تُضرب عنق رجل من المسلمين ، لم يتخلَّف لخلاف ، وإنما تخلَّف لحاجة ! »[٥] . وروىٰ أبو بكر احمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا أبو زيد عمر بن شبَّه . . . عن أبي الأسود قال : غَضِب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير ، فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح .

فجاء عمر في عِصابة فيهم أُسيد بن حضير وسلمة بن سلامة من قريش ، فاقتحما الدار ، فصاحت فاطمة وناشدتهما الله . فأخذوا سيفيهما ، فضربوا بهما الحجر حتىٰ كسروهما فأخرجهما عمر يسوقهما حتىٰ بايعا »[٦] .

٣٠ ـ ومن تبعات الهجوم علىٰ بيت فاطمة سيدة نساء العالمين وضربها : ندم أبو بكر على الحادثة فقد قال عمر لابي بكر : إنطلق بنا الىٰ فاطمة فإنّا أغضبناها .

وقال أبو بكر نادماً : يبيت كلُّ رجل معانقاً حليلته ، مسروراً بأهله ،

---

(١) الإمامة والسياسة ١/١١ .

(٢) صفين ، المنقري ص١٦٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) يقال لبَّب فلان فلاناً : أخذ بتلبيبه ، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره ثمّ جرَّه .

(٥) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦/٤٥ .

(٦) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦/٤٧ ، وابن شبه هو صاحب كتاب تاريخ المدينة المنوّرة .

وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي[١].

٣١ـوقال أبو بكر: وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأُدخله الرجال، ولو كان أُغلق علىٰ حرب[٢].

وقال أبو بكر في أواخر سني عمره نادماً علىٰ حادثة الهجوم علىٰ بيت فاطمة ﷺ:

«إنِّي لا آسىٰ علىٰ شيْ إلاَّ علىٰ ثلاث، وددت أنِّي لم أفعلهن، وددت أنِّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته وإن أُغلق على الحرب و...»[٣]

ومن خلال كلام أبي بكر يبرز ندمه الشديد علىٰ هجومه الكاسح علىٰ بيت فاطمة ﷺ وإعتراف منه بالهجوم.

وبيَّن أبو بكر في كلامه أنَّ بيت فاطمة لم يغلق علىٰ حرب بينما تعرَّض الىٰ هجوم كاسح؟ إذ كانت معارضة علي وفاطمة ﷺ معارضة صامته وفي داخل بيت مغلق، فلا داعي للهجوم عليه لاحراقه بمن فيه، ودخوله عنوة، وأخراج علي ﷺ بشكل لا يليق به ولا برجال السلطة!

ويتوضَّح من حادثة الهجوم علىٰ بيت فاطمة ﷺ، أنَّ أمر أبي بكر لقائد المجموعة المرسلة عمر يتمثَّل بقتالهم.

وقد ذهب عمر إلىٰ أبعد من الأوامر، حينما جاء بالحطب والنار، ليحرق بيت فاطمة ﷺ، ويقتل كلَّ من فيه، دون إستثناء لبضعة النبي ﷺ وسبطيه الحسن والحسين. ولو دقَّقنا في قول أبي بكر لعمر: «لا اكرهه علىٰ شيْ ما كانت فاطمة الىٰ

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١، أعلام النساء ٣١٤/٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٣٧/٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥١/٦، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٨/١. الشيخان ص٢٣٣.

(٣) لسان الميزان ١٨٩/٨، في ترجمة علوان طبع دار المعرفة ـ بيروت.

جنبه » يثبت أنَّ الاثنين ينظران الىٰ فاطمة عليها السلام كعقبة في طريقهما.

ولو تأخَّرت فاطمة عليها السلام في فتح الباب لهم لأحرقوا البيت عليها. أي انَّهم حصروا فاطمة عليها السلام بين خيارين أحلاهما مرّ. فإن فتحت هي الباب قتلوها بضغطة الباب عليها ؟!! وان لم تفتح الباب أحرقوها مع محسن والحسن والحسين وعلي عليهم السلام !..

ولا يتوقَّع الكثير أن عمر بن الخطاب سيحرق البيت عليهم، لانَّهم صفوة المسلمين، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والثقل الثاني بعد القرآن... ولكنَّهم مخطئون. لأنَّ عمر كان قد رفضهم يوم قال للنبي صلى الله عليه وآله حسبنا كتاب الله[1].

وقال عمر: محمد شجرة نبتت في كبا (مزبلة). متَّهماً نبي البشرية في نسبه الطاهر ![2] ثمَّ أعلنها عمر صرخة مدوية وواضحة في رغبته في إحراق أهل البيت عليهم السلام. فقد تعجَّب المسلمون من وضع النار والحطب حول بيت فاطمة، فسألوا عمر بتعجّب: يا أبا حفص إنَّ في البيت فاطمة ؟

فقال عمر: وإن[3].

ثمَّ أقسم عمر قائلاً: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لاحرقنَّها علىٰ من فيها. فقالت له فاطمة عليها السلام: يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ؟

قال: نعم[4].

---

(١) صحيح البخاري ١/١٢٠، باب كتابة العلم، صحيح مسلم آخر كتاب الوصية ٥/٧٥، مسند أحمد ٤/٣٥٦.

(٢) راجع موضوع نسب عمر.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٢، أعلام النساء، عمر رضا كحالة ٤/١١٤، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود المصري ١٤.

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤/٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، أنساب الأشراف ١/٥٨٦، البلاذري.

إذن كان مطلب عمر الأساسي ينحصر في أمرين: إحراق البيت أو فتح الباب. وعندها لم تجد فاطمة ﷺ مفرّاً من فتح الباب ولما فتحت البب وقعت المصيبة!

وكان الواجب الأخلاقي يحتّم علىٰ عمر، عند فتح فاطمة ﷺ الباب له، ان يتعامل معها بكل لطف واحسان. فيطالب بالحديث مع علي ﷺ لدعوته للمجيء إلىٰ مقر حكومة أبي بكر. ومراعاة الآية القرآنية القائلة: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدخُلُوا بُيُوتاً غيرَ بُيُوتِكُم حَتَّىٰ تَستَأنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أهلِهَا ذَلِكُم خَيرٌ لَكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ فَإن لَّم تَجِدُوا فيهَا أحَداً فَلَا تَدخُلُوها حَتَّىٰ يُؤذَن لَكُم وإن قِيلَ لَكُمُ إرجِعُوا فَارجِعُوا هُو أزكىٰ لَكُم واللهُ بما تَعمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لا أسألكم عَلَيه أجراً إلاّ المودَّة في القُربىٰ﴾[٢]. والالتزام بعهود بيعة الرضوان في الدفاع عن رسول الله ﷺ وآله كدفاعهم عن أنفسهم وأهلهم وقد بايع فيها عمر وأبو بكر وصحبهم.

ولكنَّ هذا لم يحدث! فهجمت الجماعة بشكل صاعق علىٰ بيت بني المصطفىٰ شاهري سيوفهم، يتقدّمهم عمر بن الخطاب بيده مشعل نار.

وظاهر الأمر، أنَّ فاطمة ﷺ لم تتوقع ضغط الباب عليها، ولم تتصوَّر أنهم سيدخلون بيتها بلا إذن، فبقيت متستِّرة ومحتجبة بالباب، فهو سترها.

وعندها حصرها عمر وضغطها ضغطة شديدة بين الحائط والباب؟! لم يراع فيها حرمةً لمحمدٍ المصطفىٰ ﷺ ولا لعلي المرتضىٰ ﷺ وخديجة الكبرىٰ ولا للحسن والحسين وانها سيدة النساء ولا كونها حاملاً، ولا كونُها مبتلاة بموت أبيها ودفنه بالأمس!

وهذه الحادثة ذكَّرتني بقول الخليفة عمر: لقد دفنت إبنتي، وهي تنفض

---

(١) النور ٢٧ـ٢٨.

(٢) الشورىٰ، ٢٣.

التراب عن لحيتي ![1]

ولو سأل سائل عن سبب فتح الباب من قبل فاطمة عليها السلام، ولم يفتحه الإمام علي عليه السلام.

فالجواب: انَّ فتح فاطمة عليها السلام للباب ليس فيه إشكال، لأنّه من غير المتوقع دخول هذه الجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الىٰ بيت سيدة نساء العالمين ووصي خاتم الأنبياء دون إذن. ولم يرغب الإمام علي عليه السلام في مواجهة هؤلاء، الأمر الذي قد يؤدي الىٰ مواجهة حربيّة بين الطرفين.

وكان الإمام علي عليه السلام مشغولاً بجمع القرآن كما صرّح هو نفسُه. فحينما دخلوا عليه الدار لم يكن شاهراً سيفه، ولو كان بيده السيف، لما تمكّن هؤلاء من أخذه عليه السلام الىٰ أبي بكر.

فكانت حركة هؤلاء سريعة وغير متوقعة من قبل علي وفاطمة عليهما السلام والمسلمين، وهذه الحركة السريعة والخاطفة، تشبه الحركة السريعة لعمر وابي بكر في الانسحاب من مراسم غسل ودفن الرسول صلى الله عليه وآله، والذّهاب الى سقيفة بني ساعدة لانجاز البيعة، فكانت بيعة السقيفة أسرع من عملية غسل جثمان الرسول صلى الله عليه وآله؟! لذلك سماّها عمر بالفلتة.

لقد ادركت السلطة خطورة بقاء فاطمة إلىٰ جنب علي عليه السلام فقال أبو بكر: لا أُكرهه مادامت فاطمة الى جنبه[2].

وأيَّدت هذه النظريَّة عائشة قائلة: وكان لعلي وجهٌ من الناس حياة فاطمة، فلما توفّيت فاطمة، انصرفت وجوه الناس عن علي[3].

(١) عبقرية عمر للعقاد ٣٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٨.

وذكر البخاري ذلك: وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيت إستنكر عليٌّ وجوهَ الناس[١].

وبعد الهجوم علىٰ دار فاطمة ، بقيت طريحةَ فراش تشكوا مرضَها، بعد اجتماع عدّة مصائبَ عليها، موت أبيها المصطفى ﷺ، وأخذ الخلافة من زوجها علي ، وإهانتها، وحرمانها من فدك، وتكذيبهم لها، وجرح كرامتها في دخولهم بيتها من دون إذنها، وقتل ابنها (محسن) وإستمرار مرضها بضربة الباب واسقاط جنينها. فتسبّبت هذه الأحداث الكثيرة والمرّة في سرعة وفاتها ، ولحوقها بأبيها، المصطفىٰ ﷺ.

ومما يثبت حادثة الهجوم علىٰ بيت فاطمة وتخلفهم عن قرارات بيعة الرضوان التي أمضوها ما ذكره علي قائلاً: كنت مع الأنصار لرسول الله ﷺ على السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه، فلمّا عزَّ الإسلام، وكَثُر أهله، قال ﷺ يا علي زد فيها: «علىٰ ان تمنعوا رسول الله وأهل بيته ما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، قال علي : فحملها علىٰ ظهور القوم، فوفىٰ بها من وَفَىٰ، وهلك من هلك»[٢].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: وكانت وفاة فاطمة الزهراء بعد وفاة النبي ﷺ بمدّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول ستة أشهر، والمُقِلْ يقول: أربعين يوماً، إلاّ أن الثابت في ذلك ما روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر إنّها توفّيت بعده بثلاثة أشهر[٣].

وعملية هجوم عمر وعصبته علىٰ بيت علي وفاطمة يشبه عملية هجومه

---

(١) صحيح البخاري ٢٥٢/٥ ح ٧٠٤ باب ١٥٥ غزوة خيبر.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٤/٦.

(٣) مقاتل الطالبين ١٩.

علىٰ بيت عائشة بعد وفاة أبي بكر.

فقد دخلوا بيت عائشة بلا إذن أيضاً وكما ضرب فاطمة عليها السلام بنفسه فقد ضرب عمر أمَّ فروة بنفسه(١).

ومثلما دخل عمر وجماعته بيت فاطمة عليها السلام وبيت أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بلا إذن فقد دخلوا بيت أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية (خالة خالد بن الوليد) رضي الله عنها بلا إذن؟!

والعجيب ان الهجوم على المنازل الثلاثة قد حدث بعد يوم واحد من دفن النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر وخالد؟(٢)

وقال أبو بكر احمد بن عبد العزيز: لما أكثر في تخلّف علي عن البيعة، واشتدَّ أبو بكر وعمر في ذلك خرجت أمُّ مسطح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ونادته يا رسول الله:

قد كان بعدك أنباءٌ وهينمةٌ ... لو كنتَ شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطُبُ
إنّا فقدناك فقد الأرضِ وابلَها ... فاختلّ قومُكَ فاشهدْهُم ولا تَغِبُ(٣)

متىٰ مات محسن؟

الذي لا يعرف تاريخ الهجوم علىٰ بيت فاطمة عليها السلام يتصوَّر ويظن أنَّ الهجوم بدأ بعد شهر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله، أي بعد جفاف تراب قبره، أو علىٰ الأقل بعد اسبوع من تاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فيكون أهل المتوفىٰ قد هدأ روعهم، وسكن

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤، حوادث سنة ١٣ هجرية، الكامل في التاريخ ٢/٢٠٤، كنز العمال ١١٨/٨ كتاب الموت.

(٢) انظر موضوع دخول بيوت فاطمة وعائشة وميمونة رغم تحريمهنَّ ذلك، عبقرية عمر للعقاد ٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٢/٦.

خاطرهم، وسكنت نفوسهم.

ولكنَّ الغريب والمدهش واللا معقول في حادثة الهجوم علىٰ دار فاطمة بنت محمّد ﷺ، انَّ تاريخ الهجوم علىٰ بيتها، لإحراقه وترويع أهله، قد حدث في نفس يوم دفن النبي ﷺ!

ذكر ابن هشام في سيرته عن عائشة أنَّهم فرغوا من جهاز النبي ﷺ يوم الثلاثاء، ثمَّ دفن رسول الله ﷺ في وسط الليل، ليلة الأربعاء[1].

وذكر الشهرستاني في الملل والنحل: انَّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتّىٰ ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح إحرقوا دارها، بمن فيها، وماكان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[2].

فيكون الهجوم علىٰ بيت فاطمة عليها السلام قد حدث في يوم الأربعاء، ومقتل محسن وبيعة أبي بكر في يوم الأربعاء ٣٠/صفر/١١ هجرية.

لقد كان دفن النبي ﷺ ليلة الأربعاء، وفي صبيحة يوم الأربعاء بدأت البيعة العامة، وتلاها الهجوم علىٰ بيت فاطمة بنت محمد ﷺ.

قال ابن الكثير: توفي ﷺ يوم الإثنين وذلك ضحىً، فاشتغل الناس ببيعة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة، ثمَّ في المسجد البيعة العامَّة في بقية يوم الإثنين، وصبيحة الثلاثاء كما تقدم ذلك بطوله، ثمَّ أخذوا في غسل رسول الله ﷺ وتكفينه والصلاة عليه ﷺ تسليماً بقيَّة يوم الثلاثاء ودفنوه ليلة الأربعاء[3].

والظاهر أنَّ جماعة السقيفة قد عملوا بيعتين لأبي بكر، واحدة خاصة قبل

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٤/٤، تاريخ الطبري ٤٥٥/٢.

(٢) كتاب الملل والنحل للشهرستاني ٨٣ طبع مصر تحت اشراف محمد فتح الله بدوان نقلاً عن النظام، وكتاب الوافي بالوفيات ٥٧/١ والصفدي ١٧/٦.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٥/٥.

دفن النبي ﷺ، والثانية عامة في المسجد النبوي، بعد دفنه ﷺ.

وقد قالت فاطمة عليها السلام:

صبّت عليّ مصائب لو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليا
فاليوم أخشع للذليل، واتقي ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا[١]

وهكذا ماتت فاطمة عليها السلام قبل أن تصل إلى العشرين من عُمُرها وعاشت عائشة (التي كانت في عمر فاطمة الزهراء) إلى أن بلغت الثالثة والستين من سنها، في كنف أبيها وعمر وجماعة قريش سعيدة مسرورة بنجاح حِزْبِها القرشي وقبضه لمقاليد السلطة، فخسر علي عليه السلام ركناً مهماً في مسيرته الدينية والسياسية والاجتماعية.

فاطمةَ وحزنُها

روى الطَبري: فهجرت فاطمة أبا بكر، فلم تكلّمْهُ في ذلك، حتّىٰ ماتت، فدفنها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر[٢].

وقد قال النبي ﷺ: فاطمة بضعة منّي فمن اغضبها فقد أغضبني[٣].

وذكر البخاري في صحيحه: أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر وسألته ميراثها من رسول الله ﷺ، ممّا أفاء اللهُ عليه بالمدينة من فدك، وما بقي من خُمُس خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله ﷺ قال: لا نورِّث ما تركناه صدقة. وإنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، وإنّي والله لم أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها، التي كانت عليه، وأبىٰ أن يدفع إلىٰ فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة علىٰ أبي بكر

(١) المناقب، ابن شهر آشوب ١/٢٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٠٢.

(٣) صحيح البخاري ٥/٣٦.

فهجرته، فلم تتكلّم معه حتّىٰ توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلمّا توفّيت، دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّىٰ عليها علي[١].

فبعد قضيّة الهجوم علىٰ بيت فاطمة ﷺ، وسلب فدك منها، وتهديد زوجها بالقتل إن لم يبايع، غضِبَت فاطمةُ علىٰ أبي بكر وعمر، وأقسمت ان لا تكلّمهما حتّىٰ تَقدِمَ علىٰ رسول الله ﷺ. وقالت فاطمة ﷺ لابي بكر وعمر: فإنّي أُشهد اللهَ وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكونّكما إليه[٢]. وقالت: لأدعونَّ اللهَ عليكَ في كلِّ صلاة أُصلّيها[٣].

وذكر البخاري في صحيحه:

فغضبت فاطمة بنت محمد ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته، حتّىٰ توفّيت، وعاشت بعد الرسول ﷺ ستّة أشهر[٤].

وروىٰ مسلم في صحيحه غضبَ فاطمة ﷺ علىٰ أبي بكر وعمر[٥].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: والصحيح عندي أنّها ماتت وهي واجدة علىٰ أبي بكر وعمر، وأنها أوصت أن لا يصليا عليها[٦].

عيادة أبي بكر وعمر لفاطمة ﷺ

«انّ عمر قال لأبي بكر: إنطلق بنا إلىٰ فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا

---

(١) صحيح البخاري ١٧٧/٥.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١، أعلام النساء ٣١٤/٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيح البخاري ٩٦/٤.

(٥) صحيح مسلم ١٢٥٩.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٠/٦.

جميعاً، فأستأذنا علىٰ فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد ـ عليها ـ السلام.

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إنّ قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي، وإنّكِ لأحبّ إليّ من عائشة إبنتي، وَلَوَددت يوم مات أبوكِ أنّي مِتُّ، ولا أبقىٰ بعده، أفتراني أعرفكِ وأعرف فضلكِ وشرفكِ، وأمنعكِ حقّكِ وميراثكِ من رسول الله؟

إلا أنّي سمعت أباكِ رسول الله ﷺ يقول: «لا نورّث، وما تركناه فهو صدقة».

فقالت: «أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟».

فقالا: نعم.

فقالت: «نشدتكما الله: ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسَخط فاطِمةَ مِن سَخَطِي، فمن أحبَّ فاطمة إبنتي فقد أحبَّني، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟».

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ.

قالت: فإنّي أُشهِدُ الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيَّ ﷺ لأشكونّكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالىٰ من سخطه ومن سخطكِ يا فاطمة. ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي، حتّىٰ كادت نفسه أن تزهق، وهي (فاطمة) تقول: «واللهِ لأدعونَّ الله عليكما في كلِّ صلاة أُصلّيها.

ثمّ خرج باكياً، فإجتمع الناس إليه.

فقال لهم: يبيت كلُّ رجل معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا

فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي»[١].

بقيت هنا كلمة وسؤال: قد يتبادر إلىٰ ذهن القارىء أن يسأل: ما دعا أبا بكر أن يلين ويخضع هكذا؟ وما دعا الزهراء أن تثبت علىٰ رأيها، ولا تتضعضع عن موقفها؟

لقد أجاب الجاحظ عن هذا السؤال، وكفانا مؤونة الجواب، قال في رسائله: (... فإن قالوا: كيف تظن به ظلمها والتعدّي عليها، وكلّما إزدادت عليه غلظة إزداد لها ليناً ورقّة حيث تقول له: واللهِ لا أُكلمكَ أبداً، فيقول: والله لا أهجركِ أبداً، ثمّ تقول: «واللهِ لأدعونَّ اللهَ عليكَ»، فيقول: واللهِ لأدعونَّ اللهَ لكِ، ثمّ يتحمَّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة، ثمّ لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرّباً بكلام المعظِّم لحقِّها، والمكبِّر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنّن عليها: ما أحدٌ أعز عليَّ منك فقراً ولا أحبُّ إليَّ منكِ غنىٰ، ولكن سمعت رسول الله يقول: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة».

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مَكْر الظالم، ودَهاء الماكِر، إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً، أن يظهر كلام المظلوم وذلّة المنتصف، وحدب الوامق ومقت المحقّ... الخ)[٢].

وفاة فاطمة بعد مضي ثلاثة أشهر على وفاة النبي ﷺ

وبعد الهجوم الخاطف والشديد علىٰ بيت فاطمة عليها السلام لم تعش فاطمة طويلاً،

---

(١) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١، اعلام النساء ٣/٣١٤.

(٢) رسائل الجاحظ ٣٠٠، النص والاجتهاد.

من أثر الصدمة، وشدّة الضربة، قال أبو الفرج الإصفهاني: وكانت وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بمدّة يختلف في مبلغها فالمكثر يقول: ستة أشهر، والمقل يقول أربعين يوماً، إلّا أنّ الثابت في ذلك ماروي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، إنها توفيت بعده بثلاثة أشهر[1].

وقال اليعقوبي: إنّها عاشت بعد أبيها ثلاثين، أو خمسة وثلاثين يوماً، وهذا أقلُّ ما قيل في مدة بقائها بعد أبيها.

وقول آخر أربعون يوماً، وقول ثالث خمسة وسبعون يوماً وهو الأشهر. والرابع: خمسة وتسعون يوماً وهو الأقوى[2].

وهناك أقوال لا يعبأ بها بأنّها عاشت بعد أبيها ستة أشهر، أو ثمانية أشهر وهذا أكثر ما قيل في مكثها بعد أبيها صلى الله عليه وآله.

وقال الإمام الصادق: إنّها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة[3].

أما عمرها يوم وفاتها عليها السلام فقد جاء في البحار عن جابر بن عبد الله: وقبض النبي صلى الله عليه وآله ولها يومئذ ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر.

وعن الإمام محمد الباقر: وتوفّيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً. وذكر ابن طاووس والشيخ الطوسي والكفعمي، أن الثلاثة أشهر هو الثابت في وفاة السيدة فاطمة الزهراء، برواية أبي جعفر الباقر عليه السلام.

---

(١) مقاتل الطالبيين ص١٩. وأبو الفرج الاصفهاني ينتسب الى العائلة الأموية.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١١٥/٢.

(٣) دلائل الإمامة للطبري ص٤٥.

موقف أبي بكر وعمر من فدك

لقد كان بستان فدك من نصيب رسول الله ﷺ، لأنّه لم يوجف عليه بخيل وركاب، فأعطاه الرسول ﷺ في حياته لفاطمة ؏. لذلك كانت سلام الله عليها صاحبة اليد علىٰ فدك.

واذا اراد أبو بكر وعمر سلب فدك منها، فعليهما ان يقدّما الأدلة علىٰ كون فدك لطرف آخر من المالكين.. ولكنَّ أبا بكر وعمر عكسا القضيَّة، فطلبا من فاطمة ؏ صاحبة اليد، أن تقدّم الأدلة علىٰ كونها لها؟ لأنّه لم تكن عندهما الأدلة علىٰ ادّعائهما! فجاءت فاطمة بعلي والحسن والحسين: وام أيمن فشهدوا لها بذلك. وعلي مولى المؤمنين، وهي سيدة نساء العالمين. ولكنَّ أبا بكر إدَّعىٰ أن شهادة الزوج لا تقبل في حقِّ زوجته!

وهذا المطلب مثل المطلب السابق، لا يقرّه الشرع الإسلامي، فشهادة الزوج صحيحة في أمر زوجته. وجاء أبو بكر بحديث موضوع لم يسمعه المسلمون (هذا أولاً)، ومعارض للقرآن الكريم (ثانياً).

والحديث الغريب هو: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة[1].

بينما يقول القرآن الكريم: ﴿وَوَرِثَ سليمانُ داود﴾[2].

ولكنَّ أبا بكر وعمر عملا بحديث أبي بكر مع فاطمة ؏، فأخذا فدكاً منها، وعملا بالآية القرآنية مع عائشة ؏ فأعطياها غرفة الرسول ملكاً لها، لتأذن لهما في الدفن فيها!

بالرغم من أنَّ حقَّ عائشة في الإرث الثمن من التسع، لأنّها زوجة مع تسع

---

(١) الإمامة والسياسة ١٤.

(٢) النمل، ١٦.

زوجات للرسول ﷺ.

لذلك قال عبد الله بن عباس لعائشة: لك التسع من الثمن وبالكلِّ تملَّكت.

وقابلتها عائشة ﷺ بالمثل إذ وافقت علىٰ دفن أبي بكر وعمر في غرفة الرسول ﷺ، ولم ترض بدفن الحسن بن فاطمة بنت محمد ﷺ فيها. بينما حصَّة فاطمة بنت الرسول أكثر من حصَّة عائشة فيها!!

وكذَّبت عائشة وحفصة حديث أبي بكر مثلما كذَّبه القرآن وعلي وفاطمة عليهما السلام وعثمان؛ اذ ذهبت عائشة بمعيَّة حفصة إلىٰ عثمان لمطالبته بإرث الرسول ﷺ، فغضب عثمان وقال: اليس جئتِ فشهدتِ أنتِ ومالك بن اوس النضري أنَّ رسول الله ﷺ قال: لا نورِّث، فابطلتِ حقَّ فاطمة، وجئت تطلبينه؟ لا أفعل، قال فكان إذا خرج إلى الصلاة، نادت وترفع القميص (قميص رسول الله ﷺ) وتقول: إنَّه خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر فقال: إنَّ هذه الزعراء (القليلة الشعر) عدوَّة الله، فضرب اللهُ مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب ﴿امرأةَ نُوحٍ وامرأة لُوطٍ كانتا تحت عبدينِ من عِبادِنا صالِحَينِ فخانتاهما ـ الىٰ قوله وقيلَ ادخُلا النارَ مع الداخلين﴾[1]. فقالت له: يا نعثل يا عدو الله، إنَّما سماك رسول الله باسم نعثل اليهودي الذي باليمن[2]. ولم يعمل عثمان برأي فاطمة عليها السلام، ولا رأي أبي بكر، أي لا بالآية ولا بالحديث؟!! فأعطىٰ فدكاً لمروان[3] (طريد رسول الله ﷺ).

وقال عثمان عن عائشة وحفصة: إنَّ هاتين لفتَّانتان، يحلَّ لي سبّهما، وانا باصلهما عالم[4]. وقال ابن أبي الحديد: «قلت لمتكلم من متكلمي الإمامية، يعرف

---

(١) التحريم: ١٠.

(٢) كشف الغمة ١/ ٤٧٨، ٤٧٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، المعارف، ابن قتيبة ص١٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد ٩/ ٥.

بعلي ابن تقي من بلدة النيل، وهل كانت فدك إلّا نخلاً يسيراً؟ وعقاراً ليس بذلك الخطر؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن. قد جرىٰ هذا الكلام في القرن السادس الهجري، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها، ألاّ يتقوىٰ علي بحاصلها وغلتها علىٰ المنازعة في الخلافة، ولذلك أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلب حقَّهم في الخمس، فإنَّ الفقير الذي لامال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة[١].

وثبت عندي أنَّ عمر بن الخطاب لم يرجع فدكاً الىٰ علي عليه السلام في خلافته. وأول من أرجع فدكاً الى آل علي عليه السلام هو عمر بن عبد العزيز، لذلك اعترض الأمويون علىٰ أعماله وقتلوه[٢] إذ كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم بتقسيمها في ولد فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام[٣].

فنقمت بنو أميّة ذلك علىٰ عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه وقالوا له: هجَّنت فعل الشيخين (أبي بكر وعمر)[٤].

العلاقة بين عمر والعباس

لقد قرَّر عمر وأبو بكر وابن الجراح بعد بيعة أبي بكر كسب العباس إلىٰ جانبهم لسلب الإمام علي عليه السلام أحد امتيازاته. وقيل: إنَّ الفكرة من بنات أفكار

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٣٦/١٦ الطبعة الحديثة بمصر تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣٠٨/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٧٨/١٦.

(٤) فتوح البلدان، البلاذري ص٤٦، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٧٨/١٦. هجّنهُ: قبّحه وعابه، واستهجن فعلَهُ: استقبحه، اقرب الموارد ١٣٧٥/٢.

الداهية ابن شعبة. وهي عملية مساومة، بيعة مقابل مشاركة في السلطة؟

وقد أرسل أبو بكر، كلاً من عمر وابن الجراح والمغيرة بن شعبة إلى العباس ابن عبد المطلب، فعرضوا عليه فكرتهم في عرض مشاركة في السلطة مقابل بيعة «اذ قال هؤلاء للعباس: نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ويكون لمن بعدك من عقبك. فقال العباس: إنّ الله بعث محمداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمنَّ علىٰ أمتَّه به عليه حتَّىٰ قبضه الله اليه، واختار له ما عنده، فخلىٰ علىٰ المسلمين أُمورهم، ليختاروا لانفسهم، مصيبين الحقَّ، لا مائلين بزيغ الهوىٰ، فإن كنت برسول الله أخذتَ، فحقَّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم فما تقدمنا في أمرك فرطاً ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، إن كان هذا الأمر، إنَّما وجب لك بالمؤمنين، فما وجب، اذ كنَّا كارهين، ما أبعد قولك، من أنَّهم طعنوا عليك من قولك: إنَّهم إختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله، من قولك خلىٰ علىٰ الناس أمورهم ليختاروا، فاختاروك، فامّا ما قلت: إنك تجعله لي، فإنْ كان حقَّاً للمؤمنين فليس لك ان تحكم فيه، وان كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلىٰ رسلك فإنَّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها»[1]. وبعد فشل الدولة في كسب العباس بن عبد المطلب إلىٰ جانبها، قرَّرت عدم تولية أي هاشمي في السلطة، ولو كان من ولد العباس. وفعلاً لم نلحظ تولية والي هاشمي في الأمصار الإسلامية في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وملوك بني أميّة؟! بينما ارسل عمر إلىٰ الولايات الإسلامية ولاة مختلفون من أمثال أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وقنفذ والوليد وعتبة وغيرهم.

وكانت العلاقة بين عمر والعباس قد ساءت في بداية نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ. اذ كان العباس عمَّ النبي ﷺ وصديقه الملازم له والمدافع عنه، وهو الذي

---

(١) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري ٣٧، تاريخ اليعقوبي ١٢٥/٢ طبعة لندن.

تعاهد مع الأنصار في مكّة على أن يحموه، ويدافعوا عنه، كما يدافعون عن أنفسهم.

وفي تلك الأيام كان عمر كافراً ومشغولاً بإيذاء النبي ﷺ فلا يتركه ليلاً ولا نهاراً. وكما كان حمزة مدافعاً عن النبي ﷺ وهو كافر كذلك كان العباس، ومثلما ضرب حمزةُ أبا جهل فشجّ رأسه، لإذيته النبي ﷺ، فقد صفع العباسُ عمرَ دفاعاً عن النبي ﷺ[1].

ومن حينها اشتدَّت العداوة بين العباس وعمر، وإستمرَّت في مكّة وفي المدينة المنوَّرة.

وبعد معركة بدر أبرز عمر رغبته في قتل العباس الأسير أمام النبي ﷺ إذ قال: يا رسول الله دعني حتّىٰ أقتله[2] فتأذّىٰ الرسولُ ﷺ لأنَّ العباس من المدافعين الأشداء عن الرسول ﷺ، وقد خرج إلىٰ معركة بدر مكرهاً علىٰ ذلك. مثلما خرج طالب وعقيل إبنا أبي طالب.

وقد قال عمر بن الخطاب: أوَّل يوم كنَّاني فيه يعني النبي ﷺ ان قال لي: أبا حفص أتقتل عمَّ نبيك؟ فقلت: يا رسول الله دعني حتىٰ اقتله، فقال: لا تتحدَّث الناس أنّي أقتل أصحابي، وكنَّاني أبا حفص[3].

وكان النبي ﷺ قد أعلن عن نهيه عن قتل بني هاشم، لأنَّهم مكرهون على الحرب اذ جاء: «نهى النبي ﷺ قبل معركة بدر من قتل رجال بني هاشم وغيرهم؛ لأنَّهم أخرجوا كرهاً فقال ﷺ: فمن لقي أحداً من بني هاشم، فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العبَّاس بن عبد المطلب عمَّ رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنَّه خرج مستكرهاً.

---

(١) كنز العمال ٥/٢٧٢، ح ٥٢٩١.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ٧.

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب، لابن الجوزي ٧.

وعن يحيىٰ بن أبي كثير، أنّه لمّا كان يوم بدر، أسر المسلمون من المشركين سبعين رجلاً، فكان ممن أسر العبّاس عمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فولي وثاقة عمر بن الخطاب، فقال العباس: أما والله يا عمر، ما يحملك علىٰ شدِّ وثاقي، إلاَّ لطمي إياك في رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يسمع أنين العباس، فلا يأتيه النوم. فقالوا: يارسول الله ما يمنعك من النوم؟ فقال رسول الله: وكيف أنام، وأنا أسمع أنين عمّي، فأطلقه الأنصار[1].

فالملاحظ هنا، أنَّ عمر بن الخطاب، بالرغم من قول النبي في بني هاشم، وخدمات العباس للنبي صلى الله عليه وآله في مكّة، ودفاعه عنه، أقدم علىٰ شدّ وثاق العباس بشكل مؤلم، يختلف عن شدِّ وثاق بقيّة الأسرىٰ.

ومن العادة الإسلامية إحترام الأسير والرفق به، مثلما فعل الامام علي عليه السلام مع قاتله ابن ملجم، فكيف لو كان الأسير العباس بن عبد المطلب المدافع عن النبي صلى الله عليه وآله؟! والذي اوصىٰ به رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً.

ولقد أحسن النبيُّ صلى الله عليه وآله السيرة مع أسرىٰ قريش، وشرح لهم الإسلام، فأسلم بعضهم، مثلما قال القرآن: ﴿ادعُوا إلىٰ سَبِيلِ رَبّكَ بِالحِكمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ والسؤال المفروض هو: لماذا حرص عمر علىٰ قتل العبّاس عمِّ النبي صلى الله عليه وآله وشدِّ وثاقه بقوة، أليس المفروض بعمر أن يحبَّ كل شخص خدم الإسلام ويخدمه، وكلّ فرد يحبّه النبي صلى الله عليه وآله ومن أرحامه؟ والقرآن يقول: ﴿قُل لاّ أسألُكُم عَلَيهِ أجراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُربَىٰ﴾[2].

والظاهر أنَّ علاقة عمر مع العبّاس في مكّة وفي المدينة وفي حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد حياته صلى الله عليه وآله بقيت غير جيدة.

(١) كنز العمال ٥/٢٧٢ حديث ٥٣٩١.

(٢) الشورىٰ، ٢٣.

فعن الحكم قال: بعث النبي ﷺ عمر على السعاية، فأتى العبّاس يطلب منه صدقة ماله، فأغلظ له، فأتىٰ علياً فاستعان به على النبي ﷺ فقال ﷺ (لعمر): تَرِبت يداك أما علمت أنَّ عمّ الرجل صنو أبيه؟ إنّ العبّاس سلّفنا زكاة العام عاماً أول. وعن سالم أبي النضر قال: لمّا كثر المسلمون في عهد عمر، ضاق بهم المسجد، فاشترىٰ عمر ما حول المسجد من الدور، إلاّ دار العبّاس بن عبد الطلب، وحُجَرَ أمهاتِ المؤمنين.

فقال عمر للعباس: يا أبا الفضل، إنّ مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعتُ ما حوله من المنازل، نوسع به علىٰ المسلمين في مسجدهم، إلاّ دارك وحُجَر أمّهات المؤمنين، فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، وأمّا دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين، أوسع بها في مسجدهم.

فقال العباس: ما كنت لأفعل.

قال فقال له عمر: إختر منّي إحدىٰ ثلاث، إمّا أن تبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين، وإمّا أن أخططك حيث شئت من المدينة، وأبنيها لك من بيت مال المسلمين، وإمّا ان تصدّق بها علىٰ المسلمين، فنوسع بها في مسجدهم.

فقال: لا ولا واحدة منها.

فقال عمر: إجعل بيني وبينك من شئت.

فقال: أُبي بن كعب. فانطلقا إلىٰ أُبيّ فقصّا عليه القصّة، فقال أُبي: إن شئتما حدَّثتكما بحديث سمعته من النبي ﷺ فقالا: حدّثنا. فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الله أوحىٰ إلىٰ داود، أن ابن لي بيتاً أُذكر فيه، فخطَّ له هذه الخطَّة، خطَّة بيت المقدس، فإذا ترى بيعها ببيت رجل من بني إسرائيل، فسأله داود أن يبيعها إياه فأبىٰ، فحدَّث داود نفسه، أن يأخذ منه، فأوحى اللهُ إليه أن يا داود، أمرتك أن تبني لي بيتاً أُذكر فيه، فأردت أن تدخِلَ في بيتي الغصب، وليس من شأني

الغصب، وإنَّ عقوبتك أن لا تبنيه.

قال: يا ربِّ فمن ولدي؟

قال: من ولدك.

قال: فأخذ عمر بمجامع ثياب أُبي بن كعب، وقال: جئتك بشيءٍ فجئت بما هو أشدُّ منه، لتخرجنَّ مما قلت.

فجاء يقوده، حتّىٰ أدخله المسجد، فأوقفه علىٰ حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فيهم أبو ذر فقال: إني نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله، يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلاّ ذكره.

فقال أبو ذر: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال آخر: أنا سمعته، وقال آخر: أنا سمعته، يعني من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فأرسل عمر أُبياً.

قال: وأقبل أُبي علىٰ عمر، فقال: يا عمر أتتّهمني علىٰ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عمر يا أبا المنذر، لا والله ما أتّهمتك عليه ولكنّي كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ظاهراً.

قال: وقال عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك في دارك.

فقال العباس: أما إذ فعلت هذا، فإنّي قد تصدّقت بها على المسلمين، أوسع بها عليهم في مسجدهم، فأمّا وأنت تخاصمني فلا.

قال: فخطَّ عمر لهم دارهم التي هي لهم اليوم، وبناها من بيت مال المسلمين[1].

والعجب في إهانة عمر لأبي بن كعب وهو حكم في القضيّة؟ وسحبه إلى المسجد، وسؤال المسلمين عن ذلك الحديث؟ فلو كان المسلمون الحاضرون في

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٦/٤.

المسجد يومذاك لم يسمعوا بقصّة بيت المقدس، فماذا تكون النتيجة ؟ الجواب: طبعاً يَحْصلُ تكذيب من قبل عمر لأُبي وقد يصحب التكذيب بعقوبة.

ومن مجموع حوادث عمر مع بني هاشم أصبح عندهم اعتقاد، بكره الخليفة عمر لهم. ومحاولته اضعافهم وإبعادهم عن السلطة وسلب تراثهم.

عمر وصفيَّة

الحادثة التي وقعت بين عمر وصفيَّة عمَّة النبي ﷺ تبيّن أنَّ عمر لا يعير أهمية لقرابة الرسول ﷺ مثلما قال: حسبنا كتاب الله.

فعن ابن عباس أنّه قال: توفي ابن لصفيَّة عمَّة رسول الله ﷺ فبكت عليه وصاحت. فأتاها النبي ﷺ فقال لها: يا عمَّة ما يبكيك ؟ قالت:

توفي ابني، قال: يا عمَّة، مَنْ توفي له ولد في الإسلام فصبر، بنى الله له بيتاً في الجنَّة، فسكتت، ثمَّ خرجت من عند رسول الله ﷺ فاستقبلها عمر بن الخطاب، فقال: يا صفيَّة قد سمعت صراخك. إنَّ قرابتك من رسول الله ﷺ لا تغني عنك من الله شيئاً، فبكت. فسمعها النبي ﷺ، وكان يكرمها ويحبُّها، فقال: يا عمَّة أتبكين وقد قلت لكِ ما قلت ؟ قالت: ليس ذلك أبكاني يا رسول الله، استقبلني عمر بن الخطاب فقال: إنَّ قرابتك من رسول الله ﷺ لن تغني عنك من الله شيئاً.

قال: فغضب النبي ﷺ وقال: يابلال هَجِّر بالصلاة. فهجَّر بالصلاة، فصَعِدَ المنبرَ النبيُّ ﷺ فحَمِد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: ما بالُ قوم يَزعمُون أنَّ قرابتي لا تنفع ؟ كلُّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاَّ سببي ونسبي، فإنَّها موصولة في الدنيا والآخرة[1].

---

(١) مجمع الزوائد ٢١٦/٨.

وتلك الحادثة تبيّن جرأة عمر على النبي ﷺ، وإعتقاده بعدم فائدة قرابة مسلم من النبي ﷺ، وهذا الإعتقاد هو الذي سهّل عليه لاحقاً الاعتداء على فاطمة بنت محمد ﷺ وباقي أفراد بني هاشم.

مسألة الخمس

لقد فرض الله سبحانه الخمس، وجعل فيه حقّاً لاهل البيت عليهم السلام، وقد عمل به الرسول ﷺ في أيّام حكمه، وهو واضح في الآية المباركة: ﴿وَاعلَمُوا أنَّمَا غَنِمتُم مِن شَيءٍ فأَنَّ للهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسولِ وَلِذِي القُربىٰ واليَتامىٰ والمَساكِينِ وابنِ السَّبيلِ﴾[1].

جاء في سنن البيهقي، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، قال: لقيت علياً عليه السلام فقلت له: بأبي أنت وأمّي، ما فعل أبو بكر وعمر في حقّكم أهل البيت من الخمس، (إلىٰ أن قال): إنَّ عمر قال لكم حق، ولا يبلغ علمي إذا كثر أن يكون لكم كلّه، فإن شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرىٰ لكم، فأبينا عليه إلّا كلّه فأبىٰ ان يُعطِينَا كلّه[2]. وجاء في صحيح ابي داود، عن يزيد بن هرمز، أنّ نجدة الحروري حين حجَّ في فتنة ابن الزبير، أرسل إلىٰ ابن عباس، يسأله عن سهم ذي القربىٰ، ويقول: لمن تراه؟ قال ابن عباس: لقربىٰ رسول الله ﷺ قسّمه لهم رسولُ الله ﷺ، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً، رأيناه دون حقّنا، فرددناه عليه، وأبينا أن نقبله[3]. وجاء في كتاب كنز العمال: عن ابن عباس قال: كان عمر يعطينا من

---

(١) الانفال، ٤١.

(٢) سنن البيهقي ٦ باب سهم ذي القربىٰ، مسند الشافعي قسم الفئ ١٨٧.

(٣) سنن أبي داود ج١٨ في بيان مواضع قسم الخمس، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٣٢٠ ورواه

الخمس نحواً ممّا كان يرىٰ أنّه لنا، فرغبنا عن ذلك، فقلنا: حقُّ ذوي القربىٰ خمس الخمس[١].

تأويل النص الإلهي

لقد جاء في بيعة الغدير نص الهي واضح علىٰ ولاية الامام علي ﷺ فقد قال النبي محمد ﷺ: مَنْ كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأنصُرْ من نصرَه، وأخذُلْ من خذَله.

وبعد ذلك تقدَّم المبايعون وعلىٰ رأسهم أبو بكر وعمر فقال كل واحد منهم لعلي ﷺ: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي، ومولا كلِّ مسلم ومسلمة[٢]. وقصد النبي ﷺ محمد في يوم الخميس، قبل وفاته بثلاثة أيام، كتابة الوصيّة[٣] بخلافة الإمام علي ﷺ، ولكنَّ عمر وأبا بكر وآخرين منعوا من ذلك بقولهم: إنَّ النبيَّ ﷺ يهجر، وأكثروا الإختلاف فطردهم النبيُّ ﷺ من منزله.

والنبي ﷺ الذي لم يتمكَّن من كتابة الوصيَّة قال في يوم الخميس: عليٌّ مع القرآنِ والقرآنُ مع علي[٤].

البيهقي ٣٤٤/٦، الخراج، أبي يوسف ٢١ ـ ٢٤، لسان الميزان ١٤٨/٦، حلية أبي نعيم ٢٠٥/٢، صحيح مسلم ١٩٨/٥ باب النساء الغازيات، سنن النسائي ١٧٧، ١٧٨، تفسير الطبري ٥/١٠.

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ٣٠٥/٢. النزاع والتخاصم ص٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) تاريخ الإسلام، الخطيب ص ٢٣٢.

(٣) رواه أبو نعيم وذكره الثعالبي في كتابه (كتاب السبعين) في فضائل أمير المؤمنين ٥١٧.

(٤) الإصابة لابن حجر العسقلاني باب ٩ حديث ٤٠ ص ١٢٤ ط. مكتبة القاهرة، واخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين واخرجه الذهبي في تلخيصه مصرَّحاً بصحته.

فعُمَرُ وجماعتهُ، منَعوا النبي ﷺ من كِتابة الوصيَّة في يومِ الخميس، ثمَّ أوَّلوا ما أوصىٰ به النبي ﷺ في يوم الغدير. وتمثَّل تأويلهم بأنَّ النبيَّ ﷺ أوصىٰ بمحبَّة علي عليه السلام. ولكنَّ عمر اعترف في أيام خلافته، بخلافة علي عليه السلام للنبي ﷺ، إذ رفض اعرابي قضاء الإمام علي في حقِّه، بحكمه إياه، فنهره عمر وقال: هذا مولاك ومولىٰ كلِّ مؤمن، ومَنْ لم يكن مولاه، فليس بمؤمن[1]. وقد قال الرسول ﷺ: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إنَّ علياً منِّي وانا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن من بعدي[2].

ثمَّ إعترف عمر بأنَّ النبي ﷺ أراد في يوم الخميس أن يوصي إلىٰ علي عليه السلام فمنعه من ذلك[3].

رواية الخليفة عمر لنصوص الهية في الحكم

لقد ذكر عمر بن الخطاب نصوصاً عديدة وإعترافات حميدة في ولاية علي عليه السلام ومنزلته وهي جديرة بالذكر، إذ اخرج المحب الطبري عن عمر رضي الله عنه، وقد جاء اعرابيان يختصمان، فقال لعلي: إقض بينهما يا أبا الحسن، فقضىٰ علي بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟

فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ماتدري من هذا؟ هذا مولاي ومولىٰ كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه، فليس بمؤمن[4].

وحكم عليٌّ مرَّة علىٰ أعرابي بحكم، فلم يرض بحكمه، فتلبَّبه عمر بن

---

(١) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر ١٠٧.

(٢) سنن الترمذي ٢/٢٩٧، النسائي في خصائصه ٢٤، مسند احمد ٥/٣٥٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

(٤) ذخائر العقبىٰ ٦٨، الصواعق المحرقة ١٠٧، الرياض النظرة، الحافظ ابن سلمان ٢/١٧٠.

الخطاب، وقال له: ويلك إنّه مولاك ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة[١].

وعن عمر وقد نازعه رجل في مسألة فقال: بيني وبينك هذا الجالس، وأشار إلىٰ علي بن أبي طالب فقال الرجل: هذا الأبطن؟ فنهض عمر من مجلسه وأخذ بتلبيبه، حتّىٰ شاله من الأرض، ثمّ قال: أتدري من صغّرت؟ هذا مولاي ومولىٰ كل مسلم. وقيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلي شيئاً (أي تعظّمه) لا تصنعه مع أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ فقال: إنّه مولاي[٢].

وأخرج ابن الأثير حديث المناشدة في الرجعة قائلاً: وقد روىٰ مثل هذا البراء بن عازب، وزاد فقال عمر بن الخطاب: يا إبن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن[٣].

واخرج المير سيد علي الهمداني عن البراء بن عازب ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٤] أي بلِّغ من فضائل علي انها نزلت في غدير خم. فخطب رسول الله ﷺ وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

فقال عمر ﷺ: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة[٥]. وقالوا لعمر: لو عهدت فقال: كنت أجمعت بعد مقالتي لكم، أنْ أُوَلِي رجلاً أمركم، يحملكم على الحق، وأشار إلىٰ علي بن أبي طالب، ثمّ رأيت ان لا أتحمله حيّاً وميّتاً[٦].

---

(١) الفتوحات الإسلامية ٢/٣٠٧.

(٢) شرح المواهب، الزرقاني المالكي ١٣، الفتوحات الإسلامية، احمد زيني دحلان (مفتي مكّة) ٢/٤٧٠.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/٢٨.

(٤) المائدة، ٦٧.

(٥) رواه أبو نعيم وذكره الثعالبي في كتابه (كتاب السبعين في فضائل أمير المؤمنين ٥١٧).

(٦) الفتوحات الإسلامية، أحمد زيني دحلان ٢/٤٢٧.

وأخرج القندوزي الحنفي عن البراء قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا في غدير خم، ونودي فينا لصلاة جامعة، فصلّى ﷺ الظهر وأخذ بيد علي، فقال: ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلىٰ. قال: ألستم تعلمون أني أولىٰ بكل مؤمن من نفسه. قالوا: بلىٰ، آخذاً بيد علي.

فقال لهم: مَنْ كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال فلقيه عمر بن الخطاب ﷺ قال هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة[1].

وأخرج في النهاية في غريب الحديث عن البراء بن عازب: كنّا عند النبيّ ﷺ، فنزلنا بغدير خم فنودي فينا: الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي، وقال: ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ.

فأخذ بيد علي وقال: اللهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال فلقيه عمر بعد ذلك، وقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولىٰ كل مؤمن ومؤمنة[2].

وروىٰ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي في كتابه، في باب ترتيب الخلافة والمملكة: قوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي، ومولىٰ كل مؤمن. فهذا تسليم ورضىٰ وتحكيم. ثمّ بعد هذا غلب الهوىٰ لحبّ الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود النبوة، وخفقان الهوىٰ في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، وسقاهم كأس الهوىٰ

---

(١) ينابيع المودّة ١/ ٣٠.

(٢) عمدة الأخبار في مدينة المختار ٢١٩، وعن زيد بن أرقم مثله.

فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً[١].

ومن صراحة سَعد بنِ عُبادة ما جاء عن طريق أبي بكر احمد بن عبد العزيز: ذكر سعد بن عبادة يوماً علياً بعد يوم السقيفة فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن يوجب ولايته.

فقال له ابنه قيس: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب؟[٢] وأخرج الخطيب البغدادي عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، أنّه قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لمّا أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست أولىٰ بالمؤمنين قالوا: بلىٰ يارسول الله. قال: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مسلم. فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٣].

وقال عمر أمام علي عليه السلام ومجموعة من المسلمين: أما والله لقد أرادك الحقُّ، ولكنّ أبىٰ قومك[٤].

وقال عمر لابن عباس عن رزيّة يوم الخميس: لقد أراد رسول الله أن يصرّح باسمه فمنعته[٥].

وقال عمر لعبد الله بن عباس لعلّك ترىٰ صاحبك (علياً) لها أهلاً. قلت: وما يمنعه عن ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه.

---

(١) رواه الترمذي والنسائي والإمام أحمد بن حنبل في مسنده وابن ماجه عن هامش سر العاملين ١٣/١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٤/٦.

(٣) شواهد التنزيل ١٥٧/١، عمدة الأخبار في مدينة المختار ٢١٩، المائدة، ٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٤/٣، ١١٥.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣.

قال صدقت ولكنّه امرؤ فيه دعابة. ثمَّ بدأ عمر بوصف علي عليه السلام: إنَّ احراهم أن يحملهم علىٰ كتاب ربّهم، وسنَّة نبيهم لصاحبك، واللهِ لئن وليها، ليحملنَّهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم[١].

وروىٰ أبو بكر الأنباري في أماليه: أنَّ علياً عليه السلام جلس إلىٰ عمر في المسجد، وعنده ناس. فلمّا قام، عرض واحد بذكره ونسبه إلىٰ التيه والعجب.

فقال عمر: حقَّ لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لمّا قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأمّة، وذو سابقتها، وذو شرفها[٢].

لقد كانت مواقف عمر في بداية سلطته ضدَّ الامام علي عليه السلام، ثمَّ تحسَّنت، واستمرت في مدٍّ وجزر وهي مثل نار تحت رماد، ولكن صراحة عمر البدوية استمرت دون انقطاع. وعمر الذي إعترف بولاية علي عليه السلام، واحقيته في الخلافة نراه يبرِّر سلبهم للسلطة منه بإمور ليس لها أساس.

مثلاً يصف الامام علي عليه السلام بصغر السن، في حين كان عمره يوم مات النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة. ويصفه بالدعابة، وهو أبعد الناس عنها. ويصفه بحبِّ قومه، وعدالته معروفه، وثابته قبل خلافته وبعدها.

ومن هذه المواقف المعادية لعلي عليه السلام: قال عمر لسعيد بن العاص إنّي لم أقتل أباك وإنّما قتله علي عليه السلام. إلاّ أنَّ سعيداً قال له: إنّه قُتِل على الباطل[٣].

وكان خالد وأبان إبنا العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة من المؤيدين لبيعة الامام علي عليه السلام، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

جاء في الإصابة: قتل علي عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٤/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٥/٣.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣٥٤/٣، سيرة ابن هشام ٢٩٠/٢، مغازي الواقدي ٩٢/١.

شمس في معركة بدر كافراً[١].

وروي عن ابن عباس قوله: دخلت علىٰ عمر يوماً، فقال يا ابن العباس: لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتّىٰ نحلته رياءً ؟! قلت من هو ؟ فقال: هذا ابن عمّك يعني عليّاً.

قلت: وما يقصد بالرياء ياأمير المؤمنين ؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس بالخلافة.

قلت: وما يصنع بالترشيح ؟! قد رشّحه لها رسولُ الله ﷺ فصرفت عنه.

قال: إنّه كان شابّاً حدثاً فإستصغرت العرب سنّه، وقد كمل الآن، ألم تعلم أنّ الله تعالىٰ لم يبعث نبياً إلّا بعد الأربعين.

قلت: يا أمير المؤمنين أمّا أهل الحجىٰ والنهىٰ، فإنّهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع اللهُ منار الإسلام، ولكنّهم يعدونه محروماً مجدوداً[٢].

وعن ابن عباس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة، وعمر علىٰ بغل، وأنا علىٰ فرس فقرأ (عمر) آية فيها ذكر علي بن أبي طالب فقال: أما والله يابني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولىٰ بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني اللهُ إن أقلته. فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وأنت وصاحبك وثبتما وافرغتما الأمر منّا دون الناس ؟ فقال: إليكمُ يا بني عبد المطلب أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب، فتأخّرت وتقدّم هنيهة. فقال سِر لاسرتَ، وقال أعد عليّ كلامك. فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليه جوابه، ولو سكتّ سكتنا. فقال: إنّا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة، ولكنّ إستصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش، لما قد

---

(١) الإصابة، ابن حجر العسقلاني ٣٩١/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٣.

وترها، قال: فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها، فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لاجرم فكيف ترىٰ؟ والله ما نقطع أمراً دونه، ولانعمل شيئاً حتّىٰ نستأذنه[١]. لقد قال عمر ذلك بعد إستقرار الحكم السياسي. وقال الآلوسي في تفسيره في آية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾[٢] وقد ذكر الآراء فيها: وأولىٰ هذه الأقوال، أنَّ السؤال عن العقايد والأعمال ورأس ذلك لا اله إلّا الله ومن أجلّه ولاية علي كرّم الله تعالىٰ وجهه[٣].

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: جُعلت الموالاة أصلاً من أصول الدين، وقال: أصول الاسلام ثلاثة لاينفع واحد منها دون صاحبه: الصلاة والزكاة والموالاة. وذكر البيهقي عن الحافظ الحاكم النيسابوري، باسناده عن رسول الله ﷺ، إذا جمع اللهُ الأوّلين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط علىٰ جسر جهنم، لم يجزها أحدٌ إلاَّ من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب[٤].

وقال عمر: يا ابن عباس: أما والله إنّ صاحبك هذا لأولىٰ الناس بالأمر بعد رسول الله ﷺ إلّا أنا خفناه علىٰ إثنين.

فقلت: وماهما يا أمير المؤمنين؟

قال: خفناه علىٰ حداثة سنّه، وحبّه بني عبد المطلب[٥].

وقال عمر: كانت لاصحاب محمد ﷺ ثماني عشرة سابقة، فخصَّ علي منها، بثلاث عشرة، وشركنا في خمس[٦].

---

(١) الراغب في محاضراته ٢١٣/٧.

(٢) الصافات، ٢٤.

(٣) تفسير الآلوسي ٧٤/٢٣.

(٤) البيهقي، محب الدين الطبري في الرياض ١٧٢/٢.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/٢.

(٦) مقتل الحسين، الخوارزمي ٤٥/١.

وكان الصحابة يرجعون اليه (أي الإمام علي) في أحكام الله ، ويأخذون عنه الفتاوىٰ ، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ في عدَّة مواطن : لولا علي لهلك عمر[١].

وذكر ابن أبي الحديد ، حدَّثني الحسين بن محمد السيني قائلاً : « قرأت علىٰ ظهر كتاب ، أنَّ عمر نزلت به نازلة ، فقام لها وقعد وترنح لها وتقطر ، وقال لمن عنده : معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الأمر ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين : أنت المفزع والمنزع ، فغضب وقال : ﴿ يَآ أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً ﴾[٢] ثمَّ قال : أما والله إنِّي وإياكم لنعلم اين نجدتها والخبير بها . قالوا : كأنَّك أردت ابن أبي طالب ؟

قال : وأنَّىٰ يعدل بي عنه ، وهل طفحت حرَّة مثله ؟ قالوا : فلو دعوت به يا أمير المؤمنين ؟ قال : هيهات إنَّ هناك شمخاً من بني هاشم ، واثرة من علم ولحمة من رسول الله ﷺ . يؤتىٰ ولا يأتي ، فامضوا بنا إليه ، فاقصفوا نحوه ، وافضوا إليه ، فألفوه في حائط له عليه تبان ، وهو يتوكَّل علىٰ مسحاته ويقرأ ﴿ أَيَحسَبُ الإنسَانُ أن يُترَكَ سُدًىٰ ﴾[٣] الىٰ آخر السورة ، ودموعه تهمي علىٰ خدَّيه ، فاجهش الناس لبكائه ، فبكوا ثمَّ سكت وسكتوا . فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها .

فقال عمر : أما والله لقد أرادك الحقُّ ، ولكن أبىٰ قومك ، فقال : يا أبا حفص : خفِّض عليك من هنا ومن هنا ، إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً . فوضع عمر إحدىٰ يديه على الاخرىٰ ، وأطرق إلىٰ الأرض ، وخرج وكأنَّما ينظر في رماد[٤].

ومن الإنصاف القول : إنَّ صراحة عمر نادرة وجيدة . ولو عمل بما صرَّح به

---

(١) ينابيع المودّة ٧٠.

(٢) الاحزاب ، ٧٠.

(٣) القيامة ، ٣٦.

(٤) شرح نهج البلاغة ٣/١١٤ ، ١١٥.

في حقِّ علي ﷺ لكان أفضل.

وحدَّثنا أبو زيد عمر بن شبَّه باسناد رفعه الىٰ ابن عباس، قال: إنّي لأماشي عمر في سكك من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يا ابن عباس، ما أظن صاحبك إلاّ مظلوماً، فقلت في نفسي: واللهِ لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، فارددْ إليه ظُلامَته، فانتزع يده من يدي، ثمّ مرَّ يهمهم ساعة ثمَّ وقف، فلحقته فقال لي: يا ابن عباس، ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلّا أنَّهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شرٌّ من الأُولىٰ، فقلت: والله ما استصغره اللهُ حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر[1].

وقال عبادة بن الصامت الخزرجي: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكارهنا، وعلىٰ أن لا ننازع الأمر أهله، وعلىٰ أن نقول بالعدل أين كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم[2]. والأمر هو الخلافة.

ومن بطولات عبادة بن الصامت أنَّه جاهد معاوية بلسانه، فأخرجه معاوية من الشام الى المدينة. وفي المدينة أعاده عمر الى الشام، بعد ان كتب الىٰ معاوية، أن لا إمرة لك علىٰ عبادة بن الصامت[3].

ولمّا ادَّعت امرأتان إبنا وتنكَّرتا لبنت، لم يستطع عمر ولا شريح القاضي حل هذه المشكلة، فجاءا الىٰ علي بن أبي طالب ﷺ، فوزن الامام ﷺ حليب كل واحدة منهما، واعطى الابن لصاحبة الحليب الثقيل الوزن.

وقال ﷺ لعمر: أما علمت أنَّ الله تعالىٰ حطَّ المرأة عن الرجل في ميراثها، فكذلك كان لبنها دون لبنه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٥/٦.

(٢) سنن النسائي ٨٧١/٣ حديث ٣٨٧٢.

(٣) أُسد الغابة، ابن الاثير، موضوع عبادة بن الصامت. ١٦٠/٣

فقال عمر: لقد أرادك الحقُّ يا أبا الحسن، ولكنَّ قومَكَ أَبَوا[١].

ويقصد عمر بقومك نفسه وأبا بكر وباقي رجالات قريش، الرافضين لخلافة علي ﷺ. فقد إعترف بأنّه منع النّبي ﷺ من كتابة الوصيّة لعلي في يوم الخميس. ومن الانصاف القول إنّ صراحة عمر لا يملكها الكثير من المسلمين.

وقال عمر: وكيف لي بعثمان؟ فهو رجل كَلِفٌ بأقاربه؟ وكيف لي بطلحة وهو مؤمن الرضا كافر الغضب؟ وكيف لي بالزبير وهو رجل ضبسٌ (سيئ الخلق)، وإن أخلقهم أن يحملهم على المحجة البيضاء الأصلعُ ـ يعني علياً ﷺ[٢].

وقال لابن عباس: إنَّ علياً ابن عمّك لأحقّ الناس بها، ولكنَّ قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنهم بمرّ الحق[٣].

وبالرغم من أحقيّة علي ﷺ للخلافة واغتصاب أبي بكر وعمر لها فقد سلك الامام علي ﷺ معهما سلوكاً متّصفاً بالنصح والمساعدة وحفظ بيضة الإسلام، وعدم انتهاج أي مشروع يتسبّب في إسقاط الدولة الإسلامية، وهذا يعني صبره على سلب حقّه في الخلافة والولاية. وبسبب ذلك فقد إطمأن أبو بكر وعمر إليه مما دفعهما للإعتراف بحقّه وبيان أفضليته وأعلميته.

الخليفة عمر يذكر مناقب علي ﷺ

عن أبي سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب ﷺ، فلمّا دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: إنّي أعلم إنّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا انّي رأيت

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي ٢٧٣/١.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ط. دار الفكر، النهاية في الغريب ٧٣/٣. أنساب الأشراف، البلاذري ١٩/٥، منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ٤٢٩/٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٥٨/٢، ١٥٩.

رسول الله ﷺ قبّلك ما قبلتك ثمّ قبله.

فقال له علي بن أبي طالب: بلىٰ يا أمير المؤمنين إنّه يضرُّ وينفع.

قال: بم؟ قال: بكتاب الله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[١].

خلق الله آدم ومسح علىٰ ظهره فقررهم بأنّه الرب، وأنّهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان. فقال له: إفتح فاك، ففتح فاه، فالقمه ذلك الرق. فقال: إشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإنّي أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتىٰ يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد. فهو يا أمير المؤمنين يضرُّ وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[٢].

وعن حذيفة بن اليمان قال: إنّه لَقِيَ عمر بن الخَطاب فقال له عُمرُ: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟

أصبحت والله أكره الحقَّ، وأُحبُّ الفتنة، وأَشهد بما لم أره، وأحفظ غير المخلوق، وأُصلّي علىٰ غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر لقوله، وإنصرف من فوره وقد أعجله أمر، وعزم علىٰ أذىٰ حذيفة لقوله ذلك، فبينما هو في الطريق إذ مرّ بعلي بن أبي طالب؟ فرأىٰ الغضب في وجهه فقال: ما أغضبك يا عمر؟

فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت أكره الحقَّ. فقال: صدق يكره الموت وهو حق.

---

(١) الأعراف ١٧٢.

(٢) الجامع لشعب الإيمان ٧/٥٩٠.

فقال: يقول وأُحبُّ الفتنة. قال: صدق يحبُّ المـال والولد وقد قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا أَموالُكُم وَأَولادُكُم فِتنَةٌ﴾[١].

فقال يا علي: يقول: وأشهد بما لم أره.

فقال: صدق يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنَّة والنـار والصراط ولم ير ذلك كله.

فقال: يا علي: وقد قال: إنِّي أحفظ غير المخلوق. قال صدق يحفظ كتاب الله تعالىٰ القرآن، وهو غير مخلوق.

قال: ويقول: أصلِّي علىٰ غير وضوء. فقال: صدق يصلِّي عـلىٰ إبـن عـمِّي رسول الله ﷺ علىٰ غير وضوء، والصلاة عليه جائزة.

فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك. فقال: وما هو؟

قال إنَّه قال: إنَّ لي في الأرض ما ليس لله في السماء. قال: يصدق له زوجـة وولد. فقال عمر: كاد يهلك إبن الخطاب لولا علي بن أبي طالب.

وقال الحافظ الكنجي: هذا ثابت عند أهل النقل، ذكره غير واحد من أهل السير[٢]. وذكر المحب الطبري عن عمر ﷺ وقد ذُكِرَ عنده علي فقال: ذلك صهر رسول الله ﷺ، نزل جبريل فقال يا محمد إنَّ الله يأمرك ان تزوِّج فاطمة ابنتك من علي[٣].

وعمر هو أول من قال: أطال الله بقاءك.. قاله لعلي، وأول من قال: أيَّـدك الله.. قاله لعلي[٤].

---

(١) التغابن ١٥.

(٢) نهاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ٢١٨ـ٢١٩.

(٣) ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ ٣١.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٧.

تصريحات علي في عمر

قال الإمام علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية يصف أبا بكر وعمر:

فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدَّ ما تشطّرا ضرعيها! فصيّرها في حوزةٍ خشناء يغلُظُ كلمها، ويخشُنُ مسُّها، ويكثُر العِثارُ فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصّعبة، إن أشنق لها خَرَمَ، وإن أسلس لها تقحّم، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلوُّنٍ واعتراض، فصبرتُ على طول المدَّة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة، زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الرّيب فيّ مع الأول منهم، حتّى صِرتُ أقرن إلى هذه النظائر، لكنّي اسففت إذ أسفُّوا وطِرتُ اذ طاروا[١].

وقال علي عليه السلام لابي بكر: أن إئتنا ولا يأتنا أحدٌ معك، كراهية لمحضر عمر[٢].

وقال علي عليه السلام لعثمان: أمّا الفرقة، فمعاذ الله أن أفتح لها باباً، وأسهّل إليها سبيلاً، ولكنّي أنهاك عمّا ينهاك اللهُ ورسولهُ عنه، وأهديك إلى رشدك، وأمّا عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون[٣].

وقال الامام علي عليه السلام لعمر واصفاً سعيه لبيعة أبي بكر: إحلب حلباً لك شطره، تولّيه أنت اليوم ليردَّها عليك غداً[٤].

وقال الامام علي عليه السلام لعثمان: « وأمّا التسوية بينك وبينهما، فلست كأحدهما

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ك ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٢٥٢/٥ ح ٧٠٤ باب ١٥٥ غزوة خيبر.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٥/٩.

(٤) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١١/١

إنَّهما وليا هذا الأمر فظلفا أنفسهما (أي كفًا) واهلهما عنه ، وعمت وقومك عوم السابح في اللجة .

وفي أيام خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ، وصف ﷺ أيام ما بعد الرسول ﷺ ، والظلم الذي حلَّ بأهل البيت ﷺ قائلاً : حتَّىٰ إذا قَبَضَ اللهُ رسولَهُ ، رجع قومٌ على الاعقاب ، وغالتهم السُّبُلُ [١] واتَّكلوا على الولائج [٢] ، ووصلوا غير الرَّحِم [٣] ، وهجروا السَّبَبَ الذي أُمروا بمودَّته [٤] ، ونقلوا البناء عن رصِّ أساسه فبنوه في غير موضِعِهِ .

معادِنُ كلِّ خطيئة ، وأبوابُ كلِّ ضاربٍ في غمرةٍ . قد ماروا في الحيرةِ ، وذهلوا في السَّكرة ، على سنَّة من آل فرعون ، من منقطع إلى الدنيا راكِنٍ أو مُفارِقٍ للدينِ مباينٍ [٥] .

تصريحات معاوية

أما عن رسالة محمد بن أبي بكر إلىٰ معاوية وجوابها فنقتصر هنا علىٰ جواب معاوية له لما فيها من صراحة خطيرة :

مِن معاوية بن صخر إلىٰ الزاري علىٰ أبيه محمد بن أبي بكر أمَّا بعد : فقد أتاني

---

(١) أهلكم اختلاف الاراء والاهواء

(٢) جمع وليجة وهي البطانة .

(٣) أي غير رحم الرسول ﷺ

(٤) يعني أهل البيت ﷺ : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربىٰ﴾ الشورىٰ ٢٣ .

(٥) قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين ، وليس براكنٍ الى الدنيا ولا منقطع اليها ، كما نرىٰ كثيراً من أحبار النصارىٰ ورهبانهم . الخطبة ١٥٠ ، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المعتزلي ١٣٤/٩ .

كتابك، فتذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه، وما اصطفىٰ به رسول الله صلى الله عليه وآله مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضائل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرابته إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ومواساته إيّاه في كل هول وخوف، فكان احتجاجك عليّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فاحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقّه لازماً لنا، مبروراً علينا، فلمّا اختار اللهُ لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتمَّ له ما وعده، واظهر دعوته، وأبلج حُجَّته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه حقّه، وخالفه علىٰ أمره، علىٰ ذلك إتّفقا وإتّسقا، ثمّ إنّهما دَعواه إلىٰ بيعتهما، فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم، ثمّ إنّه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه علىٰ أمرهما، حتّىٰ قبضهما اللهُ، ثمّ قام ثالثهما عثمان فهدىٰ بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنتَ وصاحبك، حتّىٰ طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عداوتكما فيه، حتّىٰ بلغتما فيه مناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شِبرَك بفِترك، يقصر عنه أن توازي وتساوي مَن يزن الجبال بحلمه، لا يلين عن قَسْر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته، أبوك مهَّد مهاده وبنىٰ لملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك استبدَّ به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل، ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلَّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دَعْ ذلك، والسلام علىٰ من أناب[1].

وفي هذه الرسالة اعتراف واضح وصراحة شاملة بسلب أبي بكر وعمر الخلافة من علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد اضطرَّ إليها معاوية في ردِّ حجة محمد بن

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/١٢.

أبي بكر ، وردعه عن مواصلة دعم علي عليه السلام .

وبيَّن معاوية إتِّفاق الاثنين علىٰ سلب الخلافة من علي عليه السلام ، وعملهما المشترك لإنزال أقسى العقوبات به لاجباره على البيعة ، إذ قال : فهمّا بـه الهـموم وأرادا بـه العظيم .

اعترافات يزيد المهمة

روىٰ البلاذري قائلاً : لمَّا قُتِل الحسين كتب عبد الله بن عـمر إلىٰ يـزيد بـن معاوية : « أمَّا بعد ... فقد عظمت الرزيَّة وجلَّت المـصيبة ، وحـدث في الإسـلام حدث عظيم ، ولا يوم كيوم قتل الحسين .

فكتب اليه يزيد : أمَّا بعد يا أحمق ، فإنَّا جئنا إلىٰ بيوت مجدَّدة ، وفرشٍ ممهَّدة ، ووسائد منضَّدة ، فقاتلنا عنها ، فإن يكن الحقُّ لنا فعن حقِّنا قاتلنا ، وإن كان الحقُّ لغيرنا ، فأبوك أول من سنَّ هذا ، واستأثر بالحقِّ علىٰ أهله » .

وفي هذه الرسالة إعتراف واضح من يزيد بن معاوية بتسلط عمر وأبي بكر علىٰ منصب الخلافة ، وأخذها من أهلها الشرعيين . وقد أرسل يزيد جملته إرسال المسلَّمات !

❋ ❋ ❋

نظرية أبي بكر وعمر

في

القرآن والسنة

المؤيدون والمخالفون لنقص القرآن ونسخه وتفسيره

لقد اهتمّ الرسول ﷺ بقضية جمع القرآن الكريم في حياته، واهتم بها الامام علي ﷺ من بعده. فبعد موت الرسول ﷺ وقضيّة السقيفة، قال الامام علي ﷺ: بأنّه قد حصر جهوده في قضيّة جمع القرآن الكريم. وقد أكمله وأتمّه فكان أول قرآن كامل وصحيح عند المسلمين[1].

وسعىٰ عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود في جمع القرآن الكريم أيضاً.

فعرف في تلك الفترة الزمنية قرآن الامام علي ﷺ وقرآن ابن عباس وقرآن ابن مسعود. وبعد حرب اليمامة ونجاح المسلمين في القضاء علىٰ من ارتدّ الى الكفر، ومن امتنع عن دفع الزكاة، هدأت الأوضاع في جزيرة العرب.

واول من أظهر اطروحة الحزب القرشي في القرآن والحديث كان أبو بكر فهو الذي امتنع من نسخ القرآن الكريم.

ثمّ سار عمر علىٰ ذلك المنهج فلم ينسخا القرآن الكريم في مدة حكمهما.

وامتنع أبو بكر عن تدوين الحديث النبوي، واحرق ما دوّن منه، ومنع ذكر الحديث بين المسلمين.

---

(١) كنز العمال ١٢٧/١٣. مصنف ابن أبي شيبة ١٩٧/٧، مصنف عبد الرزاق ٤٥٠/٥. انساب الأشراف ٥٨٧/١. التسهيل، ابن جزي ٦/١، وذكره أبو نعيم في الحلية.

ثم طبّق عمر بن الخطاب ذلك المنهج بحذافيره.

أخرج المتقي الهندي، عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب أنّه قال: أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من تلقّىٰ من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتّىٰ يشهد شهيدان، فقُتل وهو يجمع ذلك إليه[1]...

أي مضت اثنا عشر سنة من حكم أبي بكر وعمر ولم يجمعوا القرآن الكريم!!

وقد قال الله سبحانه في محكم كتابه الشريف: ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنا الذِكرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

والمسلمون اليوم من سنة وشيعة متّفقون علىٰ صحة القرآن الكريم الموجود بين أيدينا بلا نقص ولا زيادة ولا تحريف. ولا يعني هذا أنّه لا يوجد سابقاً بعض العلماء منهم ممَّن يقول بخلاف ذلك، بل أنّه يوجد علماء سابقون عندهم ممَّن يقول بنقص القرآن وتحريفه إلّا ان العلماء الآخرون وهم الأغلبية قد تغلب قولهم وانتصر عند الطائفتين والحمد لله، ومن القائلين بنقص القرآن المجلسي والكليني والبرقي والبخاري ومسلم[3]. وفي أيامنا هذه لم نسمع بعالم مسلم سنّي أو شيعي يتّبع من يقول بتحريف او نقص او زيادة في الكتاب الكريم. إذن المسلمون اليوم متّفقون علىٰ صحة القرآن الكريم وانه بلا زيادة ولا نقصان. وسوف نجد في هذا الموضوع أنَّ ممّن كان يقول بنقص القرآن عمر بن الخطاب إلّا ان جمهور المسلمين خالفوه في ذلك. وأيّده أبو موسى الاشعري وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن عوف.

وقد احتجَّ عالم الأزهر محمود أبو ريَّة على القول بنقص القرآن قائلاً:

---

(١) منتخب كنز العمال ٢/ ٤٥.

(٢) الحجر، ٩.

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٤٣، اضواء على السنة النبوية، ابو رية ص٢٥٦.

«ولم يقف فعل الرواية عند ذلك بل تمادت إلىٰ ما هو أخطر من ذلك، حتّىٰ زعمت أنّ في القرآن نقصاً ولحناً، وغير ذلك مما أورد في كتب السنّة، ولو شئنا أن نأتي به كله هنا لطال الكلام ـ ولكنّا نكتفي بمثالين ممّا قالوه في نقص القرآن، ولم نأت بهما من كتب السنّة العامّة، بل مما حمله: الصحيحان، ورواه الشيخان: البخاري، ومسلم.

أخرج البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنّه قال ـ وهو على المنبر ـ: إنّ الله بعث محمّداً بالحق نبيّاً، وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّ بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق علىٰ من زنىٰ إذا أُحصن من الرجال، والنساء. ثمّ إنّا كنا نقرأ فيا يقرأ في كتاب الله، ألّا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم[1].

وقال عمر: كنّا نقرأ: ألّا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم. ثمّ قال لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم[2]. وهكذا اثبت صحيح البخاري بأنّ عمر وزيد بن ثابت كانا يقولان بنقص القرآن الكريم، وهو سبب عدم رغبتهما باستنساخ القرآن الكريم. وفعلاً لم ينسخ القرآن في زمن أبي بكر وعمر. أمّا القرآن الكريم الموجود في أيدينا اليوم، فهو قرآن الإمام علي عليه السلام الذي جمعه، وليس قرآن زيد بن ثابت المحتوي علىٰ عشرات الآيات الزائدة غير الصحيحة».

أي ان قرآن عمر كان مجموعاً بواسطة زيد بن ثابت ووضع عند حفصة دون رغبة منهما باستنساخه.

---

(١) صحيح البخاري ٤٣/١٠، الاتقان لابي عبيد ٤٢/٢.

(٢) الدر المنثور ١٠٦/١.

ولما ضغط المسلمون علىٰ عثمان بقيادة حذيفة بن اليمان رضخ عثمان لهذا ووافق علىٰ استنساخ القرآن الكريم فتأسست لجنة فيها زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وحذيفة وآخرين.

ولم تأخذ اللجنة بقرآن حفصة، لذلك لما ماتت حفصة في زمن دولة معاوية اسرع مروان بن الحكم (والي المدينة) إلى الحصول علىٰ قرآن حفصة لاتلافه، وفعلاً نفَّذ ذلك[1].

وذكر ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت ﷺ قال: لما ماتت حفصة أرسل مروان إلىٰ عبد الله بن عمر ﷺ بعزيمة، فأعطاه إياها فغسلها غسلاً، وجاء فشققها ومزقها[2].

وكان هذا القرآن المطبوع بقراءة علي بن أبي طالب ﷺ التي اخذها عنه عاصم فقد جاء: «عن حفص، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن قال: لم أخالف علياً في شيٍ من قراءته، وكنت اجمع حروف عليٍّ، فألقي بها زيداً في المواسم بالمدينة فما اختلفنا الا في التابوت، كان زيد يقرأ بالهاء وعلي بالتاء»[3].

وقرآننا الحالي مكتوبة فيه كلمة التابوت بقراءة علي ﷺ لا بقراءة زيد بن ثابت. واخرج ابن عبد البر في التمهيد من طريق عدي بن عدي بن عمرة بن قزوة، عن أبيه، عن جده عمير بن قزوة: أنَّ عمر بن الخطاب قال لأبي: أوليس كنَّا نقرأ من كتاب الله؟ أن انتفاءكم من آبائكم كفر بكم. فقال: بلىٰ. ثمَّ قال: أوليس كنَّا نقرأ الولد للفراش وللعاهر الحجر، فيما فقدنا من كتاب الله.

---

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، الهيثمي ٧/١٥٦.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣/١٠٠٣.

(٣) سير اعلام النبلاء، الذهبي ٢/٤٢٦.

فقال أبي: بلى[(١)].

ومن هذا يتبيَّن أنَّ عمر اعتقد بوجود نقص آية [ألاّ ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم] من القرآن الكريم.

« وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه أنّه قال: بعث أبو موسى الأشعري إلىٰ قرّاءِ أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة، وقرّاؤهم، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، كما قست قلوب من كان من قبلكم وإنّا كنا نقرأ سورة كنا نشبّهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنّي قد حفظت منها: [لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغىٰ وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب].

وكنّا نقرأ سورة نشبّهها بإحدى المسبّحات فانسيتها، غير أنّي حفظت منها:

[يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة].

نجتزىء بما أوردناه وهو كاف هنا لبيان كيف تفعل الرواية حتّىٰ في الكتاب الأوّل للمسلمين وهو القرآن الكريم! ولا ندري كيف تذهب هذه الروايات التي تفصح بأنّ القرآن فيه نقص، وتحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه:

﴿إنّا نحنُ نزّلنا الذِكرَ وإنّا لهُ لحافِظُونَ﴾[(٢)] وأيها تصدق؟! اللّهم إنّ هذا أمر عجيب يجب أن يتدبَّره أولو الألباب[(٣)].

وذكر السيوطي عن ابن عباس أنّه قال: أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادىٰ: أنّ الصلاة جامعة، ثمّ صعد المنبر فحمد واثنىٰ عليه، ثمّ قال: يا أيّها الناس

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/١٠٦، كنز العمال ٢/٥٦٧ ح ١٥٣٧٢.

(٢) الحجر، ٩.

(٣) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٢٥٦.

لا تجزعن من آية الرجم إنّها نزلت في كتاب الله وقرأناها، ولكنّها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد، وآية ذلك أنَّ النبي ﷺ قد رجم، وأن أبا بكر قد رجم، ورجمت بعدهما، وأنّه سيجيئ من هذه الأمّة من يكذّبون بالرجم[١].

وأخرج الامام احمد، عن ابن عباس أنّه قال: خطبنا عمر فحمد الله تعالىٰ، وأثنىٰ عليه فذكر الرجم فقال: لا تخدعن عنه، فإنه حد من حدود الله تعالىٰ. إلّا أنَّ رسول الله ﷺ، قد رجم، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون: زاد عمر في كتاب الله عزّوجل ما ليس منه لكتبته في ناحية من المصحف[٢].

وقال الشيخ محمد أنور: [فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية من كتاب الله... الخ] وقد كان عمر أراد أن يكتبها في المصحف.

فإن قلت: إنها إن كانت من كتاب الله، وجبت أن تكتب، وإلّا وجب أن لا تكتب. فما معنىٰ قول عمر ؟

قلت: أخرج الحافظ عنه: لكتبتها في آخر القرآن[٣].

وجاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي عن حذيفة أنّه قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدّون سورة الاحزاب.

قلت: ثنتين او ثلاث وسبعين.

قال: إن كانت لتقارب سورة البقرة وكان فيها الرجم[٤].

وقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا: «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة» ؟ فإنّا لم نجدها.

---

(١) الدر المنثور ١٧٩/٥.

(٢) مسند الامام احمد ٢٣/١ وأخرجه النسائي.

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري ٤٥٣/٤.

(٤) الدر المنثور ١٨٠/٥.

قال: أُسقط فيما اسقط من القرآن[١].

وأخرج الشيخ عبد الرحمن السيوطي عن ابن عمر أنّه قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريك ما كلُّه؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر[٢].

اذن اعتقد عمر بأنَّ القرآن تنقصه ما يلي:

آية الرجم.

آية: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم.

آية: أن جاهدوا كما جاهدتم اول مرّة.

آية: إنّ انتفاؤكم من آبائكم كفر بكم.

آية: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

آية الشيخ والشيخة

: في سورة الأحزاب توجد ثلاث وسبعون آية. بينما إعتقد عمر بأنّها في حجم سورة البقرة أي مائتان وست وثمانون آية، اي ان الخليفة عمر يعتقد بأنَّ سورة الأحزاب ينقصها مائتان وثلاث عشرة آية؟!! وبذلك يظهر لنا أنَّ عمر اعتقد بنقص القرآن الكريم.

فتكون النتيجة: ان نظرية عمر في الثقلين القرآن وأهل البيت عليهم السلام تتمثَّل في الايمان بنقص القرآن الكريم، وحذف أهل البيت عليهم السلام.

والمعروف عن عمر عدم رغبته في تفسير القرآن الكريم. واصراره في معاقبة كل من يسأل عن ذلك. فعن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار، فتوضأ ثمَّ قال:

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ٥٦٧/٢.

(٢) الدر المنثور ٢٩٨/٢، تفسير روح المعاني للآلوسي ٢٥/١.

أتدرون لِمَ مشيت معكم ؟

قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله مشيت معنا.

قال: إنَّكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدّوهم بالأحاديث، جرّدوا القرآن وأقلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إمضوا وأنا شريككم. فلمّا قدم قرظة قالوا: حدّثنا، قال: نهانا عمر بن الخطاب.

وأراد ابن حبان (أبو حاتم) أن يعذر عمر لأنّه وجد الفتق كبيراً فقال: لم يكن عمر بن الخطاب وقد فعل يتّهم الصحابة بالتقوّل على النبي ﷺ ولا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله. وقد علم أنّه ﷺ قال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأنّه لا يحل لهم كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ.

ولكنَّه علم ما يكون بعده من التقوّل علىٰ رسول الله ﷺ لأنَّه ﷺ قال: إنَّ الله تبارك وتعالىٰ نزَّل الحقَّ علىٰ لسان عمر وقلبه.

وقال ﷺ: إن يكن في هذه الأمّة محدَّثون فعمر منهم.

فعمر من الثقات المتَّقين الذين شهدوا الوحي والتنزيل فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي ﷺ[1].

ويذكر أن حديث نزول الحقّ علىٰ لسان عمر وقلبه باطل لكون رواته من الكذبة (أبو هريرة وعبد الله بن عمر العمري ويحيىٰ بن سعيد وجهم بن أبي الجهم[2]. فمسألة كون عمر ممَّن شهد الوحي والتنزيل لا تنفي حاجة الناس الىٰ تفسير وحديث.

والمسألة الثانية هي إفتقاد إبن حبّان للرد المناسب والمنطقي في الموضوع، فذهب بعيداً للإستناد علىٰ قضيّة خيالية لإثبات القضيّة الأولىٰ.

---

(١) كتاب المجروحين لابن حبّان ١/ ٣٣.

(٢) ميزان الأعتدال للذهبي. تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٩.

فحديث ان عمر رجل محدَّث ليس له أساس من الصحّة فهو وحديث: «لو كان نبي بعدي لكان عمر» قالته المؤسسة السياسية الأموية. إذ دعا معاوية إلىٰ ذكر مناقب نبوية في الخلفاء الثلاثة الأوائل فكثرت الأحاديث في هذا المجال.

قال إبن عرفة: إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة إفتعلت في أيام بني أميّة تقرُّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أُنوف بني هاشم[1].

وبينما أيّد إبن حبان حديث وجوب تبليغ الشاهد للغائب.

وصحّح حديث عدم حليّة كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ احتار كيف يخرج من هذا المأزق الحرج، فصوَّر له خياله ان يرفع عمر إلىٰ درجة الانبياء والمحدّثين الذين ينسخون ما ثبّته نبي البشرية ﷺ ؟!

واذا كان النبي ﷺ قد جاء بأحكام جديدة نسخت بعض أحكام الديانات السابقة، فهل أراد ابن حبان أن يقول: إنَّ عمر المحدَّث قد نسخ ما جاء به الرسول ﷺ في وجوب تبليغ الشاهد للغائب.

فهل هو نبي بعد نبي ؟!... واذا قال ابن حبان: إنَّ غايته ليست كذلك (وكانت كذلك) بل أراد انَّ عمر قد أدرك مخاطر مستقبلية لكتابة الحديث فمنع كتابته.

فهذا يعني أنَّ عمر يعرف علوم الغيب للمستقبل. والنبي ﷺ الموحى إليه من السماء لا يدرك ذلك ؟!

إذن التفسيران مرفوضان في منع عمر لكتابة وذكر الحديث. ولا يبقى إلَّا تفسير واحد وهو الصحيح. وذلك التفسير يتمثّل في إتّباع عمر لنظريته، ونظريّة قريش المتمثّلة في حسبنا كتاب الله المجرَّد بلا تفسير.

وقد منع عمر ورفاقه الحديث النبوي وردّوه في زمن النبي ﷺ إذ قالوا في

---

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين ٢١٣.

يوم الخميس: إنّه ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله.

إذن نظريّة منع نشر الحديث النبوي ومنع كتابته قد قالها عمر ورفاقه في أيام حياة النبي ﷺ، ولا علاقة لها بتخوّف عمر وابي بكر وعثمان من اختلاط الحديث بالقرآن الكريم؟!

فالنبي ﷺ قال: إئتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

فقال عمر: حسبنا كتاب الله.

وقال اتباع عمر: القول ما قال عمر[1].

فالمؤكد هناك أمران، أمر نبوي بكتابة الحديث ونشره وأمر قرشي بمنع كتابته ومنع نشره.

وبذلك تكون عملية إيجاد التبريرات لأعمال عمر وأصحابه في هذا المجال ليس لها معنىً ولا موضع؛ لأنّها أقوال ضدّ معتقدات عمر ورفاقه.

فإنّ عمر لمّا منع من كتابة الوصيّة، لم يخف من اختلاط الوصيّة بالقرآن بل رفضها وقال: حسبنا كتاب الله، فلم يبرر عمله أمام النبي ﷺ بما ذكروه.

ذكر السيوطي في تفسيره: أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن سعد، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الايمان والخطيب، والحاكم وصحّحه عن أنس، أن عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضباً [إلىٰ قوله] وأبا﴾[2]. قال: كل هذا قد عرفناه. فما الأب؟ ثمّ رفض [رفع] عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب. إتّبعوا ما بُيّن هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه، فكلوه إلىٰ ربه[3].

---

(١) صحيح البخاري، باب قول المريض قوموا عنّي ٩/٧، صحيح مسلم، آخر كتاب الوصية ٢٣٢/١.

(٢) عبس، ٢٧ ـ ٣١.

(٣) الدر المنثور ٣١٧/٦.

وأخرج السيوطي، عن عبد الرحمن بن زيد أن رجلاً سأل عمر عن قوله: وفاكهة وأبا. فلمّا رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرّة.

ثمّ قال السيوطي: أخرج عبد بن حُميد، وابن الأنباري في المصاحف، عن أنس، قال: قرأ عمر: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثمّ قال مه. نهينا عن التكلف ﴿وفاكهة وأبا﴾.

عن أنس قال: قرأ عمر: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها. فما الأب؟ قال: مَهْ. نُهينا عن التكلّف وفي لفظ: ثمّ قال: إنّ هذا هو التكلف يا عمر، فما عليك ألا تدري ما الأب، إتبعوا ما بُيّن لكم من هذا الكتاب، واعْملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلىٰ عالمه[1].

وجاء ايضاً: انّ هذا لمن التكلف وما عليك الّا تدري ما الأب، أخرجه البغوي واخرج ابن راهوية في مسنده عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: إني لأعرف أشدَّ آية في كتاب الله، فأهوىٰ عمر فضربه بالدرة وقال: مالك نقّبت عنها، فانصرف حتّىٰ كان الغد قال له عمر: الآية التي ذكرت بالامس. فقال: ﴿مَن يَعمَل سُوءاً يُجزَ بِهِ﴾[2] فما منّا أحد يعمل سوءاً إلّا جزىٰ به. فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتّىٰ أنزل الله بعد ذلك ورخص وقال: ﴿وَمَن يَعمَل سُوءاً او يَظلِم نَفسَهُ ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحيماً﴾[3].

وقال ابن أبي الحديد: وكان عمر ﷺ لا يهتم بتفسير القرآن، فيهمل مالا يعرفه، ويعاقب من يسأل عمّا لا يعرف. وفي لفظ الطبري كان عمر يقول: جرّدوا القرآن ولا تفسروه، واقلّوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم[4].

---

(١) كنز العمال ٣٢٨/٢.

(٢) النساء: ١٢٣.

(٣) الدر المنثور ٢٢٧/٢، النساء: ١١٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٢٠/٣.

وكان عمر ﷺ لا يعرف الكثير من معاني القرآن ويمنع من معرفتها، فقد جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الجوار الكنَّس، فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل فالقاها بيده عن رأسه فقال: أحروري؟ والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لانحيت القمل عن رأسك[١].

وانَّ رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل اليه عمر وقد اعدَّ له عراجين النخيل فقال: من انت؟ قال: انا عبد الله صبيغ: فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه فقال: انا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتّىٰ دمي رأسه، وترك ظهره ودبره، ثمَّ تركه حتّىٰ برأ فدعا به ليعود له، قال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد ان تداويني، فقد والله برئت، فأذن له إلىٰ ارضه، وكتب إلىٰ أبي موسى الاشعري: ان لا يجالسه احد من المسلمين؟!!

أي ان عمر لا يسمح بالسؤال عن تفسير الآيات وفهم معانيها ونظريته تتمثَّل في تجريد القرآن الكريم.

ولكن في القرآن ناسخ ومنسوخ وفيه خاص وعام كقوله: ﴿وامرأةً مؤمنةً إن وهَبَتْ نفسها للنبي﴾[٢].

والعام مثل: ﴿اقيموا الصلاة﴾[٣].

وفيه المحكم والمتشابه والمطلق والمقيد.

فكيف يفهم المسلم هذه الآيات ان سار علىٰ نظرية الخليفة عمر في تجريد القرآن الكريم عن التفسير؟!!

---

(١) كنز العمال ١/٢٢٩ نقلاً عن الكنى للحاكم، الدر المنثور ٦/٣٢١.

(٢) الاحزاب: ٥.

(٣) النمل: ٢٣.

عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلىٰ عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الذاريات ذرواً، فقال: هي الرياح، ولولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فاخبرني عن الحاملات وقراً قال: هي السحاب، ولولا اني سمعت رسول الله يقوله ما قلته قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً قال: هي السفن، ولولا إنّي سمعت رسول الله يقوله ما قلته، ثمّ أمر به فضرب مائة، وجعل في بيت، فلمّا برأ دعاه فضربه مائة أُخرىٰ، وحمله علىٰ قتب، وكتب إلىٰ أبي موسى الاشعري ان امنع الناس من مجالسته. فلم يزالوا كذلك حتّىٰ أتىٰ أبا موسىٰ فحلف له بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلىٰ عمر، فكتب عمر: ما أخاله إلّا صدق، فخل بينه وبين مجالسة الناس[١].

فكل تلك العقوبة لصبيغ جاءت بسبب سؤاله عن تفسير القرآن؟!

ولم يترك عمر عقوبته لصبيغ إلّا بعد حلف صبيغ بالإيمان المغلظة ان لا يسأل عن تفسير القرآن ثانية؟!

ولا أدري كيف يعاقب عمر كل سائل عن تفسير آية قرآنية، وفي زمن النبي ﷺ رشّح نفسه كمقاتل علىٰ تأويل القرآن.

جاء في مسند أحمد قال رسول الله ﷺ: إنّ منكم من يقاتل علىٰ تأويله، كما قاتلت علىٰ تنزيله. قال: فقام أبو بكر وعمر. فقال ﷺ: لا ولكن خاصف النعل، وعلي يخصف نعله[٢].

وكانت علوم عمر بالقرآن قليلة وقد اعترف بذلك إذ خطب الناس فقال: من أراد ان يسأل عن القرآن فليأتِ أُبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإنّ الله تعالىٰ

---

(١) كنز العمال ٢/٥١٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣/٣٣.

جعلني خازناً[١]. وفي حديث آخر: ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت[٢].

وعن السائب بن يزيد قال: أتىٰ عمر بن الخطاب فقيل: يا أمير المؤمنين إنّا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن، فقال عمر: اللّهم أمكنّي منه، فبينما عمر ذات يوم جالس يغدي الناس، اذ جاء وعليه ثياب وعمامة صفراء، حتّىٰ اذا فرغ قال يا أمير المؤمنين: والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً، فقال عمر: أنت هو، فقام إليه، وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده، حتّىٰ سقطت عمامته. فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثياباً وأحملوه علىٰ قتب، وأخرجوه حتّىٰ تقدموا به بلاده. ثمَّ ليقم خطيب ثمَّ يقول: إنَّ صبيغاً إبتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه حتّىٰ هلك (وكان سيد قومه)[٣].

لقد عمل الخليفة عمر مع صبيغ أكثر مما يفعله المسلمون مع الزاني غير المحصن، وهذا يبيّن شدّة مخالفة عمر لتفسير القرآن!

وبعد عقوبة عمر لصبيغ في المدينة والبصرة هل يجرؤ رجل على السؤال عن تفسير آية من القرآن؟!

ويظهر أن اطلاع الناس على التفسير الصحيح للقرآن يبين مكانة أهل البيت ﷺ وعقائد الإسلام وأحكام الدين والعكس صحيح.

وجاء رجل من اليهود إلىٰ عمر فقال: يا أمير المؤمنين: إنكُم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معاشر اليهود نزلت لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية هي؟ قال قوله تعالىٰ: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم، وأتممت عليكم نعمتي﴾.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/٢٧١.

(٢) المصدر السابق ٢٧٢.

(٣) كنز العمال حديث ٤١٦٩، المصاحف لابن الانبار ونصر المقدسي في الحجة.

فقال عمر: والله إنّي لأعلم اليوم الذي نزلت فيه علىٰ رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها علىٰ رسول الله ﷺ عشيَّة عرفة في يوم جمعة[١].

والتفسير الصحيح يبين العقائد الإلهيّة والشرائع السماوية بشكل صحيح، وهذا ما ترفضه اليهود وكفار قريش.

فقال عمر: الحمد لله الذي جعله لنا عيداً.

واليوم اكملت نزلت يوم عرفة، فأكمل الله ذلك الأمر فعرفنا أن الأبعد بعد ذلك في انتقاص[٢].

صحيح أنَّ الآية نزلت في أواخر ايام النبي ﷺ ولكنَّها لم تنزل في عرفة، بل نزلت في يوم الغدير ١٨ / ذي الحجة سنة ١١ هجرية، والذين أيَّدوا نزول هذه الآيات في غدير خم يوم تنصيب الامام علي عليه السلام هم:

الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٥٠/٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨٦/٢، والحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن ٨٦، والشهرستاني في الملل والنحل ٧٠، والحموئي في كتابه فرائد السمطين ١٥٨/١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٩٠/٨، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور ٢٥٩/٢، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٢١٣/٥، والآلوسي في تفسير روح المعاني ٦١/٦، وهناك علماء آخرون ذكروا ذلك، ولكن اكتفينا بذكر هؤلاء.

اختلاف التفسير يؤدي الىٰ اختلاف الأمَّة

أخرج المتقي الهندي في كنز العمال عن إبراهيم التيمي أنَّه قال: خلا عمر بن

---

(١) صحيح البخاري ١٨٦/٥، ١٩٤، المائدة: ٣. تفسير ابن كثير ٢٣/٢.

(٢) صحيح البخاري ١٨٦/٥.

الخطاب ذات يوم فجعل يحدّث نفسه، فأرسل الىٰ ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأُمّة، وكتابها واحد، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟

قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنّا أُنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وإنّه يكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن لا يعرفون فيم نزل، فيكون لكل قوم رأي، فإذا كان لكل قوم رأي إختلفوا، فإذا إختلفوا إقتتلوا.

فزبره عمر وإنتهره وإنصرف إبن عباس. ثمَّ دعاه بعد، فعرف الذي قال ثمَّ قال: إيها أعد[1].

إذن الخليفة عمر قد تأكّد من أنَّ الإختلاف في التفسير سيكون إحدىٰ نقاط إختلاف الأُمّة.

وتجريد القرآن من التفسير يعني إختلاف التفسير لاحقاً، وكان اللازم علىٰ عمر إجتناب ذلك، ولكنّه منع من تفسير القرآن، فتهيأت الأرضية لإختلاف الأُمّة!! قال علي: والله ما انزلت آية إلّا وقد علمت فيم أنزلت واين انزلت. حلية الاولياء ١/٦٨.

ولو سمح عمر بتفسير القرآن وطلب تدوين ذلك وتدوين الحديث النبوي لابتعدت الأُمّة عن الإختلاف.

اختلاف القراءة يؤدي إلىٰ اختلاف الأمة

جاء في النصوص ما يلي: مرَّ عمر بن الخطاب برجل وهو يقرأ:

﴿والسّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإحسانٍ﴾[2].

فوقف عمر فقال: إنصرف، فانصرف الرجل. فقال: من أقرأك هذا؟

---

(١) كنز العمال ٢/٣٣٢.

(٢) التوبة، ١١.

قال: أقرأنيها: أبي بن كعب. قال: فإنطلق إليه، فإنطلقا إليه.

فقال يا أبا المنذر: أخبرني هذا أنّك أقرأته هذه الآية. قال: صدق. تلقيتها من في رسول الله ﷺ.

قال عمر: أنت تلقَّيتها من محمد ﷺ؟ قال: نعم.

فقال في الثالثة، وهو غضبان.

نعم: والله لقد أنزلها الله علىٰ جبريل، وأنزل جبريل علىٰ قلب محمد، ولم يستأمر فيها إبن الخطاب، ولا أباه.

فخرج عمر رافعاً يديه وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر[١].

وأخرج أبو عبيد في فضائله... عن خرشة بن الحر أنّه قال: رأىٰ عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَومِ الجُمُعَةِ فَاسعَوا إِلىٰ ذِكرِ اللهِ﴾[٢]. فقال: مَنْ أملىٰ عليك هذا؟ قلت: أُبي. قال: لقد توفي رسول الله وما نقرأ هذه الآية التي في سورة الجمعة إلّا: [فامضوا إلىٰ ذكر الله][٣].

وقرأ أُبي بن كعب: [لا تقربوا الزنىٰ إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً إلّا من تاب فإنَّ الله كان غفوراً رحيماً][٤].

فذكر ذلك لعمر فأتاه فسأله عنها.

فقال: أُخذتها من في رسول الله ﷺ[٥].

وأخرج إبن شبّة في تاريخ المدينة المنورة أنَّ أعرابياً قرأ: ﴿مِنَ الَّذِينَ استَحَقَّ

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ٦٠٥/٢.

(٢) الجمعة، ٩.

(٣) صحيح البخاري مشكول ٢٠١/٣، والآية التي ذكرها عمر لا صحّة لها.

(٤) والصحيح ﴿ولا تَقرَبوا الزِنىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، الاسراء، ٣٢.

(٥) كنز العمال ٥٦٨/٢، رقم الحديث ٤٧٤٤.

عَلَيهِم الأوليانِ ﴾[١].

فقال عمر: كذبت.

فقال أُبي: بل أنت أكذب.

فقال له رجل: أتكذّب أمير المؤمنين.

فقال: أنا أشدُّ تعظيماً لأمير المؤمنين منكم، ولكنّي أُكذبه في تصديق الله، ولا أُصدقه في تكذيب الله. فقال عمر: صدق[٢].

وعن عمر بن الخطاب سمعت هشام بن حكيم يقرأ ـ سورة الفرقان ـ في الصلاة على غير ما أقرأها. وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله.

إنّي سمعته يقرأ ـ سورة الفرقان ـ على غير ما أقرأتنيها، فقرأ القراءة التي سمعتها منه.

وقال (أُبي) لعمر: إنّه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق[٣].

وجاء في تاريخ القرآن الكريم: «وانّما هم تلقوه عن رسول الله ﷺ مشافهة وسماعاً كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة، بالقراءات التي تدخل في معنى حديث ان هذا القرآن أُنزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسرَّ منه. ولقد وصل الينا القرآن المجيد من رسول الله ﷺ بالتواتر القطعي والاسناد الصحيح عن الثقات العدول والعلماء الفحول طبقة بعد طبقة، فالقراءات مأخوذة عن النبي ﷺ مشافهة وسماعاً، وليست مستخرجة من رسم المصحف، بل الرسم تابع لها مبني عليها، وأي دليل أعظم على هذا ممّا وقع لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، حينما سمعه

---

(١) المائدة: ١٠٧.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٢/٧٠٩.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي.

يقرأ سورة الفرقان علىٰ حروف كثيرة لا يعرفها عمر»[١].

وأراد الراوي الأموي أن يعذر عمر، ولكنَّه زاد في الطين بلَّه ؛ إذ قال: عن أبي طلحة عن أبيه عن جدِّه قال قرأ رجل عند عمر فغيَّر عليه، فقال: قرأت علىٰ رسول الله ﷺ فلم يغيِّر عليَّ قال: فإجتمعا عند النبي ﷺ. قال: فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: قد أحسنت، قال: كأن عمر وجد من ذلك،

فقال النبي ﷺ: يا عمر إنَّ القرآن كلَّه صواب مالم يجعل عذاب مغفرة أو مغفرة عذاباً[٢]. وهذا الحديث كاذب يسمح للناس بالتقوّل على القرآن الكريم كيفما شاؤوا.

وروى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: اقرأني جبرئيل علىٰ حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتَّىٰ إنتهى إلىٰ سبعة أحرف.

وذكروا أنَّه ﷺ قال: أقرأني جبريل علىٰ حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتَّىٰ إنتهى إلىٰ سبعة أحرف[٣].

وعن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان علىٰ غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها وكدت ان أعجل عليه ثمَّ أمهلته حتَّىٰ إنصرف، ثمَّ لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: إنِّي سمعت هذا يقرأ علىٰ غير ما أقرأتنيها فقال لي: أرسله ثمَّ قال له إقرأ: فقرأ. قال ﷺ: هكذا أنزلت.

ثمَّ قال لي: أقرأ فقرأت فقال ﷺ: هكذا أُنزلت ان القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف فاقرؤا منه ما تيسرَّ[٤].

---

(١) تاريخ القرآن الكريم ١٢٣.

(٢) مسند احمد بن حنبل ٣٠/٤، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٠/٧.

(٣) سنن البخاري ١٠٠/٦.

(٤) سنن البخاري ٩٠/٢، الدر المنثور ٦٢/٥، تاريخ القرآن الكريم ٧٧.

وذكر المحقّق ابن الجوزي: (ولا زلت استشكل هذا الحديث ـ أي حديث ان هذا القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف الخ ـ وافكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتّىٰ فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالىٰ. وذلك اني تتبّعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذّها فإذا هي يرجع إختلافها إلىٰ سبعة أوجه)[١].

وقال الكليني في الكافي عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إنَّ الناس يقولون: إنَّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل علىٰ حرف واحد من عند الواحد[٢].

وجاء ايضاً: «وفي أخبارنا أنَّ السبعة أحرف ليست هي القراءة بل هي أنواع التركيب من الأمر والنهي والقصص وغيرها[٣].

وذكر أحمد بن حنبل وابو يعلىٰ وابن بطة في مصنفاتهم عن الأعمش عن أبي بكر بن أبي عياش في خبر طويل أنه قرأ رجلان ثلاثين آية من الأحقاف فاختلفا في قراءتها، فقال ابن مسعود: هذا الخلاف ما أقرؤه، فذهبت بهما إلى النبي ﷺ فغضب وعلي عنده، فقال علي: رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علّمتم.

فيظهر بان رسول الله ﷺ يأمرهم باتباع ما تعلموه وترك القراءات الأخرىٰ. وترجع قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو إلىٰ ابن عباس، وابن عباس قرأ علىٰ علي بن أبي طالب ﷺ.

وقالوا: فصح القراءات قراءة عاصم. واخذ عاصم ذلك من أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ السلمي القرآن كلّه علىٰ علي بن أبي طالب ﷺ.

---

(١) تاريخ القرآن الكريم ٨٧.

(٢) الكافي، الكليني ٢/٦٣٠.

(٣) مسالك الإفهام ٤٢٩/١.

وقال ابن مسعود ما رأيت احداً اقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام. ويرجع الكسائي وحمزة إلىٰ قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهناك روايات لدى العامّة تؤيد روايات أهل البيت عليهم السلام منها: أخرج ابن جرير والحاكم عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، علىٰ حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب علىٰ سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحِلُّوا حلاله وحرّموا حرامه، وإفعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عمّا نهيتم عنه، وإعتبروا بأمثاله، وإعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا[1].

وجاء في كتاب بصائر الدرجات عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: تفسير القرآن علىٰ سبعة أحرف منه ما كان ومنه مالم يكن[2].

وعن الحسن لمّا قدم أبو موسى الأشعري البصرة كتب إليه عمر يقرأ الناس القرآن؟

فكتب إليه بعدة ناس قرأوا القرآن فحمد الله عمر. ثمّ كتب إليه في العام القابل بعدّة هي أكثر من العدّة الأولىٰ. ثمّ كتب إليه في العام الثالث. فكتب إليه عمر يحمد الله على ذلك، وقال: إنّ بني إسرائيل إنّما هلكت حين كثرت قرّاؤهم[3].

وقد أدرك عمر (وهو أحد دهاة العرب) وصرّح بأنّ كثرة القراء يؤدي الىٰ إختلاف الأمّة وهلاكها.

---

(١) الدر المنثور ٢/٦.

(٢) بصائر الدرجات ١٩٦.

(٣) كنز العمال ١٠/٢٦٨ حديث ٢٩٤٠٣.

هل أمر أبو بكر وعمر بنسخ القرآن الكريم؟

اذا كان القرآن مكتوباً فلماذا ذكروا جمع أبي بكر وعمر وعثمان للقرآن وتشكيلهما اللجان في ذلك؟

الواقع ان الروايات التي ذكرت جمع هؤلاء للقرآن كُتبت في الزمن الأموي وهدف الدولة من ذلك عدّة أمور:

١ ـ محاولة انكار وجود مصاحف مدوّنة ومكتوبة في زمن النبي ﷺ.

٢ ـ اعطاء فضيلة للخلفاء في اقدامهم علىٰ جمع القرآن توازي فضيلة علي ؑ في جمعه للقرآن في زمن النبي ﷺ. ودعوى الأمويين تلك فشلت بعد امتناع أبي بكر وعمر من استنساخ القرآن طيلة ثلاث عشرة سنة حكما فيها البلاد، بدأت في سنة ١١ هجرية وانتهت في سنة ٢٤ هجرية.

٣ ـ ايجاد عذر واهي للمعارضين لذكر السنة النبوية بحجة خوفهم من اختلاط الحديث بالقرآن!

وقد بان زيف هذا الدليل بامتناع الخليفتين الأول والثاني من تدوين القرآن والسنة ولو كان هناك خوف واقعي في قلبيهما لنسخا القرآن الموجود فعلا آنذاك ودوّنا السنة النبوية.

وعدم نسخهما للقرآن الكريم وعدم تدوينهما السنة النبوية يثبت رغبتهما في ادامة ذلك.

والذي يؤكّد هذا المنحىٰ اقدام الخليفتين علىٰ إحراق الحديث المدوّن في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته، ومنعهما الصحابة من ذكر الحديث وسجنهما للصحابة في مدينة الرسول ﷺ.

ومن الطبيعي أن تكون عملية عدم تدوين القرآن والسنة بداية للفتنة

الدينية العظمى التي وقع فيها اليهود والنصارىٰ. وهذه القضية يدركها كل إنسان عاقل فهل خفيت تلك المسألة علىٰ أبي بكر وعمر؟ بينما قال عثمان لاحقاً: اشفقت علىٰ هذه الأمة من اختلافهم في القرآن[١].

لقد ذكرنا بان الحديث النبوي ﷺ الداعي لنشر السنة النبوية قد ذكره عمر وباقي الصحابة وهو: ليبلغ الشاهد منكم الغائب.

والأخطر من ذلك ان عمر بن الخطاب اقدم علىٰ تزييف القرآن المدوَّن في زمن النبي ﷺ والمعروف بمصحف علي عليه السلام ومصحف ابن عباس ومصحف ابن مسعود بذكر آيات كثيرة بدعوىٰ انها من القرآن الكريم، وانكاره حقيقة آيات أخرىٰ مدوَّنة فعلاً[٢].

ولو استمر عمر بن الخطاب في حكومته لمنع نسخ القرآن، وثبتت دعواه في زيادته ونقصانه، واستمر منع تفسيره ومنع تدوين وذكر السنة النبوية.

وبكلمة أخرىٰ ضياع تراث محمد ﷺ، ولحدثت في المسلمين فاجعة تشابه فاجعة أهل الكتاب ولكن الله سبحانه وتعالىٰ قال في محكم كتابه الشريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣].

وعندما لمس الناس خطورة فعل أبي بكر وعمر في عدم نسخهما للقرآن الكريم وعدم جمعهما له علىٰ قراءة واحدة اوجد عبد الله بن الزبير عذراً لهذا أو ان الأمويين اوجدوا عذراً علىٰ لسانه جاء فيه:

فكان عمر رضي الله عنه قد همَّ أن يجمع المصاحف فيجعلها علىٰ قراءة واحدة فطعن طعنته التي مات فيها[٤].

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩٧.

(٢) راجع ذلك في موضوعه الخاص في هذا الفصل.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩٠.

لقد ذكروا هذا العذر بعد مقتل عمر على يد أبي لؤلؤة وذكروا بان عمر نوى أيضاً أن يكلم المغيرة في أمر أبي لؤلؤة لكنه طعن!

ولم يطّلع أحد على نوايا عمر، وما تلك إلّا ظنون وحجج كتبت بعد مقتل عمر.

وتشير النصوص إلى فعالية حذيفة بن اليمان في توحيد نسخ القرآن الكريم مما يبين أوامر الإمام علي عليه السلام في هذا المجال لأن حذيفة بن اليمان كان تلميذاً مطيعاً لعلي عليه السلام كما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله[١].

كان القرآن مدوّناً في زمن النبي صلى الله عليه وآله

هناك شواهد كثيرة على تدوين القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وآله، إذ وصلت لنا ادلة بوجود مصحف علي عليه السلام ومصحف عبد الله بن عباس ومصحف عبد الله بن مسعود ومصحف عائشة.

في رواية عن عبد الله بن الزبير «ثم بعثني (أي عثمان) إلى عائشة رضي الله عنها فجئت بالمصاحف التي كتب فيها رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن فعرضناها عليها حتى قومناها[٢].

وذكر عمر بن شبة في تاريخ المدينة:

«أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى الامصار أمّا بعد فإن نفراً من أهل الأمصار اجتمعوا عندي فتدارسوا القرآن، فاختلفوا اختلافاً شديداً، فقال بعضهم قرأت على أبي الدرداء، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن مسعود، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن قيس، فلما سمعت اختلافهم في القرآن ورأيت أمراً

---

(١) راجع تاريخ المدينة المنوّرة، عمر بن شبة ٣/٩٩٨.

(٢) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩١.

منكراً، فاشفقت علىٰ هذه الأمة من اختلافهم في القرآن، وخشيت أن يختلفوا في دينهم بعد ذهاب من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قرأوا القرآن علىٰ عهده وسمعوه من فيه، كما اختلفت النصارىٰ في الأنجيل بعد ذهاب عيسىٰ بن مريم، وأحببت أن نتدارك من ذلك، فأرسلت إلىٰ عائشة أم المؤمنين أن ترسل لي بالأدم الذي فيه القرآن الذي كتب عن فم رسول الله ﷺ حين أوحاه الله إلىٰ جبريل، وأوحاه جبريل إلىٰ محمد وأنزله عليه، وإذا القرآن غض، فامرت زيد بن ثابت أن يقوم علىٰ ذلك. ولم أفرغ لذلك من أجل أمور الناس والقضاء بين الناس، وكان زيد بن ثابت أحفظنا للقرآن، ثمّ دعوت نفراً من كتاب أهل المدينة وذوي عقولهم، منهم نافع بن طريف، وعبد الله بن الوليد الخزاعي، وعبد الرحمن بن أبي لبابة، فأمرتهم أن ينسخوا من ذلك الأدم أربعة مصاحف وأن يتحفظوا»[1].

وقال ابن جزي: كان القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ متفرّقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلمّا توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب ؑ في بيته فجمعه علىٰ ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد»[2].

وذكر الشيرازي في نزول القرآن وابو يوسف يعقوب في تفسيره في قوله تعالىٰ: ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ قال ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: فجمع اللهُ القرآن في قلب علي وجمعه علي بعد موت رسول الله بستة أشهر.

وذكر الكثير من العلماء والحفاظ جمع علي بن أبي طالب ؑ للقرآن الكريم منهم: ابو العلاء العطار والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما، والخطيب في الأربعين بالاسناد عن السدي وابو نعيم في الحلية.

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٩٩٧/٣.

(٢) التسهيل، ابن جزي ٦/١.

وجاء في كتاب كنز العمال: عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم عليٌّ أن لا يرتدي برداء إلّا إلى الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف[1].

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١٩٧ قول الإمام علي عليه السلام: «جعلت عليَّ أن لا أرتدي إلّا إلى الصلاة حتى أجمعه للناس، فقال أبو بكر: نعم رأيت»[2].

وجاء في أخبار أهل البيت عليهم السلام أنه (علي عليه السلام) آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلّا للصلاة حتى يؤلّف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلى أن جمعه، ثمّ خرج إليهم في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فانكروا مصيره بعد انقطاع مع التيه، فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن؟ فلمّا توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب وانا العترة، فقام إليه الثاني، فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به، بعد أن الزمهم الحجّة[3].

وعن سليم بن قيس الهلالي: «سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليَّ فاكتبها بخطي»[4].

وعدم اهتمام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالقرآن يبين نظرة الحزب الأموي إلى كلام الله تعالى إذ استفتح الوليد بالقرآن فقرأ ﴿واستفتحوا وخاب كلُّ جبار عنيد، من ورائه جهنم يسقى من ماء صديد﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول:

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي ١٣/١٢٧.

(٢) كنز العمال ٢/٥٨٨، الاستيعاب ٣/٩٧٤، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٥/٤٥٠، أنساب الأشراف ١/٥٨٧.

(٣) راجع الاحتجاج، الطبرسي ١/٢٥٥، البحار، المجلسي ٩٢/٤٢-٤٣، تفسير نور الثقلين ٥/٢٢٦.

(٤) تفسير العياشي ١/٢٥٣.

أتــوعِدُ كــلَّ جـبار عـنيدٍ   فــها أنــا ذاك جـبار عـنيدُ
إذا ما جئت ربك يوم حـشر   فقل يا ربِّ خرّقني الوليدُ[١]

أوامر النبي والصحابة ﷺ بتبليغ الحديث وتدوينه وحفظه

جاء في كتاب البخاري (حول تدوين الحديث) عن النبي ﷺ قوله : اللهم اشهد فليبلِّغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعىٰ من سامع[٢].

وجاء أيضاً عنه ﷺ : فانّه ربَّ مبلِّغ يبلغه من هو أوعىٰ له[٣].

وفي سنن مسلم قال ﷺ : ألا ليبلغ الشاهدُ الغائبَ (مرّتين) فربَّ مبلّغ هو أوعىٰ من سامع[٤].

وجاء في مسند أحمد قال ﷺ : ألا إنَّ ربِّي داعيّ ، وإنّه سـائلي هـل بـلّغت عبادي ؟ وانا قائل له : ربِّ قد بلغتهم . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب[٥].

وأخرج الحاكم في تاريخه بالاسناد الىٰ أبي بكر عن رسول الله ﷺ قـوله : « من كتب عليَّ علماً أو حديثاً لم يـزل يكـتب له الأجـر مـا بـقي ذلك العـلم أو الحديث »[٦].

---

(١) مروج الذهب ، المسعودي ٢١٦/٣ .

(٢) صحيح البخاري ٣٤/١ ، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب .

(٣) صحيح البخاري ٩١/٨ .

(٤) صحيح مسلم ١٠٨/٥ ، سنن ابن ماجه ٨٥/١ـ٨٦ ، الترمذي ١٥٢/٢ ، مستدرك الحاكم ١٧٤/٣ ، سنن البيهقي ١٤٠/٥ ، وسنن النسائي ٢٠٦/٥ .

(٥) مسند أحمد ٨٣/١ .

(٦) أخرجه عماد الدين بن كثير في مسند الصدّيق عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، ورواه القـاضي

←

وكان عبد الله بن عمرو يكتب أحاديث النبي ﷺ في حياته، فنهته قريش وقالوا: أتكتب كلَّ ما يقول، وهو بشر يقول في الرضا والغضب، وأنَّه (عبد الله) أخبر النبي ﷺ بذلك. فقال ﷺ له:

أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا الحق. وأشار إلىٰ فمه الشريف. وهناك روايات بتقييد العلم وكتابته عن الصحابة الاجلاء أُوجب فيها النبي ﷺ على الشاهد ان يبلّغ الغائب وأحاديث من حفظ أربعين حديثاً[1].

والملاحظ لكتب السيرة يجد أنَّ النبي ﷺ كان يدعوهم إلىٰ كتابة الحديث[2] مثل قوله ﷺ برواية أبي بكر: من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي العلم أو الحديث[3].

وبسبب منع تدوين الحديث لم ينقل عن الصحابة كتاب إلّا عن سعد بن عبادة اذ نقل عنه الشافعي في مسنده[4].

بينما قال النبي ﷺ: من حفظ علىٰ أُمتي أربعين حديثاً من سنَّتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي[5].

وقال ﷺ: من حفظ من أُمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً[6].

←

ابو اميّة الأحوص بن المفضل الغلابي. وهو الحديث ٤٨٤٥ صفحة / ٢٣٧ / الجزء الخامس في كنز العمال.

(١) تفسير المنار لرشيد رضا ٧٦٦/١٠، ٥١١/١٩.

(٢) كنز العمال ٢٠٠/٥ـ٢١٢، ٢٤٠، ٢٤٣. والمستدرك ٨٧/١ـ١٠٠.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص٩٣.

(٤) كما في ترتيب المسند ١٧٩/٢.

(٥) كنز العمال ١٥٨/١٠، حديث ٢٨٨١٧.

(٦) كنز العمال ١٥٨/١٠، حديث ٢٨٨١٨. تاريخ الخلفاء، السيوطي، باب أحاديث أبي بكر. ٩٣

وقال ﷺ: من تعلّم أربعين حديثاً ابتغاء رحمة الله تعالىٰ، ليعلم به أُمتي في حلالهم وحرامهم حشره اللهُ يوم القيامة عالماً[١].

وعن الزهري عن عروة أنَّ عمر بن الخطاب أراد ان يكتب السنن، فإستفتىٰ أصحاب رسول الله في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها وإستخار عمر الله فيها شهراً.

ثمَّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّي كنت أُريد ان أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي واللهِ لا أشوب كتاب الله بشيْ أبداً[٢].

نلاحظ في هذا النص أنَّ أصحاب النبي ﷺ قد طلبوا منه كتابة الحديث، وذكرنا في الموضوع السابق طلب النبي ﷺ تدوين الحديث وتبليغه وحفظه، ورغم هذا فقد عارض عمر تدوين الحديث وتبليغه ؟!

وواضح أنّ عدم كتابة الحديث يؤدي إلى اختلاف الأمة.

اليهود وعصبة قريش لم يهتمّوا بالحديث النبوي

ذكر عمر أنَّ اليهود قد تركوا كتاب الله واهتموا بالكتب التي كتبوها.

والحقيقة ان اليهود لم يهتموا بأحاديث الانبياء، ولو اهتموا بها وساروا علىٰ نهجها الصحيح لمَاَ إنحرفوا عن الدين.

بل انهم لم يكتبوا الأحاديث النبوية، وحرّفوا كتبهم السماوية وتركوا أوصياء الله.

---

(١) كنز العمال ١٠/١٦٤، حديث ٢٨٨٥٣.

(٢) كنز العمال ١٠/ح ٢٩٤٧٤.

والملاحظ لسيرة أهل الكتاب، يفهم أنَّ إنحرافهم قد جاء من منعهم كتابة الحديث النبوي، وتحريف الكتب السماوية. وابو بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة يدركون ذلك ؟! ولم نجد في كتب اليهود انهم ساروا علىٰ آراء الأوصياء، فترك أتباع النبيّ سليمان عليه السلام وصيهم آصف بن برخيا.

وترك أتباع النبي موسى عليه السلام وصيهم يوشع.

وبذلك يكون أصحاب سليمان وموسىٰ عليهما السلام قد تركوا الوصي والحديث النبوي، وهكذا فعل المسلمون بعد النبي صلى الله عليه وآله بتركهم الوصي (علي) عليه السلام والحديث النبوي، ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لتتبّعون سنن من قبلكم شبراً بشبر!

وبعد منع أبي بكر وعمر الناس من كتابة الحديث النبوي انتشرت أحاديث كعب الأحبار وتميم الداري باسم الأحاديث النبوية.

لقد كانت نظرية الحزب القرشي تتمثّل في عدم كتابة الحديث النبوي أي علىٰ خلاف رأي النبي صلى الله عليه وآله والصحابة.

عن عروة: أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك فاشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثمَّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّي كنت أُريد أن أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً[1]. وكان عمر مات ولم ينسخ كتاب الله أيضاً، فأبقى المسلمين دون كتاب ودون حديث، والكتاب دون تفسير وبعدّة قراءات، والحديث النبوي ممنوع تدوينه والنطق به، وأهل البيت عليهم السلام محذوفون بنظرية حسبنا كتاب الله!!

وكانت نظرية اليهود متّفقة مع الحزب القرشي في عدم كتابة الحديث

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/٢٠٦، مختصر جامع بيان العلم ٣٣، تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٣٨.

النبوي. وسار ابو بكر وعمر علىٰ تلك النظرية القائلة بأن النبي ﷺ يغضب ويرضىٰ فكيف تكتبون عنه تفسير المنار، (محمد رشيد رضا ١٠/٧٦٦، ١٩/٥١١). وتلك النظرية معارضة لنظرية الله تعالىٰ في رسوله. إذ قال: ﴿إن هو إلّا وحي يوحىٰ﴾.

فالملاحظ أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قد أشاروا علىٰ عمر بكتابة السنن دون مخالف منهم لهذا. ورأي الصحابة يبين أنَّ النبي ﷺ هو الذي دعا إلىٰ كتابة السنن النبوية.

فاذا كان النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلىٰ كتابة السنن لأهميتها فلماذا خالف عمر في ذلك الحزب القرشي ؟

إن نظرية الحزب القرشي تتمثل في حسبنا كتاب الله، وهذه النظريَّة تتضمَّن هذا المعنىٰ أي منع تدوين الحديث النبوي.

لذلك دعا عمر الىٰ عدم كتابة الحديث النبوي الشريف، وحبس الصحابة في المدينة كي لا ينتشروا في الدول المختلفة فينتشر معهم الحديث النبوي.

وذهب عمر لأبعد من ذلك في معتقده يوم أحرق الحديث النبوي الشريف، المكتوب علىٰ جلود الحيوانات والاخشاب[(١)]. وهذه خسارة لا تعوَّض للتراث الاسلامي والشريعة الغرّاء وقد قالوا في أسباب إقدام عمر المذكور:

إنَّ عمر خاف من إختلاط الحديث النبوي بالآيات القرآنية، والجواب: انَّ القرآن كان قد جمعه الإمام علي ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ فكان يسمَّىٰ بقرآن علي ﷺ. وقد جمعه ابن عباس فسمي بقرآن ابن عباس. وقد جمعه عبد الله بن مسعود فسمي بقرآن ابن مسعود.

وكان النبي ﷺ نفسه قد دعا إلىٰ جمعه في حياته.

---

(١) كنز العمال ٥/٢٣٩.

وبذلك فانّ القرآن محفوظ من المخاطر، ولا خوف عليه من إختلاطه بالحديث النبوي. لذلك دعا النبي ﷺ والصحابة جميعاً الىٰ كتابة الحديث.

ودعوة النبي ﷺ والصحابة الىٰ كتابة الحديث الشريف تثبت إطمئنانهم علىٰ القرآن الكريم. وتبيّن أهمية كتابة الحديث.

والظاهر أنّ السبب في عدم موافقة الحزب القرشي في كتابة الحديث الشريف هو رغبتهم في إخفاء الحديث المبيّن لأحقية الامام علي عليه السلام بالخلافة، ومكانة أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم هذا أولاً.

وثانياً: إفساح المجال أمام الخلفاء للإجتهاد في النصوص الدينية وفق مصالحهم.

قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً.

قالت: فغمّني فقلت: أتتقلب لشكوىٰ أو لشيءٍ بلغك؟

فلمّا أصبح قال لي: بنيّة هلمّي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرّقها.

فقلت: لِمَ أحرقتها؟

قال: خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل إئتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلت ذاك[1].

والواضح ان الهدف من وراء احراق الحديث لم يكن كما ذكره أبو بكر؛ لأنّ أبا بكر قد سمعها من النبي ﷺ مباشرة، ويمكنه ان يتوثّق من الأحاديث بالأستفسار عنها من أصحاب النبي ﷺ وهم كثيرون، والفاصلة الزمنية بينهم وبين النبي ﷺ قليلة؛ لأنّ أبا بكر حكم سنتين بعد وفاة الرسول ﷺ.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٥.

وكان أبو بكر وعمر قد جمعا بعض القرآن ولم يكن عندهما مشكلة ، وكانا يتوثّقان من السورة بشاهدين من الأصحاب .

إذن لماذا لم يفعلا مثل هذا مع الحديث ؟ خاصّة وان الأصحاب واثقون من أحاديثهم . واذا لم يكن واثقاً من الأحاديث التي رواها بنفسه ، فكيف ردّ بها فاطمة الزهراء عليها السلام وخالف القرآن والأصحاب بحديث يرويه هو وحده : « نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة » ؟ !

إذن هدف أبي بكر من احراق الحديث لم يكن كما ذكره هو لعائشة ، بل الهدف هو نفسه الذي ذكره عمر وابو بكر ورفاقهم للنبي ﷺ في يوم الخميس : حسبنا كتاب الله .

ذكر الحافظ الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ : «ان الصدّيق (أبا بكر) جمع الناس بعد وفاة نبيهم ﷺ فقال : إنّكم تحدّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم اشدّ إختلافاً ، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً .

فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه[١] . إذن نظرية ابي بكر هي نفس نظرية عمر وقريش حسبنا كتاب الله .

ولمّا قام عمر بالأمر نهىٰ عن كتابة الحديث ، وكتب إلى الآفاق ان من كتب حديثاً فليحرقه[٢] .

وعن يحيىٰ بن جعدة قال : أراد عمر أن يكتب السنّة ، ثمّ بدا له ان لا يكتبها ، ثمّ كتب الى الأمصار : من كان عنده شئ فليمحه[٣] .

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : إنّ الأحاديث كثرت علىٰ عهد عمر

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/١.

(٢) كنز العمال ٢٣٩/٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، ورواه ابن خيثمه وهو الحديث (٤٨٦٢).

بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها[١]. ثمّ نهىٰ عن الحديث فترك عدّة من الصحابة الحديث لنهيه[٢].

وسار الحزب القريشي علىٰ خطىٰ أبي بكر وعمر في منع الحديث ومخالفة الرسول ﷺ. إذ قالوا لعبد الله بن عمرو بن العاص: أتكتب كلّ ما يقول وهو بشر يقول في الرضا والغضب[٣].

ولمّا وصل عثمان الى الخلافة سار علىٰ منهج أبي بكر وعمر وتبعه معاوية. فقال معاوية في خطبة له: يا ناس أقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وإن كنتم تتحدّثون فتحدّثوا بما كان يتحدّث به في عهد عمر[٤].

وهكذا فكّر عمر شهراً في مسألة تدوين الحديث ثمّ منعه، وفكّر أبو بكر ليلة كاملة الى الصباح ثمّ منعه.

والملاحظ أنّ الحزب القريشي كان يعارض كتابة الحديث في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته وقبل كتابة القرآن وبعد كتابته، وهذا أقوىٰ دليل علىٰ تفنيد إدّعائهم في الخوف من إختلاط الحديث بالقرآن؟!!

وردُّ عمر للنبي ﷺ في حياته بقوله يهجر، حسبنا كتاب الله، وردّ الحارث الفهري لنص الغدير في حياة النبي ﷺ ومنع عصبة قريش من كتابة الحديث في زمن النبي ﷺ وإحراق أبي بكر للحديث الذي سمعه بنفسه من النبي ﷺ، هذه كلها وغيرها أدلة علىٰ رفض عصبة قريش للحديث النبوي؛ لإفساح المجال أمامهم للإجتهاد بمخالفة النصوص الإلهية وإبعاد أهل البيت عن الخلافة السياسية والمرجعية الدينية.

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته في ترجمة محمد بن أبي بكر ١٤٠/٥.

(٢) المستدرك للحاكم ١٠٢/١.

(٣) تفسير المنار لرشيد رضا ٧٦٦/١٠، ٥١١/١٩.

(٤) كنز العمال ٢٩١/١٠، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٦٠/١، تاريخ أبي زرعة ص ٢٧٠.

وعن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركنَّ الحديث عن رسول الله ﷺ او لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب : لتتركنَّ الحديث او لألحقنك بأرض القردة[١] . في حين سمح عمر لكعب بذكر قصص أهل الكتاب وعلومهم الدينية في مسجد النبي ﷺ[٢] ولم يخف اختلاطها بالقرآن . والحديث النبوي فدخلت في باب الأحاديث النبوية .

وقال ابن عباس : كنّا نكتب العلم ولا نكتبه ، أي انهم يكتبون الحديث كي يحفظوه ثمَّ يمحونه . وقال محمود أبو رية العالم المصري الكبير عن عذر عمر في خوفه من أختلاط الحديث مع القرآن :

« هو سبب لا يقتنع به عاقل عالم . . . اللهم إلّا إذا جعلنا الأحاديث من جنس القرآن في البلاغة ، وأنَّ اسلوبها في الاعجاز من اسلوبه .

وهذا مالا يقرّه أحد حتَّى الذين جاءوا بهذا الرأي . إذ معناه إبطال معجزة القرآن ، وهدم أصولها من القواعد .

وبين الحديث والقرآن ولا ريب فروق كثيرة ، يعرفها كل من له بصر بالبلاغة وذوق في البيان .

علىٰ أنَّ هذا السبب الذي يتشبثون به قد زال بعد أن كُتِب القرآن في عهد أبي بكر علىٰ ما رووه . وبعد أن نسخ في عهد عثمان ووزعت منه نسخ على الامصار وأصبح من العسير بل من المستحيل أن يزيدوا على القرآن حرفاً واحداً »[٣] .

وقال مالك بن انس إنَّ عمر بن الخطاب أراد ان يكتب هذه الأحاديث او كتبها ثمَّ قال : لا كتاب مع كتاب الله[٤] .

---

(١) كنز العمال ٢٩١/١٠ ، شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ٣٦٠/١ ، تاريخ ابي زرعة ٢٧٠ .

(٢) انظر باب كعب الأحبار .

(٣) اضواء على السنة المحمدية ص ٥٠ .

(٤) كنز العمال ٢٩٤٧٥/١٠ ، وذكرها ابن عبد البر .

وكان عمر يدرك أهميّة الكتابة، فهو الذي روىٰ حديث قيّدوا العلم بالكتاب، لذلك نراه كان أوّل من كتب التاريخ الهجري لستّ عشرة من الهجرة بمشورة علي عليه السلام[١].

وعن يحيىٰ بن جعدة قال: اراد عمر ان يكتب السنّة ثمّ بدا له أن لا يكتبها. ثمّ كتب في الأمصار: من كان عنده شيء من ذلك فليمحه[٢].

إنّ نظرية حسبنا كتاب الله تعني في الواقع إهمال الحديث والقرآن، وفعلاً لم يستنسخ ابو بكر وعمر وعثمان القرآن ومنعوا تدوين الحديث، ثم اجبر الصحابة وعلىٰ رأسهم حذيفة بن اليمان عثمان علىٰ نسخ القرآن الكريم.

وبقاء القرآن بلا تفسير يعني حصر كلام الله تعالىٰ في مجال القراءة، وإبعاده عن مجال التشريع فتكون نظرية الحزب القرشي تتمثل في: حسبنا الاجتهاد.

ونجحت تلك النظرية في زمن الخلافة الاول ولكنها فشلت وسقطت بسقوط حكومة عثمان بن عفان، إذ اندفع الصحابة في الأمصار الاسلامية وانتشر الحديث النبوي.

ثم حاول معاوية محاصرة تلك الأحداث بوضع أحاديث كثيرة معارضة للأحاديث الصحيحة لايجاد فتنة في عالم الحديث وتفسير القرآن إلىٰ جنب فتنته السياسية. فظهرت عشرات الآلاف من الأحاديث المزيفة في صفوف المسلمين.

لماذا سُجِن الصحابة في المدينة؟

عن محمد بن اسحاق قال: أخبرني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: والله ما مات عمر بن الخطاب حتّىٰ بعث إلىٰ أصحاب رسول

---

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٣٨.

(٢) كنز العمال ١٠/٢٩٤٧٦.

الله ﷺ فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله ﷺ في الآفاق؟ قالوا: أتنهانا؟ قال: لا أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم. فما فارقوه حتى مات[1].

وعن سعد بن ابراهيم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولابي الدرداء ولابي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب[2].

عن الشعبي قال: جالست ابنَ عمر قريباً من سنتين فما سمعْتُه يحدّث عن رسول الله ﷺ بشيء[3]. وقال الشعبي: «لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملّته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة، وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فإن كان الرجل منهم ليستأذنه في الغزو فيقول: قد كان لك في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلغك، وخير لك من غزوك اليوم ان لا ترى الدنيا ولا تراك. وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش، ولم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكة»[4]. أي سمح عمر للطلقاء بالتجول في بلاد المسلمين، التي فتحها المهاجرون والأنصار وسجن المهاجرين والأنصار كي لا ينشروا الحديث النبوي (سنة رسول الله) في الأمصار المفتوحة!

وتبعاً لأمر عمر يمكن لعبد الله بن ابي سرح والوليد بن عقبة وحنظلة بن ابي سفيان الذهاب في الدول المفتوحة وذكر ما شاءوا عن النبي ﷺ والقرآن من أكاذيب ولا يمكن ذلك لعمار وابن مسعود وابي ذر.

---

(١) كنز العمال ١٠/٢٩٤٧٩.

(٢) مستدرك الحاكم ١/١١٠، تاريخ ابي زرعة ٢٧٠.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ١٣/١٦٠.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣/١٨٠، ١٨١.

وقال الشيخ محمود أبو رية في كتابه: «وقد عقّب الذهبي علىٰ نهي عمر عن التحدث فقال: هكذا كان عمر ﷺ يقول: أقلّوا الحديث عن رسول الله ﷺ، وزجر غير واحد من الصحابة عن بثّ الحديث.

وروىٰ إبن عليه عن جابر بن أبي سلمة قال: بلغني أن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر، فإنه قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله.

وعن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنّه قال: ما كنّا نستطيع ان نقول: قال رسول الله ﷺ حتّىٰ قبض عمر، كنّا نخاف السياط. وكان يقول أفكنت محدّثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهري. وفي رواية: لو كنت أُحدّث في زمان عمر مثل ما أُحدثكم لضربني بمخفقته[1].

ولكنّ الدولة التي منعت تدوين الحديث وتبليغه قد سمحت لتميم الداري وكعب الأحبار في التحديث في المساجد ما تعلّماه من الثقافة المسيحية واليهودية»[2].

والعجيب ان عمر نفسه قد روىٰ حديث النبي ﷺ: قيّدوا العلم بالكتاب[3]، لكنّه خالف ذلك!

نظريّة عمر في كتب الفرس والروم والقبط

لقد سيطر المسلمون بعد فتح بغداد ودمشق والاسكندرية علىٰ مكتبات علمية ممتازة، مليئة بالكتب العلمية النادرة والقيّمة في شتىٰ صنوف العلم من

---

(١) كتاب أبي هريرة شيخ المضيرة لمحمود أبو رية ١٠٤.

(٢) مجمع الزوائد عن الإمام أحمد ١٩٠.

(٣) مستدرك الحاكم ١٠٥/١.

حساب وهندسة وكيمياء وطب وفلسفة وتاريخ ودين وجغرافية وغيرها.

ولا يمكن تقدير القيمة العلمية لتلك الكتب التي كتبها المحقّقون والأثريون والعلماء حول حضارات الرافدين والفراعنة وبدء حياة الانسان في الأرض، وما توصّل إليه الانسان في العلوم المختلفة وما يتعلّق بالأديان السماوية وسيرة الأنبياء.

اي ان تلك الكتب تكشف لبني الانسان الكثير من المجهولات العلمية والتاريخية والدينية والإجتماعية والثقافية.

وقد جاء في كشف الظنون[1]: انَّ المسلمين لمّا فتحوا بلاد فارس، وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبي وقاص الىٰ عمر بن الخطاب، يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين. فكتب إليه عمر ﷺ: أن اطرحوها في الماء، فإن يكن ما فيها هدىً؟ فقد هدانا الله تعالىٰ بأهدىٰ منها، وإن يكن ضلالاً؟ فقد كفانا الله تعالىٰ. فطرحوها في الماء او في النار، فذهبت علوم الفرس فيها.

وقال ابن خلدون: فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الانساني متعدّدون، ومالم يصل إلينا من العلوم أكثر ممّا وصل، فأين علوم الفرس التي أمر عمر ﷺ بمحوها عند الفتح[2].

وقال ابن النديم في ذكره لمكتبة الاسكندرية المحروقة: وحكىٰ إسحاق الراهب في تاريخه انَّ بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لمّا ملك فحص عن كتب العلم، وولّىٰ أمرها رجلاً يعرف بزميرة، فجمع من ذلك علىٰ ما حكي أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً[3].

وجاء في كتاب كشف الظنون: انّهم (المسلمون) أحرقوا ما وجدوا من

---

(١) كشف الظنون ١/٤٤٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/٣٢.

(٣) فهرست ابن النديم ٣٣٤.

الكتب في فتوحات البلاد[١].

فلمّا سيطر عمرو بن العاص علىٰ مصر بعد فتحها، وجد فيها مكتبة كبيرة تقدَّر بخمسين الف كتاب. وقد طلب العالم يحيى النحوي من عمرو بن العاص كتب الحكمة التي جمعها من بلدان مختلفة بواسطة ابن زمرة، ثمَّ بدأ بجمع كتب السند والهند وفارس وجرجان والارمن وبابل والموصل والروم...

وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الىٰ وقتنا هذا. فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى النحوي وعجب منه وقال له: لا يمكنني ان آمر بأمر إلّا بعد إستئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلىٰ عمر وعرّفه بقول يحيى الذي ذكر. واستأذنه ما الذي يصنعه فيها، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه:

أمّا الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنىٰ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالىٰ؟ فلا حاجة إليها. فتقدم باعدامها...

فشرع عمرو بن العاص في تفريقها علىٰ حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها، وذكرت عدَّة حمامات يومئذ ونسيتها فكذروا أنَّها إستنفدت في مدَّة ستَّة أشهر. ومؤسس تلك المكتبة هو بطليموس الأول، وهو الذي بنىٰ مدرسة الاسكندرية المعروفة باسم الرواق، وجمع فيها علوم تلك الأزمان من فلسفة ورياضيات وطب وحكمة وآداب وهيئة[٢].

وضرب عمر مسلماً أصاب كتاباً فيه العلم: «فبعد فتح المدائن أتىٰ رجل من المسلمين الىٰ عمر فقال: إنّا لما فتحنا المداين أصبنا كتاباً فيه علم من علوم الفرس وكلام معجب.

---

(١) كشف الظنون ١/٢٥.

(٢) فهرست ابن النديم ٣٣٤. تاريخ التمدن الاسلامي ٣/٤٢، الكافي في تاريخ مصر ١/٢٠٨ـ٢١٠.

فدعا بالدِرَّة فجعل يضربه بها ثمَّ قرأ: نحن نقصّ عليك أحسن القصص، وكان في الكوفة رجل يطلب كتب دانيال، فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطاب أن يرفع إليه فلمّا قدم علىٰ عمر علاه بالدرَّة[1].

ومن خلال موقف الخليفة عمر من الكتب العلمية، ومنعه تفسير القرآن، ومنعه تدوين الحديث ونشره يكون موقف الخليفة من هذا الموضوع معلوماً وواضحاً. وقال الكاتب جرجي زيدان: والمؤرخون من العرب وغيرهم مختلفون في كيفية ضياعها (مكتبة الأسكندرية). فمنهم من ينسب إحراقها الىٰ عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب، ويستدلُّون علىٰ ذلك ببعض النصوص العربية وأشهرها قول أبي فرج الملطي وعبد اللطيف البغدادي والمقريزي والحاج خليفة.

ومنهم: من يُجلّ العرب عن ذلك ويطعن في تلك الروايات ويضعفها. وقد كنَّا ممن جارىٰ هذا الفريق في كتابنا «تاريخ مصر الحديث» منذ بضع عشر سنة، ثمَّ عرض لنا بمطالعاتنا المتواصلة في تاريخ الإسلام والتمدن الإسلامي في ترجيح الرأي الأول لاسباب نحن باسطوها فيم يلي إجلاءً للحقيقة فنقول:

اولاً: قد رأيت فيا تقدَّم رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن بالإسناد الى الأحاديث النبوية وتصريح مقدمي الصحابة.

ثانياً: جاء في تاريخ مختصر الدول لأبي فرج الملطي عند كلامه عن فتح مصر علىٰ يد عمرو بن العاص ما نصه: وعاش يحيى الغراماطيقي الىٰ ان فتح عمرو ابن العاص مدينة الأسكندرية، ودخل علىٰ عمرو وقد عرف موضعه من العلوم، فاكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أُنسة ما هاله، ففتن به. وكان عمرو عاقلاً حسن الإستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه، ثمَّ قال له يحيىٰ يوماً: إنك قد أحطت بحواصل الأسكندرية وختمت علىٰ كل الاصناف

---

(١) سيرة عمر، ابن الجوزي ١٠٧. كنز العمال ٩٥/١.

الموجودة بها فالك به انتفاع، فلا نعارضك به، وما لا انتفاع لك به فنحن أولىٰ به:

فقال له عمرو: ما الذي تحتاج إليه؟

قال: كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية.

فقال عمرو: هذا لا يمكنني أن آمر فيه إلّا بعد إستئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

فكتب الىٰ عمر وعرَّفه قول يحيىٰ فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: «وأمّا الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنىٰ، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدّم بإعدامها.

فشرع عمرو بن العاص في تفريقها علىٰ حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر، فاسمع ما جرىٰ واعجب[1].

ولقد تعرَّضت الكتب العلمية في بغداد للإحراق والإتلاف في نهر دجلة مرّتين. مرّة بعد الفتح الاسلامي بأمر الخليفة عمر فذهبت كتب السومريين والأكديين والفرس وهم أصحاب الحضارات القديمة،

ومرّة أخرىٰ بعد الغزو المغولي للعراق، حيث قضىٰ هولاكو علىٰ كل الكتب العلمية المكتوبة في العصر الإسلامي الأول وزمن الأمويين والعباسيين.

وهاتان الخسارتان للكتب العلمية لم ولن تعوَّضا أبداً.

بينما قال النبي ﷺ: إطلبوا العلم ولو في الصين. وقال الإمام علي ؑ: العلم ضالّة المؤمن فخذوه ولو من المشركين. وقال ؑ: الحكمة ضالّة المؤمن يطلبها ولو من أيدي الشرط[2].

ويذكر أنّ منطقة العراق ومصر وايران هي مكان الحضارات العريقة التي

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٤٦، كتاب الدول لابي الفرج الملطي ١٨٠.

(٢) جامع بيان العلم، لابن عبد البر ٥١ من مختصره.

انتشر نورها بين فئات البشرية، ولو اتّخذ عمر وهولاكو قرارين بحفظ تلك الكتب لا اتلافها، لأغنوا الإنسانية بعلوم لا تقدّر قيمتها ومكانتها.

نظريّة الحزب القرشي في القضاء والقدر وعلم الكلام

وقال إبن أبزي: بلغ عمر أن أناساً تكلّموا في القَدَر فقام خطيباً فقال: يا أيّها الناس إنّما هلك من كان قبلكم في القَدَر، والذي نفسي بيده لا أسمع برجلين تكلّما فيه إلّا ضربتُ أعناقهما. قال: فامسك الناس عنه حتّىٰ نبغت نابغة أو نبغة الشام[١]. وأخرج إبن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عمر بن الخطاب أنّه خطب بالجابية فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، فقال له فتىً بين يديه كلمة بالفارسية، فقال عمر: لمترجم يترجم له ما يقول؟

قال: يزعم إنّ الله لا يضلّ أحداً.

فقال عمر: كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك، وهو أضلّك، وهو يدخلك النار إن شاء الله، ولو لا لوث عقلك لضربت عنقك.

فتفرّق الناس وما يختلفون في القدر والله أعلم[٢].

والحقيقة إنّ الله يضل الفاسقين ولا يضل الناس كما جاء: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[٣]، ﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكافِرِينَ﴾[٤].

واخرج الهروي في ذم الكلام عن الامام الشافعي ﷺ قال: حكمي في أهل

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٣٢/١.

(٢) الدر المنثور ١٥٠/٣.

(٣) البقرة، ٢٦.

(٤) غافر، ٧٤.

الكلام حكم عمر في صبيغ، أن يُضربوا بالجريد ويحملوا على الأبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادي عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنَّة وأقبل علىٰ علم الكلام. ولا أدري بأي مجوّز شرعي يتم اهانة مسلمين يقدمون علىٰ دراسة علم الكلام (العقائد)!

دور أبي بكر وعمر
في
الغزوات الاسلامية

كتابة المغازي

القاريْ والمحقق في موضوع غزوات المسلمين مع الرسول ﷺ، يجد بأنَّ يد التحريف قد لعبت بالأحداث فأضافت مواضيعَ وألفاظاً وحذفت أُخرىٰ. لأمور مذهبية وقبلية ودينية وغيرها. ولكنَّ النابه من الناس ينتبه الىٰ صدق الأحاديث من كذبها. وكان المسلمون في زمن النبي ﷺ قد تعوَّدوا على الصدق والصراحة وطلب المغفرة والتوبة.

وكان عمر معروفاً بالصراحة فلقد صرَّح عمر بفراره وفرار أبي بكر من أرض المعركة: إنِّي رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدَّثنا أنَّ رسول الله قُتِل، فقال: يا أبا بكر يا عمر مالي أراكما جالسين؟! إن كان رسول الله قُتِل فإنَّ الله حيٌّ لا يموت[1].

ولكنَّ معاوية وبأوامره بتحريف السيرة وإيجاد مناقب كاذبة لكبار الصحابة ومحو أهل البيت ﷺ حاول أن يمحو كل حقيقة في السيرة النبوية الشريفة، وان يقضي علىٰ صراحة العرب البدوية. ثمَّ جاء الناشرون في العصر الحديث فسار الكثير منهم علىٰ خطىٰ معاوية بن أبي سفيان. فلقد لاحظنا فرقاً واضحاً بين الطبعات من زيادة ونقصان وتحريف وكأنَّ هؤلاء يريدون أن يكتبوا

---

(١) حياة محمد ﷺ، هيكل ص ٢٤٥. ، لباب الآداب ١٧٩.

السيرة مثلما تهوىٰ نفوسهم.

فمثلما يكتب رواة الأساطير، من وضع اسم بطلهم في سطور المحاربين، وحذف اسمه من سطور المنهزمين أو حذف اسمه ووضع كلمة فلان فقد فعل الرواة ذلك. ومن ضمن الأكاذيب والأراجيف التي نشرها الحزب الأموي، للدفاع عن نهجه، وليس حبّاً بأبي بكر وعمر، ما قاله ابن حزم: فولّى المنهزمون لا يلوي أحدٌ علىٰ أحدٍ فناداهم رسول الله ﷺ فلم يرجعوا، وثبت مع رسول الله ﷺ عشرة فقط من أصحابه وآل بيته وكان أحدَهم عمرُ بن الخطاب[١].

وكأنّ عمر يعرف بما ستخطّه اليد الأموية من تحريف الحقائق، يوم صرّح بفراره مراراً، صراحة بدوية دون خوف من أحد.

معركة بدر

وفي أول معركة عظمى للمسلمين وهي بدر الكبرىٰ لم يرض الرسول ﷺ من قولي أبي بكر وعمر واعرض عنهما وسُرَّ جداً بقول سعد بن مُعاذ والمقداد بن عمرو إذ جاء في الرواية: فتكلم أبو بكر فاعرض ﷺ عنه وتكلم عمر فاعرض عنه.. ثم قال سعد بن معاذ فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه[٢].

وقد ذكر المؤرخون تلك الرواية علىٰ مضض لاعراض رسول الله ﷺ من قولي أبي بكر وعمر فخان بعضهم الامانة بتزوير الحديث فكتبوا فقال أبو بكر واحسن وقال عمر واحسن ! ومحوا اعراض النبي ﷺ عنهما ![٣]

(١) جوامع السيرة لابن حزم ٢٣٨.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٣٩١/٢ ـ ٣٩٥، دلائل النبوة ١٠٦/٣.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٣٩١/٢.

واشترك عموم الصحابة في معركة بدر الكبرىٰ في السنة الثانية في السابع عشر من رمضان وهي أول معركة للمسلمين ضدَّ كفَّار قريش، وكان في الصف المعادي أبو سفيان ومعاوية وابن العاص وخالد، وكانت هذه الحرب مناسبة جيدة لأحتكاك قريش مع المهاجرين والانصار...

وتغيَّب عثمان بن عفان عن حضور هذه المعركة، فذمَّه لاحقاً ابن عوف وعلي بن أبي طالب عليه السلام وطلحة بن عبد الله.

وقد تغيَّب عثمان عن حضور معركة بدر مثلما تغيَّب عن حضور بيعة الرضوان في الحديبية.

وحاول الأمويون اخفاء هذا الأمر وتبريره، فقالوا: إن النبي صلى الله عليه وآله قد أبقىٰ عثمان عند زوجته لمرضها ونحن نعلم بأنَّ عثمان ليس طبيباً!

وقد منع النبي صلى الله عليه وآله عثمان من النزول في قبر رقية عند موتها؟!

ولكن فرار عثمان في المعارك اللاحقة يكشف عن هويته الجهادية، مثلما قال عبدالرحمن بن عوف: مخاطباً عثمان: ابلغه عنّي أنّي لم أغِب عن بدر، ولم أفِرّ يوم عيين (أحد)[1]. وتبعاً لأوامر معاوية في ايجاد مناقب للخلفاء ومنع ذكر علي عليه السلام فقد جاء: ان علياً قال: من أشجع الناس؟ قالوا: انت. قال اشجع الناس أبو بكر، لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وآله عريشاً فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وآله أي من يكون معه لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا ابو بكر شاهراً بالسيف[2]. لقد حاول الراوي التمويه علىٰ كذبه بذكر الرواية علىٰ لسان علي عليه السلام! والا فهزائم أبي بكر في الحروب واضحة ومعروفة عند كتاب السيرة، واعترف ابو بكر بهزيمته في أحد باكياً كما سترىٰ، وان النبي صلى الله عليه وآله اعرض عن قولي

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ١٠٣٣/٣ طبع مكة.

(٢) السيرة الحلبية ١٥٦/٢.

أبي بكر وعمر في معركة بدر[١].

والمسلم الوحيد الذي وصموه بالفرار في معركة بدر هو عثمان بن عفان، وقد وصفه بذلك عبد الرحمن بن عوف[٢].

وجاء في سنن مسلم: «أنّ رسول الله ﷺ شاور حين بَلَغَهُ إقبالُ أبي سفيان، فتكلَّم أبو بكر فأعرض عنه، ثمَّ تكلَّم عمر فأعَرضَ عنه. فقام سعد بن عُبادة فقال: إيّانا تريد؟ يا رسولَ الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أنْ نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى بَرْكِ الغِمادِ لفعلنا. قال: فَندَب رسولُ الله الناسَ فانطلقوا حتَّى نزلوا بدراً...»[٣].

لقد اعرض النبي ﷺ عن قول أبي بكر وعمر لأنهما قالا قولاً منكراً فيه مجد وعزَّة لقريش، فأستنكر النبي ﷺ ذلك[٤].

وذكر الواقدي: «فجميع من يحصىٰ قتله تسعة واربعون رجلاً (في معركة بدر) منهم من قتله أمير المؤمنين علي ﷺ، وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً»[٥] وقالوا قُتِل منهم سبعون وأُسِر سبعون[٦].

ومن الذين قتلهم علي بن أبي طالب ﷺ في بدر كان نوفل بن خويلد من شياطين قريش، وعمير بن عثمان التيمي، وعبد الله بن المنذر المخزومي، والعاص ابن منبه بن الحجاج (مالك سيف ذي الفقار)، وابو العاص بن قيس السهمي[٧].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٦٥٧.

(٣) صحيح مسلم ٣/١٤٠٤، حديث ١٧٧٩، البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٢١.

(٤) مغازي الواقدي ١/٤٨.

(٥) مغازي الواقدي ١/١٥٢.

(٦) دلائل النبوة ٣/١٢٤.

(٧) تاريخ ابن الوردي ١/١١٠.

وحنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد، وعامر بن عبد الله، وعقيل بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث بن كلدة، وزيد بن مليص، وعمير بن عثمان بن تيم، ويزيد بن تميم، وابو قيس بن الوليد، ومسعود بن أبي أميّة، وعبد الله ابن أبي رفاعة، وحاجز بن السائب، واوس بن المعير، ونبيه بن الحجاج[١].

وابو مسافع الأشعري، وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ومعاوية بن عامر[٢]، وعبيدة بن سعيد بن العاص[٣].

والحارث بن زمعة، وعثمان ومالك ابنا عبيد الله، أخوا طلحة بن عبيد الله، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، وعمرو بن مخزوم، ومنبه بن الحجاج السهمي، وعلقمه بن كلدة وهشام بن أبي أميّة بن المغيرة فذلك خمسة وثلاثون رجلاً[٤].

ومع اتّصاف علي ﷺ بالشجاعة والاقدام يتصف بالأخلاق في الحرب إذ كتب السرّي «كان من سيرة علي أن لا يقتل مدبراً ولا يذفف علىٰ جريح ولا يكشف ستراً، ولا يأخذ مالاً»[٥] ومن سيرته أن لا ينظر الىٰ عورة كما فعل مع ابن أبي طلحة وعمرو بن عبد ود العامري وعمرو بن العاص وغيرهم[٦].

معركة أحد

ظاهر الرسول ﷺ يومئذ بين درعين، وأخذ سيفاً فهزه وقال: من يأخذه

---

(١) مغازي الواقدي ١٥٢/١.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٧٤/٢.

(٣) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبي الفداء ١٨٩/١.

(٤) الارشاد، المفيد ٧٢/١.

(٥) تاريخ الطبري ٥٤٥/٣، حوادث سنة ٣٦هـ.

(٦) سيرة ابن هشام ٧٨/٣، الكامل في التاريخ ١٥٢/٢.

بحقه ؟ فقال عمر بن الخطاب : أنا . فأعرض عنه . وقال الزبير : أنا ، فاعرض عنه ، فَوجَدا في انفسهما .

فقام ابو دجانة سماك بن خرشة فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟

قال ﷺ : تضرب به حتىٰ ينثني .

فقال : أنا آخذه بحقّه ، فاعطاه إياه[١] .

وقد ذكر الطبري شرط النبي ﷺ في اعطاء سيفه لكنه حذف اسم عمر حفظاً علىٰ ماء وجهه!

قائلاً: قال الزبير عرض رسول الله ﷺ سيفاً في يده يوم أحد ، فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

قال : فقمت ، فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عنّي ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فقمت فقلت : أنا يا رسول الله فاعرض عنّي ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقام ابو دجانة سماك بن خرشة ، فقال : أنا آخذه بحقه ، وما حقّه ؟ قال ﷺ : حقّه الا تقتل به مسلماً ، وأن لا تَفِرَّ به عن كافر . قال : فدفعه ﷺ إليه[٢] .

وهذا الأمر من معاجز رسول الله ﷺ في امتناعه من اعطاء سيفه لعمر والزبير فقد شارك الزبير في قتل سبعين مؤمناً في ليلة باردة بعد ان نقض اتفاقه مع والي البصرة سهل بن حنيف على الهدنة ![٣]

واختلفت الأحداث في معركة أحد ، اذ دارت الدوائر على المسلمين لعدم ، طاعتهم أوامر الرسول ﷺ ، فانهزموا من أرض المعركة ، مخلّفين النبي ﷺ مع

---

(١) دلائل النبوة ، البيهقي ٢١٣/٣ ، المعارف ، ابن قتيبة ص١٥٩ .

(٢) تاريخ الطبري ١٩٥/٢ ، دلائل النبوة ، البيهقي ٢١٥/٣ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٢١٧/٣ .

بعض المسلمين في وسط عسكر الكفار؟!

وأجمعت الأخبار علىٰ انهزام عمر وأبي بكر وعثمان ومعظم المسلمين من أرض المعركة، وتركهم نبيهم محمد ﷺ يلاقي سيوف قريش الحاقدة عليه وعلى الإسلام في معركة أحد الحادثة في شوال لسبع ليالٍ خلون منه في السنة الثالثة من الهجرة وقد اجمعت قريش على الانتقام لقتلاهم في بدر، فخرجوا بنسائهم.

ذكر أبو القاسم البلخي أنّه لم يبق مع النبي ﷺ يوم أحد إلّا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين: أبو بكر وعلي وطلحة وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص والباقون من الأنصار... وأمّا سائر المنهزمين فقد اجتمعوا على الجبل، وعمر بن الخطاب ﷺ كان من هذا الصف، كما في خبر إبن جرير[١].

وذكر النسفي: ﴿إنّما استزلّهم الشيطانُ ببعضِ ما كسبوا﴾[٢] بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالثبات فيه... وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد إلّا ثلاثة عشر رجلاً منهم: أبو بكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد ابن أبي وقاص والباقون من الأنصار[٣].

وذكر الفخر الرازي: «ومن المنهزمين عمر إلّا أنّه لم يكن في أوائل المنهزمين، ولم يبعد بل ثبت على الجبل الىٰ أن صعد النبي ﷺ: ومنهم أيضاً عثمان انهزم مع رجلين من الأنصار، يقال لهما: سعد، وعقبة، انهزموا حتّىٰ بلغوا موضعاً بعيداً، ثمّ رجعوا بعد ثلاثة أيام»[٤].

وقد اعترف عمر بفراره في يوم أحد، إذ جاءت إمرأة لعمر أيامَ خِلافته، تطلب بُرداً من بُرود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة وردّ

---

(١) تفسير روح المعاني للآلوسي ٩٩/٤.

(٢) آل عمران، ١٥٥.

(٣) أنساب الأشراف عن هامش كتاب المغازي ١٨/١.

(٤) مفاتيح الغيب ٥٢/٩، تفسير الفخر الرازي ٣٩٨/٣، السيرة الحلبية ٢٢٧/٢.

إبنته. فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه فرَّ يوم أحد، ولم يثبت[١] وهذه هي الصراحة البدوية الرائعة.

والشيء الملفت للنظر نزول قرآن في هؤلاء المهزمين: ﴿إنَّ الذينَ تَوَلَّوا مِنكُم يَومَ التَقى الجمعانِ إنَّما استَزَلَّهُمُ الشيطانُ ببعضِ ما كَسَبوا﴾[٢].

وذكر ذلك الزمخشري: «﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ طلب منهم الزلل، ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه: إنَّ الذين إنهزموا يوم أحد، كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطانَ، فأقترفوا ذنوباً فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتَّىٰ تولوا».

وقال السيوطي: قال عمر: لمّا كان يوم أحد هزمونا، ففررت حتَّىٰ صَعِدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنَّني أرْوىٰ[٣].

وقال النيسابوري: قال القفال: الذي تدل عليه الأخبار في الجملة، إنَّ نفراً قليلاً تولوا وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب الىٰ سائر الجوانب، ومن المنهزمين عمر[٤]. وحدَّث ابن أبي سَبْرَة: «كان خالد بن الوليد يُحدِّث وهو بالشام يقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا وانهزموا يوم أُحُد، وما معه أَحدٌ، وإنِّي لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري، فنكبت عنه، وخشيت إن أَغريتُ به من معي أن يَصمُدوا له، فنظرت إليه مُوجهاً الى الشِّعب»[٥].

وحدَّث موسىٰ بن يعقوب عن عمَّته عن أُمِّها عن المقداد: «وثبت رسول

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٢/١٥.

(٢) آل عمران: ١٥٥.

(٣) حياة الصحابة ٤٩٧/٣، كنز العمال ٢٤٢/٢، دلائل الصدق ٣٥٨/٢، تفسير ابن كثير ج ١.

(٤) تفسير غرائب القرآن ١١٢/٤ـ١١٣، بهامش تفسير الطبري.

(٥) مغازي الواقدي ٢٣٧/٢. حياة محمد ﷺ، هيكل ص ٢٥٤

الله ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه أربعة عشر رجلاً، سبعةٌ من المهاجرين وسبعةٌ من الانصار: أبو بكر وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام، ومن الأنصار: الحبَّاب بن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصِّمَّة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ ويقال ثبت سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة فيجعلونهما مكان أُسيد بن حضير وسعد بن معاذ»[١].

وجاء في تفسير ابن كثير: افرد النبي ﷺ في تسعة سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم[٢].

وقال الطبري: «لمَّا قَتَلَ علي بن أبي طالب أصحابَ الألوية، أبصر رسولُ الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لِعلي احمل عليهم، فحمل عليهم ففرَّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، قال: ثمَّ أبصر رسولُ الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي احمل عليهم، فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل يا رسول الله إنّ هذه المواساة، فقال رسول الله ﷺ إنَّه منِّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي[٣]

وقد حذف ابن كثير اسم جبريل واسم علي عليه السلام من الرواية! حسداً لوصي المصطفى؟[٤]

---

(١) مغازي الواقدي ٢٤٠/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٦٤٨/١.

(٣) تاريخ الطبري ١٩٧/٢، الكامل في التاريخ لابن الاثير ١٥٤/٢.

(٤) البداية والنهاية ٥٤/٤.

وعن أنس بن مالك: إنتهىٰ أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك الىٰ عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟ قالوا قُتِل محمد رسول الله.

قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه رسول الله، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّىٰ قُتِل وبه سمّي أنس بن مالك.

وجاء: «إن أنس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لمّا سمعوا أنّ النبي قُتِل: ليت لنا مَنْ يأتي عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا.

فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتِل فإنّ ربَّ محمد لم يقتل، فقاتلوا علىٰ ما قاتل عليه محمد. اللهم إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتىٰ قتل[1].

وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره الى الأعوص فأقاموا به ثلاثاً ثمّ أتوا النبي ﷺ فقال لهم ﷺ حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة[2]. وقال ابن كثير: وفرّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتىٰ بلغوا الجَلَعْب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا ثلاثاً، ثم رجعوا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة.

وقد ذكر ابن كثير (وباقي المؤرخين واصحاب السنن ومنهم البخاري) فرار عثمان بن عفان يوم بدر، واحد، وتغيبه عن بيعة الرضوان، لكنه عذره باعذار

---

(١) تاريخ الطبري ١٩٧/٢، الكامل في التاريخ ١٥٦/٣، تاريخ الطبري ٢٠١/٢، مغازي الواقدي ٢٨٠/١، تفسير ابن كثير ٦٤٩/١، السيرة النبوية، ابن كثير ٦٨/٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ١٥٨/٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٣٢/٤، تاريخ الطبري ٢٠٣/٢.

شتى[١]. إنَّ فرار عثمان البيّن في معركة أحد وحنين، وتخوفه من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق، وعدم مشاركته في حروب الردة، والفتح في زمن أبي بكر وعمر وأيام خلافته يثبت فراره في بدر.

والنتيجة عدم مشاركة عثمان في الحروب الإسلامية قبل وفاة النبي ﷺ وبعدها. وفي معركة أحد خالف عثمان النبي، مرَّة بفراره من أرض المعركة، ومرَّة باخفائه أحد جنود قريش في بيته، وهو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص (ابن عمه)، وقد أخبر الله سبحانه نبيه بوجود معاوية بن المغيرة في المدينة فاصدر أوامره بجلبه وقتله، ولما جاءوا به ادّعىٰ عثمان انه جاء لطلب الأمان له! فاعطاه الرسول ﷺ اماناً ثلاثة ايام، لكنه لم يخرج وبقي ثلاثاً يستعلم أخبار الرسول ﷺ ليأتي بها قريشاً. ولما عاد الرسول ﷺ في اليوم الرابع فرَّ معاوية، فادركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه حتىٰ قتلاه[٢].

أي ان عثمان اخفىٰ ابن عمه الكافر المحارب الىٰ ان جاء خبر ذلك من الله تعالىٰ، وفرَّ هو في معركة أحد!

والمجموعة التي استعدت لطلب الأمان من أبي سفيان، هي مجموعة عمر وأبي بكر الفارين فوق الجبل، وقد ذكر الذهبي هذه الحادثة قائلاً: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً وقال ان رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش[٣].

والرجلان هما علي بن أبي طالب وابو دجانة[٤].

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير ٥٥/٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٣١/٤، ٣٢، وصحيح البخاري، كتاب المغازي في التاريخ ١٥٨/٢، كتاب المغازي ٢١ باب ح٤٠٦٨.

(٢) السيرة الحلبية ٢٦٠/٢. النزاع والتخاصم ص٢٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي المغازي ص١٩١، دلائل النبوة، البيهقي ٢٣٤/٣، صحيح مسلم ١٧٨/٥.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٩٣/١٣، وآخر العثمانية ص٢٣٩.

وقال الدكتور مارسدن جونس في مقدمة كتاب المغازي للواقدي: في المخطوطة التي اتّخذناها أصلاً لهذه النشرة نرىٰ قائمة بمن فرَّ من النبي يوم أحد تبدأ بهذه الكلمات: « وكان ممَّن ولّىٰ فلان والحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وسواد بن غزية وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان وخارجة بن عامر وأوس بن قيظي في نفر من بني حارثة، وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه عمر وعثمان بدل فلان.

وذكر البلاذري عن الواقدي أسم عثمان، ولم يذكر عمر[1] ويظهر بوضوح أن النص في المخطوطة الأم، كان يذكر عثمان وعمر، أو عمر وحده، أو عثمان وحده، ممَّن ولوا الأدبار يوم أحد.

ولكنّ الناسخ لم يقبل هذا في حقّ عمر أو عثمان، فابدل اسميهما أو اسم أحدهما بقوله: فلان »[2].

وهذا من أدلّة عمل النساخ في تغيير السيرة النبوية وفق اهوائهم.

وبعد أن ذكرت النصوص السابقة فرار سعد بن أبي وقاص ذكر الحاكم عن سعد: « لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة تنحيت، فقلت: أذود عن نفسي، فإمّا ان استشهد وإمّا ان انجو.. إلىٰ أن قال: فقال رسول الله ﷺ: اين كنت اليوم يا سعد؟ فقلت: حيث رأيت »[3].

وكان المثنىٰ بن حارثة الشيباني شجاعاً وبعدما استشهد تزوج سعد بن أبي وقاص زوجته (سلمىٰ بنت جعفر) فوجدت سلمىٰ تراجعاً وجبناً من سعد في القادسية فقالت: وا مُثَنَّياه، ولا مُثَنَّى للمسلمين اليوم! فلطمها سعد.

---

(١) أنساب الأشراف ٣٢٦/١.

(٢) مغازي الواقدي، ج ١، مقدمة مارسدن جونس ص١٨.

(٣) مستدرك الحاكم ٢٦/٣.

فقالت: أغَيْرَةً وجُبْناً ؟! فذهبت مثلاً[١].

وذكر محمد حسنين هيكل في كتابه ان أبا بكر وعمر كانا ممّن فرَّ في معركة أحد. وممّا يؤيد فرار أبي بكر وعمر في معركة أحد ما جاء في شرح النهج حيث قال: حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه، في داره بدرب الوداب ببغداد، في سنة ثمان وستمائة، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدَّثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رياح عن أبي سفيان مولى ابن أبي احمد، قال: سمعت محمد بن سلمة يقول: سمعت أذناي ورأت عيناي رسول الله يقول يوم أحد، وقد انكشف عنه الناس الى الجبل، وهو يدعوهم ولا يلوون عليه سمعته يقول:

إليّ يا فلان إليَّ يا فلان أنا رسول الله فما عرج عليه أحد منهما، ومضيا مع من مضىٰ عنه؟ فقال هذه كناية عنهما فأشار ابن معد إليَّ أي إسمع، فقلت وما في هذه فقلت له ويجوز أن لا يكون عنهما لعلّه عن غيرهما.

فقال: ليس في الصحابة من يحتشم ويستحيا من ذكره بإسمه بالفرار، وما شابهه من العيب، فيضطر القائل الى الكناية إلّا هما (أي أبو بكر وعمر).

قلت: هذا وهم.

فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثمَّ حلف بالله ان الواقدي ما عنىٰ غيرهما، ولو كان غيرهما لذكره صريحاً، وبان في وجهه التنكّر من مخالفتي له[٢].

وقال الأستاذ محمد حسنين هيكل: وكان أكبر همّ كل مسلم أن ينجو بنفسه إلّا من عصم الله أمثال علي بن أبي طالب[٣].

---

(١) أسد الغابة ٥/ ٦٠.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣/ ٣٩٠ طبع مصر دار الكتب العربية الكبرىٰ.

(٣) حياة محمد، محمد حسنين هيكل ص ٢٤٤.

ولمّا خسر المسلمون في أحد، نادىٰ أحد اليهود على الأطم الذي فيه النساء: اليوم بطل السحر.

ثمّ ارتقىٰ يصعد، فقالت صفية بنت عبد المطلب يا حسّان انزل إليه، فقال: رحمكِ اللهُ يا بنت عبد المطلب، لو كنتُ ممّن ينازل الأبطال، خرجت مع رسول الله أُقاتل، فأخذت صفيَّة السيف وقيل أخذت هراوة فضربت اليهودي حتّىٰ قتلته[١].

ولم يفرّ رسول الله ﷺ من القتال وما ادّعاه البعض فهو للتمويه على فرار الآخرين فقد نزل قرآنٌ في الفارين. وكيف يفر وقد انزل الله في الفارين ما أُنزل.

وثانياً قال الواقدي: وصل رسول الله ﷺ الى الشعب مع أصحابه فلم يكن هناك قتال[٢].

ولم يصعد المسلمون الىٰ قمّة الجبل، بل بقوا في سفحه. فقد قال الواقدي: إنَّ المسلمين لم يصعدوا الجبل وكانوا في سفحه، ولم يجاوزوه الىٰ غيره وكان فيه النبي ﷺ[٣].

وقد قال الاسكافي عن أبي بكر انه: لم يرم بسهم قط ولا سل سيفاً ولا أراق دماً، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ولا طالب ولا مطلوب.

وردَّ الاسكافي على الجاحظ بقوله: «أما ثباته (أبو بكر) يوم أحد، فاكثر المؤرخين وارباب السير ينكرونه»[٤].

ومن أدلة فرار أبي بكر يوم أحد ما أعترف به هو نفسه، إذ ورد عن عائشة:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩.

(٢) مغازي الواقدي ١/٢٨١.

(٣) مغازي الواقدي ٢/٢٧٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٣/٢٩٣، وآخر العثمانية ص٣٣٩.

«كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد بكى ثمّ قال: ذاك كان يوم طلحة... ثم أنشأ يحدّث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، يكون رجلاً من قومي[1]. وسوف يظهر قريباً بأنّ طلحة التيمي قد فرّ ايضاً مع أبي بكر وعمر!! وفي هذا النص اعترف ابو بكر بفراره، قائلاً: فاتني أي الاشتراك في الحرب، وبكى من هروبه ذاك.

قال الأمير أسامه بن منقذ: « لمّا دوّن عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بني تيم يستقرض لهم. وجاء انصاري بغلام مصفّر سقيم، فسأل عنه عمر، فأخبر أنّه البراء بن أنس بن النضر، ففرض له في أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة في ست مئة، فاعترض طلحة.

فأجابه عمر: إنّي رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وانا وأبو بكر قد تحدّثنا: أنّ رسول الله قُتِل، فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قتِل فإنّ الله حيٌّ لا يموت[2]! وهكذا أبطل عمر قول أبي بكر بثبات طلحة التيمي في معركة أحد واثبت بانه كان مع أبي بكر الفار فوق الجبل، يتحدث بأنّ محمداً ﷺ قد مات.

وقد فكرت تلك المجموعة الهاربة التي فيها أبو بكر بطلب الشفاعة من أبي سفيان عبر أبي بن أبي سلول زعيم المنافقين! وذكر ابن كثير في تفسيره فرار أبي بكر إذ قالت عائشة: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد، قال: ذاك يوم كله لطلحة ثم انشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع

---

(١) طبقات ابن سعد ١٥٥/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٥٨/٣، كنز العمال ٢٦٨/١٠، تاريخ الخميس ٤٣١/١، حياة الصحابة ٢٧٢/١، دلائل الصدق ٣٥٩، البداية والنهاية ٣٣/٤، تاريخ الإسلام، الذهبي، كتاب المغازي ص١٩١، تفسير ابن كثير ٦٥٤/١، المستدرك، الحاكم ٢٧/٣.

(٢) لباب الآداب ١٧٩، حياة محمد ﷺ لهيكل ٢٦٥، تاريخ الطبري ١٩٩/٢.

رسول الله دونه، واراه قال حمية، فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي احب اليَّ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وانا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفاً لا أعرفه، فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح[١]. وجاء عن أنس بن مالك عن مجموعة الفارين فوق الجبل: انه انتهى إلىٰ عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد القوا بايديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل محمد رسول الله[٢] فيثبت فرار طلحة.

ولمَّا فرّ الأصحاب، بقيت أُمُّ عمارة نسيبة بنت كعب تدافع عن الرسول ﷺ، فجرحها ابن قميئة في عاتقها.

وروي أنَّ النبي ﷺ نظر في أحد الىٰ رجل من المهاجرين يفرُّ قد ألقىٰ ترسه خلف ظهره فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك وفرّ الى النار. فرمىٰ ترسه، فقال ﷺ: لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان. وأراد ولدها عمارة الفرار فردَّته، وأخذت سيفه فقتلت به رجلاً. فقال ﷺ: بارك الله عليكِ يا نسيبة، وكانت تقي النبي ﷺ بيديها وصدرها وثدييها[٣].

ومن خلال الروايات السابقة نفهم بأنَّ كلمتي فلاناً وفلاناً تعني أبا بكر وعمر. لانهم لا يتحرَّجون من ذكر اسماء الصحابة في الفارين، مثلما يتحرجون من ذكر اسمي أبي بكر وعمر.

وذكروا عن النبي ﷺ: «ثمَّ أقبل ﷺ علىٰ عمر فقال: أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون علىٰ أحد، وأنا ادعوكم في أخراكم»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦٥٤/١. رواية السدي في تفسير القرطبي ٤٢٢/١.

(٢) الكامل في التاريخ ١٥٦/٢، دلائل النبوة، البيهقي ٢٤٥/٣، سيرة ابن هشام ٢٦/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٢٦٦/٤، ٢٦٩، قاموس الرجال ٣٨/١١ عن تفسير القمي، البحار ١٣٤/٢٠.

(٤) مغازي الواقدي ٦٠٩/٢.

ولقد أنزل الله سبحانه في معركة أحد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]. وعندما سأل الرسول ﷺ عن الفارين من أرض المعركة؟ قال: «كفر عامّتهم»[2].

وجاء بسند صحيح عن ابن عباس في قوله ﴿وشاورهم في الأمر﴾ أبو بكر وعمر[3]. وقال الرازي: وعندي فيه إشكال، لأنَّ الذين أمر الله ورسوله بمشاورتهم، هم الذين أمره بالعفو عنهم، ويستغفر لهم، وهم المنهزمون، فهب أنَّ عمر كان من المنهزمين فدخل تحت الآية، إلّا أنَّ أبا بكر ما كان منهم فكيف يدخل تحت هذه الآية[4]. لكن المصادر اثبتت فرار أبي بكر مع عمر إلى فوق الجبل فقد جاء: لما نادى كعب بن مالك يبشر الناس بحياة الرسول ﷺ نهضوا اليه (اي الفارون فوق الجبل) فيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد والحارث بن الصمة[5].

وسأل زيد بن وهب ابن مسعود:

وأين كان أبو بكر وعمر؟

قال: كانا ممّن تنحى[6].

وقد تيقن الأمويون بعدم جدوى أفعالهم فأخترعو رواية مفادها انه ﷺ

---

(١) آل عمران: ١٥٥.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢٨٣/٣.

(٣) مستدرك الحاكم ٧٠/٣، تلخيصه للذهبي والبيهقي في سننه وابن الكلبي والدر المنثور ٩٠/٢، وتفسير الرازي ودلائل الصدق ٣٥٩/٢.

(٤) تفسير الرازي ٦٧/٩.

(٥) الثقات لابن حبان ٢٢٩/١، وقد ادخل الراوي علياً ؏ لحشره مع الفارين كذباً على الله ورسوله.

(٦) الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٠.

قال لابي بكر: شِمْ (اغمد) سيفك وأمتعنا بك![1] وهذه الرواية مخالفة لسيرة المصطفىٰ في قيادة الجيوش ودخول الحروب بنفسه مع ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب عليه السلام، دون خوف من موت، طبقاً لأقواله تعالىٰ في الحث على الجهاد، ونبذ الفرار والجبن. وقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحُد قتالاً شديداً، فرمىٰ بالنبل حتىٰ فني نبله، وانكسرت سِيَة قوسه وانقطع وتره[2].

وروىٰ مسلم في صحيحه: «أنَّ رسول الله قد أفرد في أحد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش»[3] وهذا دليل قوي علىٰ فرار أبي بكر وعمر.

وعن كليب قال: خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر آل عمران ويقول: إنَّها أحدية ثمَّ قال: تفرَّقنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد، فسمعت يهودياً يقول: قُتِل محمد فقلت: لا أسمع أحداً يقول: قُتِل محمد إلَّا ضربت عنقه.

فنظرت فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله والناس يتراجعون اليه، فنزلت: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾[4].

أي ان عمر سمع ذلك اليهودي خارج أرض المعركة!

وقد حسد الأمويون علياً عليه السلام لما ابلاه في معركة أحد، وقول جبريل له:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي[5]

وقتله أصحاب الوية المشركين، فدسوا رواية في السيرة جاء فيها: لما انتهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ اهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية،

---

(١) الكامل في التاريخ ١٥٦/٢.

(٢) المصدر السابق ١٥٧/٢.

(٣) صحيح مسلم ١٧٨/٥، في أول غزوة أحد، وتاريخ الخميس ٣٤٦/١، ودلائل الصدق ٣٥٩/٢.

(٤) كنز العمال ٢٣٨/١، دلائل الصدق ٣٥٨/٢، الدر المنثور ٨٠/٢، حياة الصحابة ٤٩٧/٣، آل عمران: ١٤٤.

(٥) تاريخ الطبري ١٩٧/٢، سيرة ابن هشام ١٠٦/٣.

فوالله لقد صدقني اليوم، وناولها علي بن أبي طالب سيفه، فقال وهذا أيضاً، فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت صدقت القتال، لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة[١].

والملاحظ ان هذه الرواية الأموية المزيفة فيها اساءة للنبي ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة، لانه ليس من طبع النبي ﷺ الجدال الخاوي واهانة المؤمنين، فكيف باهانة بطل المسلمين، الذي ثبت يوم أحد مع النبي ﷺ وفرَّ عنه المهاجرون والأنصار، وأما حليلته فاطمة عليها السلام أم الحسن والحسين! بينما كبَّر النبي ﷺ في أرض المعركة بعد قتل علي عليه السلام طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين[٢].

وكيف تقارن بطولة سهل بن حنيف وأبي دجانة مع بطولة علي بن أبي طالب عليه السلام وصي المصطفى!

وفي الرواة عكرمة الخارجي!! الذي اعمى الله بصره فلم يسمع قوله ﷺ لعلي في معركة أحد: إنَّه منِّي وأنا منه[٣].

وكان ذو الفقار سيف العاصي بن منبه بن الحجاج، فلما قُتِل كافراً بيد علي عليه السلام يوم بدر صار سيفه إلى علي عليه السلام[٤].

وقال ابن الأثير بل صار للنبي ﷺ فوهبه لعلي عليه السلام[٥].

وقالت المعتزلة: ذلك الذنب (الفرار) إن كان من الصغائر جاز العفو عنه من غير توبة، وإن كان من الكبائر لم يجز إلّا مع التوبة[٦].

---

(١) سيرة ابن هشام ١٠٦/٣، البداية والنهاية ٥٤/٤، السيرة النبوية، ابن كثير ٩٤/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١٩٤/٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٥٤/٢.

(٤) مغازي الواقدي ١٥٢/١.

(٥) الكامل في التاريخ ١٣٧/٢.

(٦) تفسير الفخر الرازي ٣٩٩/٣.

وقد نزلت في أحد قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١].

والذين قتلوا بسيف علي عليه السلام في معركة أحد هم: طلحة بن أبي طلحة (حامل اللواء)، وارطأة بن شرحبيل (حامل اللواء)، وابو الحكم بن الأخنس، وأمية بن أبي حذيفة[٢]، وعمرو بن عبد الله الجمحي وشيبة بن مالك[٣] ومسافع ابن طلحة بن أبي طلحة. وأصحاب اللواء الذين قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام كما ذكره الطبري وابن الأثير.

هم: طلحة بن أبي طلحة وأخوه عثمان بن أبي طلحة وأخوهما أبو سعد ثم مسافع ثم كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ثم أخوه الجلاس ثم ارطأة بن شرحبيل وصواب وشريح بن قانط ثم بقي اللواء مطروحاً على الأرض وانهزمت قريش، لكن عمرة بنت علقمة الحارثية رفعت اللواء فتراجعت فلول قريش. فقال حسان:

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن البخس

وكان أصحاب اللواء بلغوا أحد عشر رجلاً[٤].

معركة الخندق

عندما اجتمعت الأحزاب لحرب المسلمين في معركة الخندق كانت الكفار تتوقع نصراً أسهل واقوىٰ وأشد من انتصارهم في معركة احد.

---

(١) آل عمران: ١٥٥.

(٢) مغازي الواقدي ٣٠٧/١.

(٣) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

(٤) تاريخ الخميس ٤٢٧/١.

وجاءت قريش في هذه المرّة ببطل العرب عمرو بن عبد ود العامري، المعادل لالف فارس في حساباتهم . . ؟! وكان لوجود هذا البطل المغوار في صفوف قريش الأثر القوي في زيادة معنويات الكفار وضعف معنويات بعض المسلمين. وشاءت الصدف أن يتمكّن فوارس من قريش منهم عمرو عبد ودّ العامري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب ونوفل بن عبد الله المخزومي. من عبور الخندق، وهنا ازداد الرعب في نفوس المسلمين . . .

وبسبب الشهرة المطبقة للآفاق لهذا الفارس المغوار. فقد جبن المسلمون عن منازلته القتال حين طلب ذلك، وكان أبو بكر وعثمان وعمر بن الخطاب من جملة الخائفين والممتنعين من البراز إليه، إذ ذكر البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن اسحاق قال: خرج عمرو بن عبد ودّ، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟ فقام عليّ بن أبي طالب فقال: أنا لها يا نبي الله. فقال: إنّه عمرو، اجلس. ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: اين جنّتكم التي تزعمون أنّه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: اجلس، ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بُححتُ من النداء	بجمعكم هلْ من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشيَّعُ	موقفَ القِرنِ المناجز
ولذاك إني لم أزلْ	متسرّعاً قَبْلَ الهَزائز
إنَّ الشجاعةَ في الفتىٰ	والجودُ من خَيرِ الغرائز

قال فقام عليّ عليه السلام فقال: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال وإن كان عمراً. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله فمشى إليه، حتىٰ أتىٰ وهو يقول:

لا تَعْجَلنَّ فقدْ أتاك	مجيبُ صوتِك غيرُ عاجِز
في نيَّةٍ وبصيرةٍ	والصدقُ مَنجَى كل فائز

إني لارجـــو أن أقـــيمَ عــليكَ نـائحةَ الجـنائز

مـــن ضربــةٍ نجــلاءَ يبقىٰ ذكرها عـندَ الهـزائـز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي ابن أبي طالب . فقال يا ابن اخي من اعمامك من هو اسن منك فإنّي اكره ان اهريق دمك ؟ فقال له علي : لكنّي والله لا اكره ان اهريق دمك ، فغضب وسل سيفه كأنّه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله عليٌّ بدرقته ، فضربه عمرو في درقته فقدّها ، واثبت فيها السيف ، واصاب رأسه فشجه ، وضربه عليٌّ علىٰ حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج وسمع رسولُ الله ﷺ التكبير ، فعرفنا أنَّ علياً قد قتله . وعرضت قريش شراء جيفة عمرو بن عبد ودّ بعشرة آلاف فقال ﷺ : لا نأكل ثمن الموتىٰ !

فكان علي بن أبي طالب ؑ قد سدَّ الثغرة التي عبر منها أبطال قريش ، وقتل عمرواً وابنه حسل ، ونوفل بن عبد الله المخزومي) ، ولولا ذلك لعبر جيش الأحزاب (الكفار واليهود) الىٰ قلب المدينة . وكان علي ؑ قد قال عند عبور فوارس قريش الخندق :

أعــليٌّ تـقتحم الفـوارس هكـذا عـنّي وعـنهم أخّـروا أصحابي[1]

ذكر الواقدي وقد خاف عمرو منازلة علي ؑ فقال :كان أبوك لي نديماً ، فأرجع فانت غلام حدث[2].

وبلغ ذله وخزيه حداً ان كشف سوأته في أرض المعركة أمام الكفار والمسلمين واليهود ، خوفاً من سيف علي بن أبي طالب ناسياً انه بطل العرب ![3]

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ١٢٢/٤ ، دلائل النبوة ٤٢٢/٣ ، سيرة ابن هشام ٢٦٥/٣ ، طبقات ابن سعد ٦٨/٢ .

(٢) مغازي الواقدي ٤٧١/١ . المنتظم ٢٣٤/٣ .

(٣) البداية والنهاية ١٢٢/٤ ، دلائل النبوة ، البيهقي ٤٣٨/٣ ، ٤٣٩ ، السيرة النبوية ، ابن كثير ٢٠٣/٣ ، ٢٠٤ .

وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب (الفهري) وهبيرة بن أبي وهب علىٰ علي كرَّم الله وجهه ، فاقبل علي عليهما ، فأما ضرار فولىٰ هارباً ولم يثبت ، وأمّا هبيرة فثبت ثم ألقىٰ درعه وهرب ، وكان فارس قريش وشاعرها ، وذكر ان ضرار ابن الخطاب لما هرب تبعه عمر بن الخطاب ، وصار يشتد في اثره ، فكرَّ ضرار راجعاً ، وحمل علىٰ عمر ﷺ بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال : يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك ، ويدٌ لي عندك غير مجزىٰ بها فاحفظها ، ووقع له مثل هذا مع عمر في أحد ، فانه التقىٰ معه فضرب عمرَ ﷺ بالقناة ، ثم رفعها عنه ، وقال له : ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب[1] .

وروي ان علياً لما قتل عمرواً لم يسلبه فجاءت أخت عمرو حتىٰ قامت عليه ، فلما رأته غير مسلوب سلبه ، قالت : ما قتله إلّا كفوْ كريم ، ثم سألت عن قاتله . قالوا علي بن أبي طالب ، فأنشأت هذين البيتين :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخِرَ الأبدِ
لكنّ قاتِلَه من لا يعاب به ... من كان يدعىٰ قديماً بيضة البلد[2]

ولمّا أعلن الإمام علي ﷺ عن استعداده للبراز اليه تعجَّب عمر ، وذكر بطولة من بطولات عمرو في الجاهلية في قتله بمجموعة من قطّاع الطرق لوحده !

وعلىٰ مدىٰ ثلاث مرّات أعلن الإمام علي ﷺ عن استعداده للمنازلة بينما جبن المسلمون عن منازلة عمرو . . . ؟ !

وبعد براز علي ﷺ لعمرو وقتله ، قال الرسول ﷺ : قتل علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين[3] .

---

(١) السيرة الحلبية ، الحلبي الشافعي ٢/٣٢١ .

(٢) تاريخ الخميس ، الديار بكري ١/٤٨٨ .

(٣) السيرة الحلبية ٢/٣٢٠ .

ولقد تخوّف عمر وأبو بكر وعثمان وغيرهم من منازلة أبطال المشركين عثمان ابن طلحة في أحد وعمرو بن عبد ود في الخندق ومرحب اليهودي في خيبر.

معركة خيبر

وفي معركة خيبر اختلفت الأحداث عن حرب بدر، اذ واجـه المسـلمون حصوناً منيعة، وكثرة محاربين ملحوظة. اذ ذكرت الروايات وجود غشرة آلاف مقاتل يهودي في خيبر؟

وكانت هذه الحصون والأعداد العسكرية الهائلة يسندها المـال والسـلاح والشهرة القتالية والمكر اليهودي. وبسبب ذلك فقد فرَّ جيشا المسلمين في الحملتين الأولىٰ والثانية علىٰ خيبر، والقائدان المهزومان هما أبو بكر وعمر.

فلم تقتصر هزيمة عمر علىٰ فراره في أحد، وذعره من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في الخندق، بل فرَّ أمام اليهود في خيبر.

فقد أخرج علي بن أبي بكر الهيثمي عن ابن عباس أنَّه قال: بعث رسول الله الىٰ خيبر أحسبه قال: أبا بكر فرجع منهزماً ومن معه. فلمّا كان الغد بـعث عـمر فرجع منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه[1].

فقال النبي ﷺ: لاعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّه الله ورسولُه. يفتح الله عـلىٰ يديه، ليس بفرار، فلمّا أصبح أرسل الىٰ عـلي بـن أبي طـالب عليه السلام، وهـو أرمـد فقال عليه السلام: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً. فقال ﷺ: افتح عينيك، ففتحهما، فتفل فيهما. قال علي عليه السلام: فما رمدت حتى الساعة. ثمَّ دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه مـن أصحابه بالنصر. فكان أول من خرج اليهم الحارث أخـو مـرحب في عـاديته،

---

(١) مجمع الزوائد ١٢٤/٩، تلخيص المستدرك ٣٧/٣، مسـتدرك الحـاكـم ٣٧/٣، صـحيح البـخاري ٤٦٥/٤ ح١١٥٥ ط. دار القلم. حياة محمد ﷺ. هيكل ص٣١٢.

فانكشف المسلمون وثبت علي ﷺ ، فاضطربا فقتله علي ﷺ ، ورجع أصحاب الحارث الى الحصن فدخلوه وأغلقوا عليهم وخرج مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنّي مرحبٌ شاكي السلاح بطل مجرَّبُ

أطعنُ أحياناً وحينا أضربُ

فقال عليٌّ ﷺ :

أنا الذي سمّتني أمّي حيدرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليثٌ بغابات شديدٌ قسوره

فأختلفا ضربتين فبدره عليٌّ ﷺ فضربه ، فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه ، حتّى وقع في الاضراس ، وأخذ المدينة وقد قتل علي ﷺ الأخوة الثلاثة مرحباً والحارث وياسر الذين طلبوا المبارزة على التوالي[1] .

وكان للجو النفسي الذي وضعه اليهود حول قوة جيشهم في خيبر وما عرف به مرحب وأخويه من شجاعة الأثر القوي في فرار أبي بكر وعمر . . .

ذكر بريدة بن الحصيب : « لمّا كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له . فلمّا كان الغد أخذه عمر ، فرجع ولم يفتح له ، وقُتِل محمود بن مسلمة فرجع الناس .

فقال رسول الله ﷺ : لأدفعن لوائي غداً الىٰ رجل يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه اللهُ ورسولهُ ، لن يرجع حتّىٰ يُفتح له .... فدعا علي بن أبي طالب ، وهو يشتكي عينه ، قال : فمسحها ثمَّ دفع اليه اللواء .

وقال بريدة : إنّه كان صاحب مرحب[2] .

(١) مغازي الواقدي ٢/٦٥٤، سيرة ابن هشام ٣/٣٤٩، تاريخ الطبري ٢/٣٠٠، السيرة الحلبية ٣/٣٧، ٣٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/١٨٠ ، صحيح البخاري ص٦٤ ، كتاب المغازي باب غزوة ←

وقال الحلبي: كانت حصون اليهود: النطاة والشق والصعب والقموص والوطيح والسلالم، والحصون الأربعة الأولىٰ فتحت عنوة والخامس والسادس فتحا صلحاً.

وذكر الذهبي رواية البكائي عن ابن اسحاق، ورواية جابر بن عبد الله الأنصاري: أن علياً حمل باب خيبر، حتىٰ صعد المسلمون عليه، فافتتحوها، وانه خرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً[1]، وقيل حمل الباب علىٰ ظهره حتىٰ صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن. وحصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطاة علىٰ يد علي كرّم الله وجهه، وأخذ الرجل الذي قتل أخا محمد بن مسلمة فسلمه إليه فقتله. ثم فتح علي كرّم الله وجهه حصن القموص، وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة، ومنه سبيت صفية، ولقد تزوج ﷺ بصفية في الصهباء المكان الذي ردت فيه الشمس لعلي بعدما غربت[2].

وفي رواية حذف الناشر اسمي المنهزمين من معركة خيبر أبا بكر وعمر، ووضع بدلهما فلاناً ورجلاً إذ جاء: أن رسول الله ﷺ أخذ الراية، فهزّها، ثم قال: من يأخذها بحقّها؟ فجاء فلان فقال: أنا، فقال امض، ثم جاء رجل آخر، فقال: امض ثم قال النبي ﷺ: والذي كرّم وجه محمد لاعطينّها رجلاً لا يفر، فقال: هاك يا علي، فانطلق حتىٰ فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها[3].

فالناشر لم يرض بذكر اسمي أبي بكر وعمر كمنهزمين في معركة خيبر فقال

خيبر، ومسلم في ٤٤ باب فضائل الصحابة، دلائل النبوة، البيهقي ٢٠٤/٤، المستدرك، الحاكم ٣٧/٣، طبقات ابن سعد ١١٢/٢، تاريخ الذهبي، المغازي ص٤٠٩، ٤١٠.

(١) تاريخ الذهبي، المغازي ص٤١٢.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣٩/٣، ٤٠، ٤١، ٤٤.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٢/٤، مسند أحمد بن حنبل.

جاء فلان وجاء رجل ليثبت قدرته على تغيير الحقائق والروايات مثلما يحب ويهوى! وذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق: بعث النبيُ أبا بكر ﷺ الى بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع، ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر ﷺ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، فقال رسول الله ﷺ لاعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح اللهُ على يديه وليس بفرّار..[1]

وفي هذه الرواية ذكر الراوي إسمي الفارّين ولكن أضاف من عنده لكل واحد منهما: فقاتل ثم رجع. لتستقيم الرواية وهواه!

وهذه من أدلّة عمل الرواة والناشرين في تحريف السنة والسيرة النبوية!

ولم يحاول هؤلاء حذف أسماء الفارين من قيادات الحزب القرشي فقط، بل حاولوا سلب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ لصالح هؤلاء! خيانة لله ورسوله لتنطبق عليهم صفة المنافقين.

إذ قال ابن عرفة: إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، إفتعلت في أيام بني أميَّة، تقرُّباً إليهم، بما يظنُّون أنَّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم[2]. ومن هذا التحريف: روى الزهري الأموي[3] أنَّ الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة حسداً لعلي ﷺ.

وهكذا رواه الواقدي: أنَّ محمداً قطع رجلي مرحب فقال له اجهز عليَّ، فقال أذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة، فمرَّ به علي وقطع رأسه، فاختصما في سلبه الى رسول الله ﷺ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته[4]. فلم يكتف الأمويون وانصارهم بسلب منقبة من مناقب علي

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٢/٤.

(٢) فجر الإسلام، احمد أمين ص٢١٣.

(٣) قضى هشام بن عبد الملك عن الزهري سبعة آلاف دينار. تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص١٨٧.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٥/٤.

ابن أبي طالب ﷺ، بل حولوها الىٰ مذمّة له بتصويره رجلاً يطالب بسلب قتيل غيره! فيحكم النبي ﷺ لغير صالحه! والحق ان علياً ﷺ سلّم قاتل محمود بن مسلمة الىٰ أخيه محمد فقتله بأخيه[١].

بينما كانت عادة علي ﷺ ان لا يسلب قتيله سَلَبه[٢] مثلما فعل مع عمرو وتحدّثنا السيرة، بأنّ رسول الله ﷺ (عميد أهل البيت ﷺ) رفض استلام اثني عشر الف درهم ثمناً لجثة نوفل بن عبد الله المخزومي، الذي قتله علي بن أبي طالب ﷺ في معركة الخندق، قائلاً: لا خير في جسده ولا في ثمنه[٣].

ولما قتل علي بن أبي طالب ﷺ عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق قال له عمر بن الخطاب: هلاّ استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ قال ﷺ: ضربته فاتقاني بسوءته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه[٤].

وجاء بان النبي ﷺ رفض استلام اثني عشر الف درهم ثمناً لجثة عمرو بن عبد ود العامري المقتول بيد علي ﷺ.

لقد قتل علي بن أبي طالب ﷺ ابطال وفرسان الأعداء في بدر واحد والخندق وخيبر وحنين ولكن المنافقين من أعداء أهل البيت حاولوا تحريف تلك الأخبار، واعطاء تلك المناقب لرجال آخرين حسداً منهم لولي المسلمين وسيد العرب ووصي المصطفىٰ ﷺ وكان من طبيعة علي ﷺ أن لا يسلب قتيله[٥].

---

(١) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣/٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢.

(٢) تاريخ الخميس ١/٤٨٨.

(٣) مسند أحمد ١/٢٤٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٤٠، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/١٢٢، ١٢٣.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٤/١٢٢، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٣٢، باب ما أصاب النبي ﷺ والمسلمين من محاصرة المشركين إياهم من البلاء، السيرة النبوية ابن كثير ٣/٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) تاريخ الخميس، الديار بكري ١/٤٨٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٣٢.

وذكر بريدة الأسلمي: أنَّ رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب (فنهض معه من نهض من الناس)[١]. فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا الىٰ رسول الله ﷺ يجبّنه أصحابه ويجبّنهم.

قال رسول الله ﷺ: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله فلمّا كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينه، وأعطاه اللواء[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ إذ سألوا علياً ؑ فقال ؑ: أو ما شهدت معنا خيبر؟ قال: بلىٰ. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ حيث دعا أبا بكر فعقد له وبعثه الى القوم فانطلق فلقي القوم، ثم جاء بالناس وقد هُزِموا؟ فقال: بلىٰ.

قال ؑ: ثمَّ بعث الىٰ عمر فعقد له وبعثه الى القوم فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثمَّ رجع وقد هُزِم.

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: لأعطينَّ الراية رجلاً يحبُّه اللهُ ورسولهُ، ويحبُّ اللهَ ورسولَه، يفتح الله عليه غير فرّار، فدعاني فأعطاني الراية، ثمَّ قال ﷺ: اللهم إكفِهِ الحرَّ والبرد، فما وجدت بعد ذلك حرّاً ولا برداً[٣].

وذكر البيهقي الرواية وقتل علي ؑ لمرحب قائلاً: فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة[٤].

---

(١) بين القوسين رواية النسائي للحديث أمّا في الأصل فقد ورد ونهض معه شيٌ من الناس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢٨/١٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤١٢/٢.

(٤) دلائل البيهقي ٢١٠/٤ـ٢١٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٣/٤. ورواه مسلم عن أسحاق بن إبراهيم، كتاب الجهاد باب غزوة ذي قرد ١٤٣٩.

معركة حنين

وقد اختلفت المعادلات في معركة حنين عن المعارك السابقة بزيادة عدد المحاربين المسلمين على الكفار زيادة ملحوظة ، ورغم هذا فرَّ المسلمون من أرض المعركة .

لقد أشار دريد بن الصمة علىٰ مالك بن عوف النصيري بوضع كمين يهجم علىٰ جيش النبي ﷺ من الخلف ، واجتمعت هوازن وثقيف وبنو سعد ابن بكر مع مالك . ويقال ان الطلقاء قال بعضهم لبعض اخذلوه هذا وقته ، فانهزموا ، فهم أول من انهزم وتبعهم الناس ، واخذ النبي ﷺ يناديهم : أنا ابن العواتك والفواطم ، أنا ابن عبد المطلب ، فقال ﷺ ناولني كفاً من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم ، فقال : شاهت الوجوه ، وفي رواية قال حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينهما ، فما خلف اللهُ منهم انساناً إلّا ملأت عينيه وفمه ، وقال : انهزموا ورب محمد ، فولوا مدبرين[١] .

فكان تراب رسول الله أمضىٰ من سلاح اثني عشر الف مقاتل ساروا معه ، وامضىٰ من عصا موسىٰ ! واخذت عائشة ذلك من رسول الله ﷺ فقذفت تراباً في وجوه جيش علي عليه السلام في معركة الجمل وقالت شاهت الوجوه ، فكانت النتيجة فرار جيشها وانتصار اعدائها !

وكان بعض الطلقاء قد فرحوا بهزيمة المسلمين فقال أبو سفيان : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وقال أخو صفوان بن أميّة قد بطل السحر ، فقال صفوان المشرك له : فضَّ الله فاك ، واللهِ لئن يربني (أي يملكني) رجل من قريش أحب اليَّ

---

(١) السيرة الحلبية ٣/١١٠.

من أن يربني رجل من هوازن، وقال عكرمة بن أبي جهل: لا يجبرونها ابداً.

وقال شيبة الحجبي (حاجب البيت): قلت اسير مع قريش الىٰ هوازن بحنين فعسىٰ ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فاقتله فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلّها (وكان أبوه وعمه قتلا في أحد) فلما اختلط الناس ونزل ﷺ عن بغلته أصلتُ السيف ودنوت منه ورفعت السيف حتىٰ كدت أوقع به الفعل حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد، فناداني ﷺ: يا شيبة ادن منّي فدنوت منه فالتفت إليَّ وتبسّم وعرف الذي أريد منه فمسح صدري، ثم قال: اللهم اعذه من الشيطان، قال شيبة فوالله لهو الساعة أحب اليَّ من سمعي وبصري ونفسي[1].

ورواية البخاري[2] كانت عن أبي قتادة الأنصاري، قال: وانهزم المسلمون ـ يوم حنين ـ وانهزمت معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله.

وروى الواقدي في مغازيه فرار المسلمين وفيهم عمر: «وكانت أُمُّ الحارث الانصارية أخذت بخطام جمل أبي الحارث زوجها، وكان جمله يسمّىٰ الجسار، فقالت: يا حارث تترك رسول الله ﷺ فأخذت بخطام الجمل، والجمل يريد أن يلحق بألأُلفة، والناس يُولّون منهزمين. وهي لا تفارقه.

فقالت أُمُّ الحارث: فمرَّ بي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت أُمُّ الحارث: يا عمر ما هذا؟

فقال عمر: أمْر الله.

وجعلت أُمُّ الحارث تقول: يا رسول الله مَنْ جاوز بعيري فاقتله، والله إن رأيت كاليوم ما صنع هؤلاء القوم بنا! تعني بني سُلَيم وأهلَ مكّة الذين انهزموا

---

(١) السيرة الحلبية ٣/١١١.

(٢) صحيح البخاري ٣/٤٦، البداية والنهاية لأبن كثير باب غزوة حنين، صحيح مسلم ٤/٣٢٩.

بالناس»[١]. وروي فرار عمر من طريق أبي قتادة أنّه قال: « ومضيت وتركت عليه سَلَبه (قتيل)، فلحقت عمر بن الخطاب، فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمْرُ الله. ثم إنَّ الناس رجعوا»[٢].

وفرح أبو سفيان بهزيمة المسلمين فقال: « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر»[٣].

وأجمل ما قرأت عن هزيمة الفارّين في معركة حنين ما ذكره أنس بن مالك: « إنَّ أُمَّ سُليم أُمّي إبنة ملحان جعلت تقول يا رسول الله، أرأيت هؤلاء الذين أسلموك وفرُّوا عنك وخذلوك! لا تَعْفُ عنهم إذا أمكنك اللهُ منهم، فأقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال: يا أُمَّ سُلَيم قد كفى اللهُ، عافية الله أوسع!

ومعها يومئذ جمل أبي طلحة، قد خشيت أن يغلبها، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، وهي شادَّة وسطها ببُرْدٍ لها. ومعها خنْجَرٌ في يدها.

فقال لها أبو طلحة: ما هذا معكِ يا أُمّ سُلَيم؟

قالت: خَنْجَرٌ أَخذته معي، إن دنا منّي أحدٌ من المشركين بَعَجْتُه به.

قال أبو طلحة: ما تسمع يا رسول الله ما تقول أُمُّ سُلَيم »[٤].

ومقابل صمود أمّ سليم انهزم أكابر الصحابة في يوم حنين بالرغم من كثرتهم، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وابن الجراح والمغيرة والاشعري

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤، الموطأ، مالك بن أنس، كتاب الجهاد، ما جاء في السلب في النفل ٣٠١ رقم ٩١٨.

(٣) المصدر السابق ٢/٩٠٤.

(٤) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

ومعاذ بن جبل وأُسيد بن حضير وخالد بن الوليد وطلحة وسعد بن أبي وقاص.
وقد أيّد هذا الفرار البخاري ومسلم وابن كثير والواقدي والديار بكري واليعقوبي وآخرين، بينما بايع هؤلاء النبي ﷺ على ان لا يفرّوا!

وجاء في تاريخ الخميس في رواية أنَّه لم يبق معه إلَّا أربعة، ثلاثة من بني هاشم علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث وكان قد أخذ بعنان بغلته والرابع عبد الله بن مسعود، وأضاف الى ذلك أنّ علياً والعباس كانا يحفظانه من قبل وجهه، وعبد الله ابن مسعود يحفظه من جانبه الأيسر، وكان كل من يقبل على رسول الله يُقتل[1].

ونزل قرآن: ﴿لَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ في مواطنَ كَثِيرَة وَيَومَ حُنَينٍ إذ أعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئاً وضاقَت عَلَيكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرِينَ. ثُمَّ أَنـزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ علىٰ رَسُولِهِ وَعلى المؤمِنِينَ وأَنزَلَ جُنُوداً لم تَرَوها وَعذَّبَ الذينَ كَفَرُوا وذلِكَ جزاءُ الكافِرِين﴾[2].

وحنين وادي بين مكَّة والطائف، كان فيه الوقعة بين المسلمين (وهم اثنا عشر الفاً الذين حضروا فتح مكّة منضماً إليهم ألفان من الطلقاء) وبين هوازن وثقيف، وهم أربعة الآف، فيمن ضامهم من امداد سائر العرب، فكان الجم الغفير، فلمَّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نُغلَب اليوم من قِلَّة. فساءت رسول الله ﷺ. وقيل قائلها رسول الله ﷺ وقيل أبو بكر ﷺ[3].

لقد قال أبو بكر جملة ساءت النبي ﷺ فذكر بعض الرواة قال رجل بدل أبي بكر، وهكذا فعلوا في كل الحوادث التي اساء فيها أبو بكر وعمر وعثمان للنبي ﷺ، وحاول الزمخشري انقاذ أبي منكر من قول المنكر بالقاء ذلك على رسول الله ﷺ!

---

(١) تاريخ الخميس، للشيخ حسين الديار بكري ١٠٢، السيرة الحلبية، الشافعي ١٠٩/٣.

(٢) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري ٢٥٩/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٠٨/١.

وحاول محاولة أخرىٰ بحذف أسم أبي بكر فذكر قال رجل !

ولكن الواقدي ذكر في مغازيه بان القائل هو أبو بكر[١].

وقال الفخر الرازي في تفسيره: قال رجل من المسلمين: لن نُغلب اليوم من قلّة، فهذه الكلمة ساءت رسول الله ﷺ وهي المراد من قوله: ﴿إذ اعجبتكم كثرتكم﴾ وقيل إنه قالها رسول الله ﷺ، وقيل قالها ابو بكر، واسناد هذه الكلمة إلىٰ رسول الله ﷺ بعيد، لأنه كان في أكثر الأحوال متوكلاً على الله، منقطع القلب عن الدنيا واسبابها[٢].

وجاء في سيرة الحافظ الدمياطي ان أبا بكر قال: لن نغلب اليوم من قلة[٣].

لقد نظر أبو بكر الى الحالة المادية علىٰ أرض المعركة في كثرتهم وكونهم أضعاف أعداد المشركين.

وساء النبي ﷺ قول أبي بكر لأنّه يطلب من المسلمين أن ينظروا الى الحالة الغيبية للأُمور، والمتمثلة بالنصر الإلهي، لا الحالة المادية في كثرة أعداد المسلمين.

وانهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ حتّىٰ بقي في عشرة من بني هاشم وقيل تسعة وهم علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعتبة ومعتب إبنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل أيمن بن أمّ ايمن[٤].

وعن جابر قال: لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت، إنّما بايعناه علىٰ أن لا نَفر[٥]. وعن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: علىٰ أي شيء بايعتم

---

(١) المغازي، الواقدي ٨٩٠/٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/٦.

(٣) السيرة الحلبية ١١٠/٣، سيرة الحافظ الدمياطي.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٦٣/٢، طبعة لندن.

(٥) سنن النسائي ٨٧١/٣ حديث ٣٨٧٧.

النبي ﷺ يوم الحُدَيْبِيَة ؟ قال: على الموت[١].

وقد أنهزم عثمان في معركة بدر وانهزم ابو بكر وعمر وعثمان ﷺ في معركة أحد والخندق وخيبر وحنين، وعصوا النبي ﷺ في حملة أسامة ولم يذهبوا فيها أبداً. ولم يقتلوا كافراً ولا يهودياً قط، وتمكّن خالد وضرار من قتل عمر في معركتي أحد والخندق فلم يقتلاه.

وبعد موت النبي ﷺ لم يشاركوا في أي حرب لا بصفة قائد ولا بصفة جندي، بينما كان النبي ﷺ وعلي ﷺ قد حضرا في جبهات القتال وعمرهما يناهز الستين سنة، إذ شارك النبي ﷺ في فتح مكّة وفي حرب حنين في السنة الثامنة من الهجرة، فيكون عمره الشريف ستين سنة، وفي هذه السن شارك علي ﷺ في معركة صفين.

وذكر ابن اسحاق: ولما سمع بهم (هوازن) رسولُ الله ﷺ بعث اليهم عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي، وامره أن يدخل في الناس، فيقيم حتىٰ يأتيه منهم ويعلم من علمهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم، فأقام معهم حتىٰ سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وعلم أمر مالك، وامر هوازن، وما هم عليه، ثم أتىٰ رسول الله فأخبره الخبر، فدعا رسولُ الله ﷺ عمر بن الخطاب فأخبره خبر ابن أبي حدرد، فقال عمرُ: كذب.

فقال ابن أبي حدرد: ان تكذّبني فطال ما كذّبتَ بالحقِّ يا عمر.

فقال عمر: يا رسول الله الا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد ؟

فقال رسول الله ﷺ: قد كنت ضالاً فهداك اللهُ يا عمر[٢].

وفي رواية ابن هشام، قال ابن أبي حدرد لعمر: إن كذّبتني فربما كذبت بالحقِّ

---

(١) سنن النسائي ٨٧٢/٣ حديث ٣٨٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣٤٦/٢.

يا عمر، فقد كذّبت من هو خير منّي[١] أي النبي ﷺ.

وذكر ذلك في شرح الزرقاني على المواهب من رواية الواقدي.

لقد وقفت طويلاً عند هذه الرواية لقول ابن أبي حدرد لعمر: طال ما كذّبت بالحقّ يا عمر، وقوله قد كذّبت من هو خير منّي أي رسول الله ﷺ، ولم يعترض رسول الله ﷺ على قول ابن أبي حدرد.

مَنْ هو حامل راية النبي ﷺ في حروبه كلّها؟

لقد شارك علي عليه السلام في كلّ المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ حاملاً للواء الإسلام. ولم ينهزم في حرب قط وخلّفه رسول الله ﷺ على المدينة في حرب تبوك[٢]. وجاء في كتاب مستدرك الحاكم: عن ابن عباس أنّه قال: لعلي بن أبي طالب عليه السلام أربع ماهن لأحد: هو أول عربي وعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يومَ المهراس وفر الناس، وهو الذي أدخله قبرَه[٣].

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟ قال: كان حاملَها علي عليه السلام.

وفي نص آخر: أنّه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك الى إخوانه من القراء فعرَّفوه: أنّه خائف من

---

(١) سيرة ابن هشام ٨٢/٤ طبعة الحلبي، مصر.

(٢) في حملة تبوك طلب النبي ﷺ من علي عليه السلام البقاء في المدينة لحمايتها من المنافقين وقال له: ألا ترضى ان تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا انه لا نبي بعدي.

(٣) مستدرك الحاكم ١١١/٣، مناقب الخوارزمي ٢٢/٢١، وتلخيصه للذهبي بهامشه، تيسير المطالب ٤٩، ارشاد المفيد ٤٨.

الحجاج، فعاد وسأله فقال: كان حاملها علي ﷺ، هكذا سمعت من عبد اللهِ بن عباس[1].

وقال ابن عباس: كان علي أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال الحاكم: وفي المشاهدِ كُلِّها[2].

وعن علي ﷺ أنَّه قال: كُسِرت يدُه يومَ أحد، فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله ﷺ: دعوه في يده اليسرىٰ، فإنَّه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة[3].

وعن ثعلبةَ بن أبي مالك قال: كان سعد بن عُبادة صاحبَ راية رسول الله في المواطن كلها، فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب[4]. وذكر ابن هشام وابن الأثير وابن كثير: وفي معركة أحد نادىٰ أبو سعد بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين علياً ﷺ: أن هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزا بين الصفَّين، فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌّ فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهِزْ عليه، فقال له اصحابه: أفلا اجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أنَّ الله عزّ وجلّ قد قتله.

وجاء ان أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين، فنادىٰ: أنا قاصمٌ من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحدٌ، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أنَّ قتلاكم في الجنة، وأنَّ قتلانا في النار، كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقّاً لخرج إليَّ بعضكم، فخرج إليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌّ فقتله وذكر السهيلي برواية الكَشّي في تفسيره عن سعد: قال: لما كفَّ عنه علي طعنته في حنجرته فدلع

---

(١) مستدرك الحاكم ١٣٧/٣. ذخائر العقبى ٧٥.

(٢) ذخائر العقبى ٧٥.

(٣) تاريخ الخميس ٤٣٤/١.

(٤) أسد الغابة ٢٠/٤. أنساب الأشراف ١٠٦/٢.

لسانه إليَّ كما يصنع الكلب ثم مات[١].

إن أبا سعد بن أبي طلحة هو أوّل من كشف (من أبطال قريش) عورته امام علي بن أبي طالب ﷺ طلباً للشفقة عليه بعد مصرعه. والظاهر انه تعلم ذلك من افعال رفاقه في معركة بدر، إذ قتل علي ﷺ نصف قتلى المشركين.

وبعدما عُرِف علي ﷺ بذلك شرع ابطال العرب في كشف عوراتهم امام علي ﷺ وعلىٰ رأس هؤلاء عمرو بن عبد ود العامري وعمرو بن العاص وبسر بن ارطأة[٢]. وكان علي ﷺ حامل لواء رسول الله ﷺ وقاتل أصحاب الوية المشركين، فذكر ابن هشام في سيرته: وانكفأ علينا القوم بعد أن اصبنا أصحاب اللواء، حتىٰ ما يدنو معه احدٌ من القوم[٣].

وذكر الطبري ذلك في تاريخه قائلاً: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية... قال جبريل:

لا سيفَ إلّا ذو الفَقَار ولا فتى إلّا علي[٤]

وذكر ابن الأثير في تاريخه ذلك الأمر عن أبي رافع[٥].

وذكر المؤرخون والرواة حمل علي ﷺ للواء الإسلام في معارك النبي ﷺ[٦].

وقضىٰ علي بن أبي طالب علىٰ حامل راية الكفار في حنين[٧].

---

(١) سيرة ابن هشام ٧٨/٣، الكامل في التاريخ ١٥٢/٢، تاريخ الطبري ١٩٤/٢، السيرة الحلبية ٢٢٢/٢، السيرة النبوية، ابن كثير ٣٩/٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٨٢/٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ص ١٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٥٤/١.

(٦) السيرة النبوية، ابن كثير ٢٢٧/٣، ٣٥١.

(٧) تاريخ الخميس ١٠٢/٢.

وقال ابن اسحاق: وقد قتل عليٌّ بن أبي طالب طلحة بن أبي طلحة، وهو يحمل لواء قريش، والحكم بن اخنس بن شريق بن حميد بن زهير، وأبا أميّة بن أبي حذيفة بن أبي المغيرة.

ومرَّ سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، وقف عليه وقال: يا هذا: علىٰ ما تَشتِم عليَّ بنَ أبي طالب؟

الم يكن أوّلَ من أسلَم؟ ألم يكن أوّلَ من صلّىٰ مع رسول الله؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلمَ الناس؟ وذكر حتّىٰ قال: ألم يكن صاحِبَ راية رسولِ الله في غَزَواته[1]. وقد قتل أبطال العرب مع رسول الله ﷺ من أمثال عمرو بن عبد ود العامري وبطلي اليهود الحارث ومرحب وبطل الشام في معركة صفين حريث[2] وفرَّ منه معاوية وابن العاص وعبيد الله بن عمر وبسر بن أرطأة[3].

متىٰ تمكَّن خالد وضرار من قتل عمر؟

ترك خالد بن الوليد قتل عمر في معركة أحد، بالرغم من أنَّ خالداً كان في كتيبة خشناء، وعمر بن الخطاب فاراً لوحده، اذ قال خالد: «رأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا وأنهزموا يوم أُحُد وما معه أحدٌ، وإنّي لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري، فنكبت عنه، وخشيت إنْ أغريتُ به من معي، أن يصمدوا له[4].

وفي معركة الخندق تمكَّن ضرار بن الخطاب (الفهري) من قتل عمر بن

(١) مستدرك الحاكم ٣/ ٥٠٠، حياة الصحابة ٢/٥١٤.

(٢) الأخبار الطوال، احمد بن داود الدينوري ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٧٥، ١٧٦.

(٤) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٧.

الخطاب إلّا أنّه تركه، اذ قال الواقدي: وحمل ضِرار بن الخطاب الفهري علىٰ عمر ابن الخطاب بالرمح، حتىٰ إذا وجد عمرُ مسَّ الرمح رَفَعه عنه، وقال: هـذه نـعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إنّي قد كنتُ حلفتُ لا تمكّنني يداي من رجلٍ من قريش أبداً[١]. لقد اضيف الى الرواية مقطعاً لم يكن موجوداً فيها وهو قوله: «قد كنت حلفت لا تمكنني يداي من رجل من قريش أبداً» لايجاد عذر في سبب امتناع ضرار من قتل عمر إذ جاء في الرواية: «حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب علىٰ علي كرّم الله وجهه (القرشي) فاقبل علي عليهما، فأمّا ضرار فولىٰ هارباً ولم يثبت، وأمّا هبيرة فثبت، ثم القىٰ درعه وهرب، وكـان فـارس قـريش وشاعرها، وذكر ابن ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه عمر بن الخـطاب، وصـار يشتد في أثره، فكرّ ضرار راجعاً وحمل عـلىٰ عـمر ﷺ بـالرمح ليـطعنه ثم امسك وقال: يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك، ويد لي عـندك غـير مجزىٰ بهـا فاحفظها، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب.

ووقع له مع عمر ﷺ مثل ذلك في أحد فانه التقىٰ معه فـضرب عـمر ﷺ بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب»[٢].

ولا يتصوَّر أحد بأنَّ ضرار بن الخطاب أخ لعمر بن الخطاب، بل هو ضرار ابن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القـرشي الفهري.

وذكر ابن عساكر تمكّن فارس قريش ضرار الفهري من قتل عمر فلم يقتله اذ قال: وكان ضرار بـن الخـطاب فـارس قـريش وشـاعِرَهم، وحـضر مـعهم المشاهد كلّها، فكان يقاتل أشدَّ القتال، ويحرّض المـشركين بشـعره، وهـو قـتل

(١) مغازي الواقدي ٤٧١/١.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣٢١/٢.

عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لا تعدِمَنَّ رجلاً زوَّجك من الحور العين.

وكان يقول: زوَّجت عشرة من أصحاب محمد ﷺ، وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال: يا ابن الخطاب، إنَّها نعمة مشكورة، واللهِ ماكنت لاقتلك، وهو الذي نظر يوم أحد الىٰ خلاء الجبل من الرماة، فأعلم خالد بن الوليد، فكرَّا جميعاً بمن معهما، حتىٰ قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثمَّ دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم.

وقال ضرار: زوَّجت يومئذ (في معركة أحد) أحد عشر منكم من الحور العين[1].

فأحبّ عمرُ ضراراً، فعندما كان في طريق مكَّة، قال عبد الرحمن لرباح غنِّنا، فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب[2].

ووجدت في كتب الإصابة، والاستيعاب وتاريخ دمشق ما يخالف ما ذكره الواقدي، بأنَّ ضراراً لم يقتل عمر، لأنَّه حَلَف أن لا يقتل قرشياً؟! في الحقيقة انه قتل مسلمين من قريش، إذ ذكر ابن حجر قول ابن عساكر قائلاً: «وهو أي ضرار الذي ادّعىٰ قتل عشرة من اصحاب النبي ﷺ حيث قال: «زوَّجت عشرة من أصحاب النبي بالحور العين»[3].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١١/١٥٦، ١٥٧ طبعة دار الفكر، مغازي الواقدي وطبقات الشعراء لابن سلام ٦٣، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٤/٢١٤ عن الواقدي والبلاذري وابن اسحاق. وكانت هذه يداً عند عمر كافأه بها حين إستخلف، فراجع طبقات الشعراء ٦٣، والبداية والنهاية ٣/١٠٧ عن ابن هشام.

(٢) الأصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

(٣) الاصابة لابن حجر ٢/٢٠٩.

وقال ضرار بن الخطاب الفهري لأبي بكر لاحقاً: نحن كنّا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنّة، وأوردتموهم النار[1]. وهذا اعتراف منه بقتل مهاجرين مسلمين من قريش، وادعاؤه ارسالهم الى الجنّة بيده، وبفضل منه تجاههم؟! في حين قتل المهاجرون رجالاً من قريش فأرسلوهم الى النار. ولاحظنا في الرواية هجوم ضرار بن الخطاب وهبيرة لقتل علي بن أبي طالب القرشي فلم يُفلحا! ولقد كانت الحرب بين المسلمين والكفار حرب حياة وموت يقتل فيها المحارب اعداءه من أي فئة وقبيلة كانوا! فقد قال أبو سفيان في رسالة للنبي ﷺ بعد معركة الخندق: «لقد سرتُ اليك في جمع وأنا أريد ان لا أعود إليك ابداً حتىٰ استأصلكم»[2].

وبعد إسلام قريش في فتح مكّة قهراً، اسلم ضرار بن الخطاب، لكنه بقي محلاً لشرب الخمر الىٰ ان مات، محتجاً بآية: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا، إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾[3].

وكان ضرار بن الخطاب الفهري من القساة الجبارين فقد اعترف بقتله عشرة من المؤمنين[4].

وهو الذي قطع رأس مالك بن نويرة المسلم بأمر خالد بن الوليد رفيقه في معاركه الأولىٰ ضدَّ المسلمين[5].

وبعد دخوله في الإسلام مكرهاً بعد فتح مكّة بقي شارباً للخمر، محلاً لها الىٰ يوم وفاته!

---

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة لابن عبد البر الاندلسي ٢/٢١٠، الاصابة لابن حجر العسقلاني ٢/٢١٠.

(٢) السيرة الحلبية ٢/٣٣١.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٣٣١.

(٤) الاصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

(٥) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبي الفداء ١/٢٢١، ٢٢٢.

ومثل هذه الميتة مات وحشي قاتل حمزة إذ ما زال يحد في الخمر الىٰ ان مات والأقبح انه مات في حمص في بركة خمر ![١]

وعمر في حين تشهد الحوادث بقتل خالد وضرار للكثير من المسلمين القرشيين دون رحمة (عدا عمر) !

ولم يحدّثنا الواقدي في المغازي بقتل عمر بن الخطاب لرجل من مشركي قريش. وقد ذكر بأنَّ سيف عمر لم يستخدم في الحروب: « عن ابن عمر قال: كان سيف عمر فيه فضّة أربع مائة درهم، وقد أخذ معاوية سيف عمر، ولم يستعمله ايضاً »[٢].

إذن لم يستخدم عمر سيفه في الحرب، وقد اشترك في حرب بدر فقط، وانهزم في المعارك الأخرىٰ !

ولا أدري كيف حدث هذا فهم لم يقتلوا عمرَ، وعمرُ لم يقتل شخصاً منهم.

إذ لم يقدم خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب علىٰ قتل عمر، حينما تمكّنا منه في أرض المعركة.

وأقدم عمر بن الخطاب علىٰ مدح قتلىٰ بدر المشركين بعد شربه الخمر قائلاً:

وكائن بالقليب قليب بدر[٣] ... من الفتيان والعرب الكرام

أيوعدُني إبنُ كبشةَ[٤] أن سَنَحيا ... وكيف حياة أصداءٍ وهامِ

أيعجز أن يردَّ الموت عنّي ... وينشرني إذا بَلِيَتْ عظامي

ألا من مُبلغ الرحمنِ عنّي ... بأنّي تاركٌ شهرَ الصّيام[٥]

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦/٢٥٨ـ٢٦٦.

(٢) كنز العمال ٦/٦٩٤ ح١٧٤٤٨.

(٣) قليب بدر هو المكان الذي دفن فيه الرسولُ ﷺ قتلى بدر المشركين.

(٤) إبن كبشة: كان كفار قريش يكنّون النبيَّ ﷺ إبن كبشة ؟!

(٥) المستطرف ٢/٢٦٠، جامع البيان ٢/٢١١.

واثناء الحديث بين عمر وابن معديكرب البطل المعروف، عَرّض[1] الأخير بهزائم عمر من طَرْفٍ خفي.

وظاهر الأمر ان فراره في الحروب كان معروفاً، ذكره خالد بن الوليد وابن معديكرب وآخرون، وصرَّح به عمر نفسُه.

فقد سأل عمر من عمرو بن معديكرب عن السلاح، فأخبره بما عرف، حتّىٰ بلغ السيف، فقال: هنا لك قارعتك أمُّك عن ثكلها.

فعلاه عمر بالدرّة، وقال: بل أُمُّك قارعتك عن ثكلها، واللهِ إنّي لأهمُّ أن أقطع لسانك.

فقال عمرو: الحُمّىٰ أضرعتني لك اليوم، وخرج من عنده وهو يقول:

اتـوعدني كأنك ذو رُعَيْن ... بـانعم عيشة او ذو نُواس

فكم قد كان قبلك من مليك ... عظيم ظاهر الجبروت قاس

فأصبح أهله بادوا وأمسىٰ ... يُنَقَّلُ من أناس في أناس

فلا يغررك ملكك كلُّ ملك ... يصير مذلة بعد الشماس

فاعتذر عمر إليه[2].

والشيءُ الملفت للنظر في معركة أحد، ان أبا بكر كان من الفارين كما اعترف هو نفسه[3].

وقد أُتهِم ابو بكر وعمر بالفرار من حملة الشام التي أمر بها النبي ﷺ، في حياة النبي ﷺ وفي مماته.

ثم اتُّهم عمرو بن سعيد بن العاص الأموي عمر بن الخطاب بالفرار من حملة

---

(١) عرَّضَ تعريضاً والتعريض ضد التصريح من القول.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٣٢٦/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ١٥٥/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٥٨/٣، كنز العمال ٢٦٨/١٠. تاريخ الخميس ٤٣٦/١، حياة الصحابة ٢٧٢/١، البداية والنهاية ٢٩/٤.

الشام، وعيَّره بذلك أمام المسلمين[١].

وبعد هزيمة الكفار في معركة بدر، حاول عبد الرحمن بن عوف حماية أُمـيَّة ابن خَلَف، الطاغية المعروف، وانقاذه من يد المسلمين، وسبب ذلك وجود كتابات خطية بينهما، وظاهر تلك الخطابات كونها سرّية.

إذ جاء عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه: كاتبت أميَّة بن خلف كتابة في أن يحفظني في صاغيتي بمكَّة، واحفظه في صاغيته[٢] في المدينة، فلما بـلغ أسم عبد الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كـان فكـاتبته عـبد عمرو، فلما كان يوم بدر خرجت لأُحرزه في شعب، حتىٰ يأمن النـاس، فـرأيت بلالاً مولىٰ أبي بكر، فأقبل حتىٰ وقف علىٰ مجـلس الأنـصار، فـقال: يـا مـعشر الأنصار أميَّة بن خلف لا نجوت ان نجا، فخرج مع نفر.

قال فلما خشيت أن يدركونا خلَّفت لهم ابنه اشغلهم به فقتلوه، ثم أتوا حتى لحقونا، وكان أُميَّة رجلاً ثقيلاً[٣].

ولقد نادىٰ بلال: يا أنصار الله رأس الكفر أميَّة بن خلف، وقال: لا نجوت أن نجا[٤].

وروى إبراهيم بن عبد الرحمن أيضاً ان رجلاً قال لأبيه: قد جئت لأمر، وقد رأيت اعجب منه، هل جاءكم إلّا ما جاءنا، أم هل علمتم إلّا ما علمنا؟ قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلّا ما قد جاءكم، ولم نعلم إلّا ما علمتم؛ قلت: فما لنا نزهد في الدنيا وترغبون فيها، ونخفُّ في الجهاد وتتشاغلون عنه! وانتم سلفنا وخيارنا وأُصحاب نبينا ﷺ.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢، ١٢٣، طبعة لندن، تاريخ الطبري ٣٣٥/٢.

(٢) الصاغيه: هم الذين يميلون إليك في حوائجهم. القاموس.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٦/٤، طبعة دار الفكر، دمشق.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٣٥٠/٣ ط. دار احياء التراث.

قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلّا ما جاءكم، ولم نعلم إلّا ما علمتم، ولكنّا بُلينا بالضَّرَّاء فصبرنا، وبلينا بالسَّرَّاء فلم نصبر[1].

* * *

(١) المصدر السابق ٤/٧٧.

نظرية الاهتمام بالفتوحات العسكرية

البلدان الكثيرة المفتوحة في زمن أبي بكر

بعد تولي أبي بكر السلطة الحّ في ضرورة بعث حملة اسامة بن زيد إلى الشام، لكنّه تخلّف هو وعمر عن الانضمام إلىٰ تلك الحملة، فسار اسامة مع جيشه إلى الشام دون جنديين أصبحا خليفة ووزيراً!

وقد عصىٰ أبو بكر وعمر الأمر النبوي بالانخراط في حملة اسامة بن زيد في حياة النبي ﷺ وفي مماته، ففي حياة النبي ﷺ ذهب أبو بكر إلىٰ زوجته في السنح، بدل الذهاب إلى الجرف (مكان تجمع قوات زيد). وبعد ممات رسول الله ﷺ سأل أبو بكر اسامة بن زيد أن يترك له عمر، يستعين به علىٰ أمره. فقال: فما تقول في نفسك؟ فقال (أبو بكر): ياابن أخي! فعل الناس ما ترىٰ فدع لي عمر، وانفذ لوجهك، فخرج اسامة بالناس[1].

ثمّ حاول أبو بكر السيطرة علىٰ جزيرة العرب، والقضاء علىٰ حركات الردّة عن الإسلام، والعاصين عن دفع الزكاة إلى الدولة.

والذي دعا أبا بكر إلىٰ إرسال اسامة إلى الشام، هو وجود الجيش الكافي عنده للسيطرة علىٰ جزيرة العرب، فقد ذهب مع النبي ﷺ إلىٰ حملة تبوك ثلاثون الف مقاتل.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧، طبعة لندن، تاريخ الطبري ٢/٤٦٢.

أي أصبح في استطاعة المسلمين المحاربة على الجبهتين الداخلية والخارجية.

وفعلاً ما ان سار اسامة بجيشه الى الشام تحرك خالد بن الوليد بجيش نحو مناطق جزيرة العرب.

وتمكّن خالد من السيطرة على منطقة طليحة بن خويلد الأسدي وقتل قيس من مكشوح المرادي وفيروز الديلمي الأسود العنسي في اليمن، وانتصر جيش خالد على مسيلمة الكذاب.

وقتل مالك بن نويرة المسلم وأفراد قبيلته المسلمين لجمال زوجته وعشق خالد لها وزنا بها في نفس اليوم. فثار عليه عمر وبعض جنود سريته فلم يقتله أبو بكر بهم![1] فكانت اول مذبحة للمسلمين مع زنا تمر دون عقاب.

وكرّر خالد فعله مرّة أخرى فاكتفى أبو بكر بالكتابة إليه: تتوثّب على النساء، وعند اطناب بيتك دماء المسلمين[2].

ثم تقدم خالد والمثنى في جنوب العراق.

وسيطر على اليمن والبحرين وشاور أبو بكر علي بن أبي طالب عليه السلام في غزو الروم. فأشار عليه أن يفعل فقال: إن فعلت ظفرت فقال (أبو بكر): بشّرت بخير.

وأرسل أبو بكر جيوشاً إلى الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وعمرو ابن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة. على أن يكون ابن الجراح رئيسهم إذا اجتمعوا. ثمّ أرسل خالد بن الوليد الى الشام فانتصرت جيوش المسلمين في وقعة اجنادين سنة ١٣ هجرية. وفتح المسلمون بصرى.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٣١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٣١.

البلدان الكثيرة المفتوحة في زمن عمر

لقد انتصر المسلمون على الروم في معركة اليرموك في بداية زمن عمر، فكانت هذه المعركة بداية لفتح بقية بلاد الشام، وذلك في السنة الثالثة عشرة هجرية.

وفي السنة الرابعة عشرة هجرية، انتصر المسلمون على الدولة الفارسية، في معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص. ثم تبع ذلك انتصار المسلمين في وقعة جلولاء بعد سنتين من ذلك.

ولمّا استمرّت الدولة الفارسية في الحياة، حدثت حرب اخرىٰ في سنة احدىٰ وعشرين هجرية في نهاوند، انتصر فيها المسلمون أيضاً، وعلىٰ إثر ذلك فتحت الري واذربيجان وخراسان وكرمان.

وفي سنة عشرين هجرية فتح المسلمون مصر. وبذلك فتح المسلمون في مدة خلافة عمر بن الخطاب بلدان مصر والشام والعراق وايران علىٰ مدىٰ عشر سنوات. وتعتبر هذه الفتوحات كبيرة قياساً لمدّتها وحجم الأراضي المفتوحة.

قال السيوطي في تاريخه: وكثرت الفتوح في أيامه (عمر): ففي سنة اربَعَ عشرة فتحت دمشق، ما بين صلح وعنوة، وحمص وبعلبك صلحاً، والبصرة والأبلة كلاهما عنوة.

وفي سنة ست عشرة فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد (بن أبي وقاص) الجمعة في إيوان كسرىٰ، وهي أول جمعة جمعت بالعراق، وذلك في صفر، وفيها كانت وقعة جلولاء، وهُزِم فيها يزدجرد بن كسرىٰ، وتقهقر الى الري، وفيها فتحت تكريت، وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس، وخطب بالجابية خطبته المشهورة.

وفيها فتحت قنسرين عنوة، وحلب وانطاكية ومنبج صلحاً، وسروج عنوة، وفيها فتحت قرقيسيا صلحاً[١]. وفي سنة ثمان عشرة فتحت جنديسابور صلحاً، وحلوان عنوة، وفيها كان طاعون عمواس، وفيها فتحت الرها وسميساط عنوة وحرّان ونصيبين، وطائفة من الجزيرة عنوة ـ وقيل صلحاً ـ والموصل ونواحيها عنوةً.

وفي سنة تسع عشر فتحت قيسارية عنوة. وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة. وقيل مصر كلها صلحاً إلّا الاسكندرية فعنوة. وقال علي بن رباح: المغرب كله عنوة، وفيها فتحت تستر، وفيها هلك قيصر عظيم الروم.

وفي سنة إحدىٰ وعشرين فتحت الأسكندرية عنوة ونهاوند، ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وبَرقَة وغيرها.

وفي سنة إثنتين وعشرين فتحت اذربيجان عنوة، وقيل صلحاً، والدينور عنوة، وماسيذان عنوة، وهمذان عنوة، وطرابلس الغرب والري وعسكر وقومس. وفي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل، وأصبهان ونواحيها.

وهناك من نصح عمر بفتح فارس ؟

فاستشار أهل الرأي في ذلك، وكان ممَّن استشارهم الأحنف بن قيس التيمي والهرمزان، فقال الاحنف: يا أمير المؤمنين إنّك نهيتنا عن الانسياح في البلاد (فارس)، وان ملك فارس بين أظهرهم، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتىٰ يُخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيْ إلّا بانبعاثهم وغدرهم، وأنَّ ملكهم هوالذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتّىٰ تأذن لنا بالانسياح، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم، فهنالك ينقطع

---

(١) تاريخ السيوطي ١٣١.

رجاء أهل فارس.

فقال عمر: صدَقَني والله، وأذن في الانسياح في بلاد فارس[١].

الفتوحات الكثيرة في زمن عثمان بن عفان

ولو قسنا فترة حكم عمر بفترة حكم عثمان التي دامت حوالي ثمان سنوات (إذ بعدها بدأت سنوات الفتنة) لوجدنا: ان المسلمين في زمن عثمان قد توغلوا في افريقيا، ففتحوا ليبيا وتونس والسودان، وأسسوا القيروان. كما تمّ الصلح مع أهل أرمينية وأذربيجان. وفي سنة ثمان وعشرين فتح المسلمون جزيرة قبرص. وفي سنة اثنين وثلاثين تم فتح الطالقان والجوزجان وطخارستان.

فالملاحظ ان الاراضي المفتوحة في زمن عثمان تعادل الاراضي المفتوحة في زمن عمر مساحة... ولكنَّ الذي حصل في زمن عمر هو القضاء على الدولة الكسروية، ودحر الدولة الرومية.

أمّا ما حصل من انتصارات في زمن أبي بكر، فليس قليلاً، إذ تمَّ القضاء على المعارضين في مختلف أجزاء الجزيرة العربية. ثم تحرَّكت جيوش المسلمين نحو العراق والشام فسيطرت على الأجزاء الجنوبية منها.

والذي ساعد على الأنتصارات مشاركة كلِّ المسلمين فيها دون رعاية لخط أو منهج، فقد اشترك فيها حذيفة بن اليمان وبريدة بن الحصيب والأحنف بن قيس وغيرهم من أتباع منهج أهل البيت عليهم السلام.

وأستقرار الوضع الداخلي، والروح الايمانية العالية، ووحدة المسلمين.

---

(١) تاريخ الطبري ١٨٤/٣، تاريخ ابن الاثير ٢١٣/٢، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص٣٧.

الفتوحات العظيمة في زمن النبي ﷺ

لو عدنا إلىٰ زمن النبي ﷺ الذي حكم عشر سنوات في مدينة يثرب لوجدنا أنَّ الأنتصارات كانت أعظم وأهم وأخطر. لأنّ النبي ﷺ في المدينة قد بدأ اولاً بتأسيس الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين أفرادها. وكانت قبائل العرب واليهود المحيطة بالمدينة والساكنة فيها تحيك المؤامرات للقضاء على الإسلام. فكانت هجمات قريش وغيرها على المدينة للقضاء علىٰ نور الإسلام مستمرّة، واشدّ هذه الهجمات خطورة كانت هجمة الاحزاب. وبعد فشل هذه الهجمات استمرَّ الجيش الإسلامي في الهجوم ونلاحظ في مسيرة الرسول ﷺ أنّه ورغم الامكانات الضعيفة في المدينة ووجود اليهود والمنافقين فيها فقد تحرك نحو الغزو. فكانت نظرية النبي ﷺ الهجوم خير وسيلة للدفاع.

في السنة الثانية للهجرة تحرَّك النبي ﷺ وأتباعه للسيطرة علىٰ قافلة قريش التجارية. ولم تكن قريش تتصوَّر أنَّ النبي ﷺ سيتحول إلى الهجوم عليها بهذه السرعة الخاطفة هذا أولاً.

وثانياً إنها لم تتصوَّر إمكانية إنتصار جيش النبي ﷺ عليها.

لذلك لمّا ذكرت عاتكة منامها من وقوع صخرة من جبل أبي قبيس وتناثرها في منازل مكّة، أدرك أبو جهل تفسير هذا المنام، بإنتصار جيش النبي ﷺ وانتشار القتلىٰ في دور قريش. فلم يصدّق حصول ذلك بهذه السرعة المذهلة. فأقدام النبي ﷺ لم تثبت في المدينة، والمنافقون أقوياء فيها، وعلىٰ رأسهم ابن أُبي، وكان يهود بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير في أوج قوَّتهم.

ولكن النبي ﷺ أوجد نظرية جديدة، تتمثل في الهجوم، ثم الهجوم دون مراعاة لصيف أو شتاء أو كثرة مشاكل وقوة عدو، بالتوكل على الله تعالىٰ.

فما أن إنتصر النبي ﷺ في السنة الثانية في بدر، حتىٰ غزا يهود بني قينقاع وانتصر عليهم. وهكذا حقّق الجيش الإسلامي الفتي الذي لا يتجاوز الثلاثمائة مقاتل إنتصارين علىٰ جبهتين في سنة واحدة! جبهة الكفار وجبهة اليهود. ثم غزا النبي ﷺ غزوة السويق.

وفي السنة الثالثة غزا المسلمون غزوة قرارة الكدر وغزوة غطفان وغزوة بني سليم وسريّة القردة وغزوة احد. وبالرغم من خسارة المسلمين في معركة أحد، لم يتوقف النبي ﷺ عن الجهاد، فكانت غزوة حمراء الاسد وسريّة أبي سلمة.

وفي السنة الرابعة كانت غزوة بئر معونة، وغزوة الرجيع، وغزوة بني النضير، وغزوة بدر الموعد، وسريّة ابن عتيك.

وفي السنة الخامسة الهجرية كانت غزوة ذات الرقاع، وغزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، وحرب الخندق (الاحزاب). وفي هذه السنة كانت غزوة بني قريظة.

وفي السنة السادسة للهجرة كانت سريّة عبد الله بن انيس، وغزوة القرطاء، وغزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسريّة عكاشة بن محصن، وسريّة محمد بن مسلمة، وسريّة أبي عبيدة إلىٰ ذي القصة، وسريّة زيد بن حارثة، وسريّة عبد الرحمن بن عوف إلىٰ دومة الجندل وسريّة علي بن أبي طالب ؑ إلىٰ بني سعد في فدك، ثم كانت سَريّة زيد بن حارثة إلىٰ امّ قِرفَة، وسريّة عبد الله بن رواحة، وسريّة كرز بن جابر، ثم غزوة الحديبية.

واستمرّت غزوات النبي ﷺ وسراياه، ففي السنة السابعة كانت غزوة خيبر، وسريّة عمر بن الخطاب إلىٰ تربة، وسَرِيّة أبي بكر إلىٰ نجد، وسَرِيّة بشير ابن سعد إلىٰ فدك، وسَرِيّة بني عبد بن ثعلبة، وسريّة بشير بن سعد إلى الجناب، وغزوة القضية.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت سريَّة غالب بن عبد الله بالكديد، وسريَّة كعب بن عمير إلىٰ ذات أطلاع، وسريَّة شجاع بن وهب إلىٰ ارض بني عامر، وسريَّة إلىٰ خثعم بتَبالة.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت غزوة مؤتة، وهي أول غزوة إلى الشام، خارج ارض الجزيرة العربية. ولم تقف مصيبة مؤتة في طريق الغزو والجهاد، فكانت غزوة ذات السلاسل، بالرغم من الوجوه التي استشهدت في معركة مؤتة، من مثل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ثم تحرَّكت سريَّة الخبط واميرها أبو عبيدة، وسريَّة خضرة وأميرها أبو قتادة.

وفي السنة الثامنة كان فتح مكَّة ذلك الفتح المبين. ثم تبعها غزوة بني جذيمة، ثم غزوة حنين، ثم سريَّة بني كلاب وسريَّة علقمة بن مُجَزِّز وسريَّة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفلس. وكانت خطَّة النبي صلى الله عليه وآله في الغزو انه لا يغزو غزوة الا ورَّىٰ بغيرها؛ لئلّا تذهب الأخبار بانه يريد كذا وكذا.

وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وآله في حرٍّ شديد[1]. وهذه الغزوة مثل غزوة مؤتة إلى الشام. ثم أعقب ذلك غزوة أُكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل.

وفي السنة العاشرة للهجرة كانت غزوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن، وفي السنة الحادية عشرة جهَّز النبي صلى الله عليه وآله حملة اسامة بن زيد الى الشام. وبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وآله في جهَّز ثلاثة جيوش الى الشام في السنة الثامنة والتاسعة والحادية عشرة. وقاد جيش السنة التاسعة (تبوك) بنفسه.

إذن حارب النبي صلى الله عليه وآله داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهو الذي وضع حجر الأساس للجهاد الداخلي والخارجي. فبالرغم من كل المصاعب جهَّز

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٩٩٠.

النبي ﷺ ثلاث حملات إلىٰ بلاد الروم (الشام). فيكون النبي ﷺ في مدة قصيرة قد فتح جزيرة العرب، وأرسل جيوشه إلىٰ خارجها.

وبهذا يتوضّح أنَّ نظرية الغزو والجهاد قد أسّسها الرسول ﷺ وقادها بنفسه، فتعوَّد المسلمون علىٰ هذا الاندفاع والاستبسال لطلب الأجر والثواب والرغبة في الشهادة.

وهذا الاندفاع البطولي لم تقف أمامه جيوش كسرىٰ وجحافل هرقل ولم تصدَّه جبال ايران ولا مضيق الاندلس.

عليه نعرف أنَّ الجهاد والغزو الذي دعا إليه اللهُ في محكم كتابه وحديث رسوله هو الذي علَّم المسلمين الحرب في سبيل الله لفتح البلدان الاخرىٰ ونشر راية الإسلام.

فلم تقف أمام جيوش المسلمين فيلة رستم، ولا الأعداد الهائلة من جنده، فتلك الجيوش الموحّدة التي تعوَّدت على الحرب، بقلَّة العدد والعدة، والاعتماد علىٰ نصر الله، والركون إلى الايمان، والتوسل بالشهادة، لم تلتفت وراءها، بل صوَّبت وجوهها إلى الأمام لفتح الحصون تمهيداً لفتح القلوب بنور الإسلام.

وبلغت تلك الجيوش حدّاً من التوكل على الله سبحانه والاحتماء بالتقوىٰ، أنَّها كانت تنتصر على الاعداء في جبهات القتال ضد الكفر حتىٰ في زمن ملوك بني أميَّة البعيدين عن التقوىٰ!

فبينما كانت جيوش الموحدين تستبسل في جبهات القتال في الهند والأندلس. كان الوليد بن يزيد يقضي ليله في الغناء والسكر مع بطانته وحاشيته الفاسدتين. حتّىٰ بلغ الأمر حالة من التدهور، ان قتلت السلطة الأموية موسىٰ بن نصير فاتح الاندلس مع أبنائه، كي تسلب منه الشهرة والفخر، وتبقىٰ وحدها صاحبة ذلك؟!

وقال عبد الله بن عامر: رأيي لك يا امير المؤمنين (عثمان) أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمّرهم في المغازي، حتىٰ يذلُّوا لك، فلا تكون همة احدهم الا نفسه، وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته[1].

فهدف الغزو هنا اذلال الناس واشغالهم وليس الفتح الإسلامي ونشر الدين. وفي احيان اخرىٰ كان هدف الملك المال وليس الإسلام، إذ اخبر احد الولاة هشام بن عبد الملك بقلّة الموارد المالية في بلاده، فقال له هشام: إحلب الدر فان إنقطع إحلب الدم! واعاد هشام الجزية علىٰ من أسلم من أهل السغد فكفرت السغد وبخارىٰ[2]. ولمّا ضعفت بعض الموارد المالية بسبب تحوُّل الكفار نحو الإسلام قرّرت السلطة الاموية اخذ الجزية منهم ولو أسلموا!

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد والغزو:

﴿ والَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ آوَوا ونَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغفِرَةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ ﴾[3]. ﴿ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا ﴾[4].

كما قال النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحثُّ على الغزو والجهاد، وشارك بنفسه في حروب الجهاد والفتح، فكان هذا اكبر دليل علىٰ تشجيعه لذلك... ولقد غزا النبي ﷺ بنفسه وبقيادته ثمان وعشرين غزوة؟!! ولمّا بلغ عمر النبي ﷺ الشريف ﷺ ثلاثاً وستين سنة، أستمر في حضور ساحات الحرب والقتال.

---

(١) تجارب الامم، مسكوية ٢٧٣/٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣٩٨/٥، ٣٩٩.

(٣) الانفال: ٧٤.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

نظريتان في قيادة الجيوش

كانت عقيدة النبي ﷺ ونظريته أن يقود الجيوش في الحرب بنفسه، كلّما أمكنت الفرصة، وخاصّة في الحروب الفاصلة والخطرة، مثل بدر، واحد، والخندق، وخيبر، وفتح مكّة، وحنين، وتبوك ضدّ الروم. فقد قاد ﷺ بنفسه حرب بدر مع أكثر من ثلاثمائة مقاتل داخل جزيرة العرب وقاد جيش تبوك إلى الشام، المؤلف من ثلاثين الف محارب.

ولم يمنع النبي ﷺ من ذلك كبر سنّه، ولا خوف مقتله، فتخلو الارض من نبي ﷺ (وهو خاتم الانبياء). ولم يعتذر بعدم اكماله الرسالة السماوية. فلم يرسل غيره قائداً في الحروب الفاصلة بالرغم من وجود قيادات فذّة في جيشه مثل الإمام علي ؑ، وحمزة.

إذن كانت نظريّة النبي ﷺ تتمثّل في قيادة القائد السياسي للحروب، وعدم تفكيك الأمر إلىٰ قيادتين سياسية وعسكرية. ولمّا جاء أبو بكر إلى السلطة كانت نظريته تعتمد علىٰ مسك زمام السلطتين السياسية والعسكرية. وتستند علىٰ عدم قيادة الجيوش بنفسه وعدم حضور ساحات الحرب والجهاد.

فلقد أرسل قيادات عسكرية مثل خالد بن الوليد، واسامة بن زيد، وابن الجراح لقيادة الجيوش واستقرّ هو في القيادة السياسية.

وحتىٰ في حروب المعارضة في داخل الجزيرة العربية، التي كانت حروباً فاصلة، فضّل أبو بكر عدم المشاركة فيها.

لذلك لم يشترك أبو بكر في أي حرب بعد موت الرسول ﷺ. ومواقفه هذه في تجنّب الحضور والمشاركة في الحرب هي امتداد لما فعله مع عمر في معارك أحد، وخيبر، وحنين، وحملة أسامة.

وقد التفت الأمويون إلىٰ مخالفة أبي بكر لنظرية رسول الله ﷺ في قيادة الجيوش، فوضعوا رواية تعذر أبا بكر من ذلك، إذ جاء: أن أبا بكر خرج إلىٰ ذي القصَّة، وهمَّ بالمسير بنفسه، فقال له المسلمون: إنَّك لا تصنع بالمسير بنفسك شيئاً، ولا ندري لِمَ تقصد؟ فأمِّر رجلاً تأمنه وتثق به وارجع إلى المدينة، فإنَّك تركتها تغلي بالنفاق، فعقد لخالد بن الوليد على الناس[1].

ولم تكن المدينة خالية إذ ترك أبو بكر عمر بن الخطاب فيها. لكنّ النبي ﷺ ذهب إلىٰ حملة تبوك رغم حركة المنافقين في المدينة.

ووضع الأمويون أحاديث علىٰ لسان علي بن أبي طالب ﷺ تطلب من أبي بكر وعمر عدم الذهاب إلى الحروب، بينما ذهب ﷺ هو نفسه في الحروب كلها وعندما جاء عمر بن الخطاب إلى السلطة، لم يتَّبع أيضاً نظريَّة الرسول ﷺ في قيادة الجيوش بنفسه وسار علىٰ نظريَّة أبي بكر. وبالرغم من طول فترة حكم الخليفة عمر، ودخول البلاد في حرب فاصلة وخطرة، فانّ عمر فضَّل عدم المشاركة فيها. بينما ذهب النبي ﷺ بنفسه لحرب كفار قريش والجزيرة، واليهود، وسار بنفسه لحرب الروم في الشام.

وكان قوّاده العسكريون هم: سعد بن أبي وقاص، وابن الجراح وعمرو بن العاص، والنعمان بن مقرن، وهاشم بن عتبة، ولم يذهب الخليفة عمر إلى الشام إلاّ بعد فتحها.

وهكذا انقضت فترة العشر سنوات من حكم عمر، دون اشتراك منه في أي حرب ميدانية؟! ولكنّه كان يتابع عمليات القتال، وشؤون الحرب من المدينة.

ولمّا جاء عثمان وحكم اثنتي عشرة سنة، سار فيها علىٰ نظريَّة أبي بكر وعمر في عدم المشاركة في الحرب الميدانية بنفسه. فكان من قوَّاده الوليد بن عقبة، وعبد

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٥١. ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

الله بن نافع بن عبد القيس، وسعيد بن العاص، والاحنف بن قيس.

ويذكر أنَّ عثمان تغيَّب عن حرب بدر وفرَّ من معركة احد، فعاد بعد ثلاثة أيام[١] فقال له الرسول ﷺ: لقد جعلتها عريضة ؟! وفرَّ في معركة حنين. ولم يشترك في المعارك الآخرىٰ ![٢]

ولمّا وصل أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الخلافة، نبذ نظريَّة أبي بكر وعمر وعثمان في عدم المشاركة في الحروب وقيادة الجيوش وقاد جيش المسلمين المؤلف من معظم محاربي بدر، واحد، وخيبر نحو مدينة البصرة، فذكَّرهم هذا بقيادة علي عليه السلام لهم في معركة خيبر وانتصاره على اليهود وقتله بطلهم مرحباً وسيدهم الحارث ورفع باب حصنهم بيده.

وكان النبي ﷺ قد أعطى الراية يوم خيبر إلىٰ أبي بكر فانهزم أمام اليهود كما ذكر الطبري: أعطىٰ رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ يجبّنه أصحابه ويجبّنهم.

فقال رسول الله ﷺ لأعطين اللواء غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ. فلمّا كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا علياً عليه السلام وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء[٣].

ولمّا انتصر الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل في البصرة علىٰ ناكثي بيعته توجّه بنفسه لقيادة الحرب ضد جيش معاوية (القاسطين).

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ص١٩٣، ١٩٤، طبع دار الكتب في مصر.

(٢) مغازي الواقدي ١/٢٤٠، أنساب الأشراف ١/٣٢٦، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/٣٩٠، طبع الدار العربية بمصر، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/١٥٨، مختصر تاريخ ابن عساكر ٥/١٨٠، تاريخ الخميس، حسين الديار بكري ص١٠٢، مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٠٠.

وفي معركة صفّين كما في معركة الجمل وخيبر وبدر واحد، كان علي ﷺ يحارب كما ذكره جبرائيل في معركة احد «لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار»[١]. فكان علي ﷺ يصارع الأبطال ويبارزهم (وهو قائد الجيش) ويخترق الصفوف، ويطوي اليمين على الشمال بسيفه، غير مبال بنبلهم ورماحهم وسيوفهم. سأل رجل ابن عباس ﷺ: أكان علي ﷺ يباشر القتال بنفسه يوم صفين؟ فقال: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلفة مثل علي ﷺ لقد كنت أراه يخرج حاسراً عن رأسه بيده السيف إلى الرجل الدراع فيقتله. ومما يؤثر من شجاعة علي ﷺ: أنه كان إذا اعتلىٰ قدّ، وإذا اعترض قطّ، فالقد: قطع الشيئ طولاً، والقط: قطعه عرضاً[٢].

ولم يكن عنده خوف يمنعه من القتال ولم يختلقوا حججاً له أنّه لو قُتِل لتحطّم الإسلام أو لضاع المسلمون وبعد معركة الجمل وصفّين، تحرّك الإمام علي ﷺ بجيشه نحو حرب الخوارج. وفي هذه المعركة ايضاً لم يندب شخصاً للحرب بدلاً عنه، بل ذهب بنفسه، وهناك انتصر عليهم في النهروان مثلما انتصر انتصاراً كاسحاً على اليهود في خيبر.

وكما كان النبي ﷺ في عمر ثلاثة وستين سنة في ساحات الوغىٰ والجهاد، كان الإمام علي ﷺ في هذه السن في ساحات الجهاد، يحارب الناكثين والقاسطين والمارقين. بينما كان عمر يعتقد بضرورة بقائه في عاصمة الدولة الاسلامية، وعدم خروجه للحرب والجهاد ليس في خلافته فحسب بل في خلافة أبي بكر. فلما طلب أبو بكر أن يتجهزوا إلى الروم، سكت الناس، فقام عمر، فقال: لو كان عَرَضاً قريباً وسَفَراً قاصداً لانتدبتموه. فقام عمرو بن سعيد (بن العاص) فقال:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٧.

(٢) حياة الحيوان الكبرى، الدميري ١/٨١.

لنا تضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب، فما يمنعك أنت ما عبت علينا فيه؟[١]

ورغم الكلمات القارصة التي وجّهها عمرو بن سعيد واسامة بن زيد وغيرهم لأبي بكر وعمر والحاح النبي ﷺ على الجهاد، فقد امتنعا مع عثمان من الالتحاق بأي حرب داخلية وخارجية، بصفة قادة أو بصفة جنود!

وكان عمرو بن سعيد الأموي من المهاجرين إلى الحبشة والمجاهدين الأبطال الذين استشهدوا في معركة اجنادين مع الروم[٢]. ولما طلب أبو بكر من اسامة ابن زياد إذناً ببقائه (عمر) في المدينة وتخلّفه عن تلك الحملة. قال اسامة لأبي بكر: فما تقول في نفسك؟ فقال: يا ابن أخي فعل الناس ما ترىٰ فدع لي عمر، وانفذ لوجهك[٣]. وقد سار الأمويون في الشام علىٰ نظرية أبي بكر وعمر وعثمان، في عدم خروج الخليفة إلىٰ ساحات الغزو والجهاد. وتبع العباسيون أبا بكر وعمر وعثمان في نظريتهم تلك.

وفي زمن الدولة العثمانية سار ملوكهم الأوائل علىٰ نظرية النبي محمد ﷺ ووصيّه علي ﷺ في الحرب فوصل سليمان القانوني إلىٰ أطراف فينا، بعد ان اكتسح جيشه مساحات شاسعة من امبراطورية النمسا وهنگاريا.

وكانت الفترة الثانية من زمن الدولة العثمانية متّسمة بالضعف والانحطاط لعدم قيادة ملوكها للحرب، وعدم اهتمامهم بها، وانشغالهم بالترف[٤].

وفي مقابل المسلمين كان هرقل يقود جيوش الدولة الرومية في كثير من الأحيان بنفسه. وكان الاسكندر المقدوني انتصر علىٰ الفرس بنفسه. إذ عبر الاسكندر تركيا والعراق لمحاربة الفرس في عقر دارهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٣٣/٢، طبعة لندن.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١١/١٩ ـ ٢١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣٣٥/٢، تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢.

(٤) راجع كتاب سقوط الدول والحكومات، دراسة في النموذج العثماني للمؤلف.

والمعروف ان الجهاد يورث الشدة والقوة والزهد والفرار من الزحف يتلازم في أكثر الأحيان مع الترف واللهو.

ثم برزت مشكلة لاحقة للدول الإسلامية، تمثّلت في قيادة جنكيز خان وابنائه لجيوشهم في غزوهم للدول الإسلامية، وفرار الزعامات الإسلامية (المتمثّلة في ملوك ذلك الوقت) من قيادة جيوشها، فانتصر المغول على المسلمين، وقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم واحرقوا مدنهم.

وتبع ذلك الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، التي كان يقودها ملوك اوروبا بانفسهم، من مثل ريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا، ولويس السابع ملك فرنسا، وملوك آخرين من دول اوروبا. ولولا قيادة صلاح الدين الايوبي لجيوش المسلمين بنفسه، لمواجهة ملوك أوربا في حروبهم الصليبية، لخسر المسلمون ما فتحوه في بداية العصر الإسلامي.

وفي الأندلس بدأت القيادات الإسلامية (زمن الأمويين والمرابطين والموحدين) حكمها بقيادتها لجيوش المسلمين، فانتصرت في الحروب الحاسمة والفاصلة. ووصلت إلىٰ أطراف باريس. ولمّا انشغل ملوك المسلمين بأنفسهم، وتركوا الجهاد والغزو بانفسهم، غزتهم جيوش الاسبان، التي كان يقودها الملك فرديناند والملكة ايزابلا. ولمّا تزوّج ذلك الملك من تلك الملكة واتّحدت جيوشهما ودولتهما، بدأ العد التنازلي لوجود المسلمين في الاندلس!

والجدير بالملاحظة ان الملكة ايزابلا، قبل زواجها وبعد زواجها من الملك فرديناند، قضت سنوات طويلة من عمرها في ساحات الحرب والغزو ضدّ المسلمين، ولم تتوقف عن الحرب الا بعد انتصار الاسبان النهائي على المسلمين؟!! ولقد تعلّمت الملكة ايزابلا هذه السيرة القتالية من ملوك المسلمين الأوائل[١].

---

(١) انظر كتاب سقوط الدول والحكومات، دراسة في النموذج الأندلسي للمؤلف.

تأسيس الحزب القرشي

وثقافته وأعماله

الحركة الحزبية لقبائل قريش

لقد كانت الخلافات بينَ أهلِ يثربَ وأهل مكّةَ واضحةً للعَيانِ قبلَ الإسلام وبعدَه. وهذه الخِلافات تعود لأُصولٍ قَبَلِية واقليمية، إذ تنتمي قبيلتا المدينة (الأوس والخزرج) الىٰ قبائِلِ اليمن القَحطانية، وتنتمي قبائلُ قريش إلى القبائل العدنانية.

ووفقاً للعادات والثقافة الجاهلية فقد كانت الإنقسامات، بادية على الفريقين، ولما جاء الإسلام حَصُلَتْ تغييراتٌ في هذه البنية، إذ التحق مسلمو قريش بالمدينة وحالفوا الأنصار تحتَ رايةِ الإسلام، ودَخلوا في حروبٍ طاحنة ضِدَّ قَبائِلِ قريش.

وبعد فتح مكّة ودخول أهلها الإسلام تحت راية الطلقاء، اختلفت الموازين السابقة، وعاد الانتماء القبلي للمهاجرين إلىٰ سابق عهده.

فاصبح الوجود القرشي وجوداً واحداً مؤلّفاً من المهاجرين والطلقاء، نتيجة للإنتماء الأقليمي، والقبلي للأفراد.

وفي مدة الثلاث سنوات الأخيرة من حياة الرسول ﷺ، الممتدة من زمن فتح مكّة إلىٰ تاريخ وفاته، تبلورت حركة تأسيس الحزب القرشي.

وبينما تمثلت حركة قبائل قريش قبل الإسلام في أطروحة القضاء على الرسول والرسالة، تمحورت في المرحلة الثانية في أطروحة السيطرة على الخلافة

الإسلامية. وكلما ازداد تأكيد النبي ﷺ على خلافة علي بن أبي طالب ؑ، ازداد تمحور قبائل قريش حول نفسها ونشط سعيها لقبض السلطة.

وبينما اشتدت حالة التحالف بين الأنصار وبني هاشم، اشتدَّت في الناحية الأخرى حالة التحالف بين المهاجرين والطلقاء باستثناء مجموعة من المهاجرين بقيت مع بني هاشم.

وقد انفجر ذلك الوضع بعد بيعة أبي بكر، بين قريش من جهة وبني هاشم والأنصار من جهة أخرى، وكادت أن تقع حرب طاحنة بين الطرفين تضع الإسلام في موقف حرج، لولا حكمة علي بن أبي طالب ؑ، الذي غضَّ النظر عن حقوقه في الخلافة وهجوم قريش على منزله قائلاً: «فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجاً[١] أرى تراثي نهباً[٢]».

فانحسرت عامة الأنصار عن أبي بكر[٣] وتجمع طلقاء قريش مع أبي بكر، فقاد عمرو بن العاص بعد مجيئه من السفر فتنة عظمى ضد الأنصار اذ بدأ بمهاجمتهم وذمّهم مع باقي عتاة قريش من أمثال عكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة بن أبي معيط[٤]. وهكذا أصبح عكرمة بن أبي جهل وابن العاص والوليد بن عقبة من رؤوس الحزب القرشي ومن الطبيعي انضمام أبي سفيان واولاده الى صفوف ذلك الحزب لمحاربة بني هاشم والأنصار فعادت الحرب الى ما كانت عليه في الجاهلية ولكن بلباس اسلامي لقريش.

ولما كان ابو سفيان قائداً لطلقاء مكّة، وزعيماً لهم، يتوضح لنا بأنَّ خلافة

---

(١) عظم ونحوه.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦، ٣٠-٣٩، السقيفة، أبو بكر الجوهري، الموفقيات، الزبير بن بكار، ص ٥٩١، ٥٩٥ .

عثمان لم تأتِ بطريق الصدفة، بل جاءت اثر تحالفات قبلية قرشية غايتها السيطرة علىٰ خلافة المسلمين.

فبعد فتح مكة في السنة الثامنة هجرية تبلورت تدريجياً فكرة تأسيس الحزب القرشي، الهادف للسيطرة على الخلافة لصالح قبائل قريش.

وكما هو شأن أي حزب في التعصب لأفكاره، وأهدافه، وأشخاصه، ونبذ أفكار وأهداف واشخاص التجمعات الأُخرىٰ، كذلك كان الحزب القرشي.

وفعلاً كان أفراد الحزب القريشي أوفياء لمبدأ توزيع السلطة علىٰ قبائل قريش، فكان المرسوم أولاً خلافة أبي بكر ثمّ عمر ثمّ ابن الجراح، أي خلافة تَيم ثم عدي ثم فِهر. ولكن حصل تعديل في الخطة بحذف إبن الجراح ليحل محله عثمان الأموي ليتبعه ابن عوف من بني زُهرة.

وكانت أمُّ المؤمنين عائشة ركناً مهماً في هذا الحزب، لفعاليتها الدائمة، وقدراتها الشخصية القوية. وبالرغم من عدم إعلان الحزب عن نفسه، إلّا انَّ الشواهد كلُّها تؤيد تأسيسه، وعمله في الأحداث الخطيرة، قبل وبعد وفاة الرسول ﷺ. ولأنَّ مُعظم قيادة هذا الحزب كانت من قريش، فقد غلب عليه طابع التجمع القرشي. وكان أهالي قريش هم المؤسسون الأوائل لهذا الحزب، وعقله المفكر وقيادته الأساسية. وفي زمن الخليفة أبي بكر برز نجم عثمان بن عفان في قيادة الحزب، مُمثّلاً لبني أميّة ومدعوماً من قبل أبي سفيان وقريش، حتّىٰ بلغ الأمر به أن كتب وصيّة أبي بكر لعمر بن الخطاب واصبح معاوية والياً على الشام.

ولمّا أقطع أبو بكر أرضاً للأقرع بن حابس والزبرقان وكتب لهما كتاباً، قال عثمان: أَشهِدا عُمَرَ، فإنّه أحرز لأمركما، وهو الخليفة بعده، فأتيا عمر فقال: مَنْ كتب لكما هذا الكتاب؟ قالا: أبا بكر[1].

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي ٦/٣٣٥.

تأسيس الحزب القرشي

جاء في القرآن الكريم آيات عن الحزبية منها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[(١)].

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمرَهُم بَينَهُم زُبُراً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾[(٢)].

﴿أُولَئِكَ حِزبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزبَ الله هُمُ المُفلِحُونَ﴾[(٣)].

﴿أُولَئِكَ حِزبُ الشيطانِ أَلا إِنَّ حِزبَ الشَّيطَانِ هُمُ الخاسِرُون﴾[(٤)].

فتكون الأحزاب في الوصف القرآني على قسمين قسم الهي، وقسم شيطاني.

والحِزْبُ: جماعة الناس، والجمع أحزاب. وحِزْبُ الرجل: أصحابُه وجُنْدُه الذين على رأيه. والحزب: الطائفة[(٥)].

والعُصْبة: جماعة ما بين العشرة الى الأربعين، وفي التنزيل العزيز: ونحن عُصْبةٌ[(٦)].

وبذلك تكون كلمتا حزب وعصبة موضوعتان لمعنىً واحد، ويقصد به جماعة من الناس، ولكن كلمة الحزب وضعت لجماعة أكثر عدداً من العصبة.

وقد جاءت عبارة حزب قريش في الكتب تحت عبارة عصبة قريش أو

---

(١) المائدة، ٥٦.

(٢) المؤمنون، ٥٣.

(٣) المجادلة، ٢٢.

(٤) المجادلة، ٢١.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ٣٠٨/١، أقرب الموارد، الشرتوني ١٨٦/١.

(٦) لسان العرب ٦٠٥/١.

قريش فقط.

وكانت جماعة قريش قبل فتح مكّة، قد أعلنت كفرها ووقوفها ضدّ النبي ﷺ، وأهل بيته، بينما وقفت جماعة الأنصار معه. فقال النبي ﷺ: «لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً، سلكت وادي الأنصار»[1].

ولم يقتصر أفراد حزب قريش على القرشيين، بل انضم اليهم عدّة أفراد يشتركون مع رجال قريش في الأهداف. ومن هؤلاء الرجال: المغيرة بن شعبة الثقفي، أبو موسى الأشعري اليمني، سالم مولىٰ أبي حذيفة العجمي، أبو هريرة الأزدي، أسيد بن حضير الأوسي، بشير بن سعد الخزرجي، محمد بن مسلمة الأوسي، معاذ بن جبل الخزرجي، وزيد بن ثابت المسلم اليهودي الأصل.

ومع وجود هؤلاء الأفراد القادمين من مناطق وقبائل مختلفة لا يمكننا ان نسمّي هؤلاء بقبيلة قريش، بل نسميهم بحزب قريش، أو حزب أبي بكر وعمر.

ولم يصرّح ذلك الحزب بوجوده الرسمي، ولكنَّ وجوده الفعلي ظاهر وأعمال الحزب التي ثبّتها تشير الىٰ وجوده، والقرائن كثيرة.

قال المستشرق لانس: «إنَّ الحزب القرشي الذي يرأسه أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح لم يكن وليد الساعة، أو ارتجالاً، وإنما كان وليد مؤامرة سرّية محرمة، حيكت أصولها، ورتبت أطرافها، بكل أحكام واتقان، وإنّ ابطال هذه المؤامرة أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، وعائشة، وحفصة، وغيرهم».

والقرائن التي تشير الىٰ وجود حزب قريش كثيرة منها:

سعي ذلك الحزب للتسلط على الحكم وتعيين أفراده، وفعلاً سيطر حزب قريش على السلطة في زمن الخلفاء وفي زمن الأمويين.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٤، تاريخ الخلفاء، السيوطي باب أحاديث أبي بكر. ٩١

: حصر الخلافة في قريش الى الأبد. وقد اضطر رجال قريش لاثبات هذا الجانب الىٰ اجراء تغيير في الحديث النبوي القائل: الخلفاء من بعدي اثنا عشر، لتنطبق علىٰ رجال الحزب. وذلك للحصول علىٰ تأييد وسند ديني لأهدافهم وأعمالهم وحذف النص الديني الخاص بأهل البيت عليهم السلام.

وقد جاء في الحديث الصحيح: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من بني هاشم[1].

: تناوب قبائل قريش للخلافة. فمن أدلة وجود حزب قريش على الأرض السياسية في تلك الحقبة التاريخية، هو تناوب رجال الحزب للسلطة دون غيرهم من الخطوط والاتجاهات السياسية من مثل بني هاشم والأنصار وباقي عرب الجزيرة المسلمين.

وظاهر الأمر، ان حزب قريش قد تأسّس في زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله، ثمّ نضج بعد أمرين:

الأمر الأول: تصريح النبي صلى الله عليه وآله في موسم الحج في مكّة بحديث: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض يوم القيامة[2]. وتصريحاته الأخرىٰ صلى الله عليه وآله مثل: علي فيكم مثل هارون من موسىٰ[3].

ونزول الآيات القرآنية المشيرة الىٰ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام مثل:

﴿إنّما وَلِيُّكم اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِين يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكَاةَ

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الباب السابع والسبعين. ٥٣٣

(٢) صحيح مسلم ١٢٢/٧، مسند احمد ١٨١/٥، صحيح الترمذي ٦٢١/٥، كنز العمال ٤٨/١.

(٣) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني ٣١٨/٢ ط. الأعلمي، بيروت، صحيح البخاري ٢٤/٥، صحيح مسلم ١٧٣/١٥.

وهُمْ راكِعُونَ ﴾[١].

﴿ يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٢].

والأمر الثاني: تصريح النبي ﷺ بوفاته القريبة[٣].

انّ اختلافَ حزبِ قريش مع النبي ﷺ، يَكمُنُ بالدرجة الأولىٰ في خلافته السياسية، فهو يريد علياً ﷺ خليفة أول من الخلفاء الأثني عشر الذين آخرهم الإمام المهدي (عج).

وحزب قريش، يريد تناوب الخلافة السياسية بين قبائل قريش، دون بني هاشم. ولم يكن أفراد حزب قريش، وحدهم المطالبين بالخلافة السياسية، بل ان مسيلمة الكذاب كان مطلبه مشابهاً لهذا. وكذلك طالبت بعض قبائل العرب بالخلافة السياسية مقابل دخولها الإسلام.

ورفض النعمان بن الحارث الفهري خلافة علي ﷺ للنبي ﷺ[٤]، فنزلت عليه نقمة الله تعالىٰ. السيرة الحلبية ٢٧٥/٣.

وفي تلك الفترة بالذات، تمحور المؤيدون لخلافة الإمام علي ﷺ حوله، معلنين تأييدهم لخلافته الدينية والسياسية، وتمحور القرشيون حول أبي بكر وعمر.

: حادثة السقيفة، التي خطَّط لها رجال حزب قريش ودبَّروها، قد أثبتت اثباتاً قاطعاً وجود حزب قريش. فلقد وقعت تلك الحادثة في ظرف استثنائي قبل دفن النبي ﷺ، وكانت قيادة تلك الواقعة بيد رجال الحزب.

---

(١) المائدة، ٥٥.

(٢) التوبة، ١١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣٥/٢ طبع مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، صحيح البخاري، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

(٤) تفسير الثعلبي ص ٢٣٤، شواهد التنزيل، الحاكم ١٠٨٣/٢، تفسير القرطبي ٢٧٨/١٨.

وحصر رجال الحزب الخلافة في أنفسهم، وابعدوا غيرهم عنها. إذ قال أبو بكر موجهاً كلامه للحاضرين في السقيفة: «إنِّي ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح وعمر، فبايعوا من شئتم منهما. فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك، وانت بين أظهرنا[١].

وبينما حصرت قيادة الحزب الخلافة في رموزها، كانت جماهير الأنصار الحاضرة تنادي: لا نبايع إلّا علياً[٢].

فقال عمر لابي بكر: ابسط يدك أبايعك.

وبعد سنتين من ذلك التاريخ جاءت وصيّة أبي بكر لعمر: «إنِّي استخلفت عليكم عمر بن الخطاب»[٣].

وكما هو حاصل في أي حزب في حصر القرارات والقيادة والأهداف بذلك الحزب، فقد تنكَّرت قيادة قريش لنداءات الجماهير، والنصوص النبوية، وأصرَّت على خططها الحزبية، بتعيين قائد حزبها قائداً للأمَّة.

وجاء في تاريخ الطبري وصف للسقيفة كالآتي: «وكانت فلتة كفلتات الجاهلية»[٤].

وتبرز رؤية عمر في دعم أفراد حزب قريش في قوله قبل موته: لو كان معاذ (الانصاري) حيّاً لوليته، ولو كان سالم (العجمي) حيّاً لوليته، ولو كان أبو عبيدة حيّاً لوليته[٥] فكانت رؤية حزبية.

---

(١) الإمامة والسياسة ٩.

(٢) تاريخ الطبري ١٩٨/٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٦٥/٢.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٤٥٩/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤٥٩/٢ طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٥) ولا يعني قول عمر هذا أنّه سوف يوليهم فعلاً، بل يبيّن دعمه لأفراد حزب قريش على حساب عشرات الآلاف من الصحابة.

وذهب عمر الىٰ أبعد من ذلك حين اوصى لأفراد الحزب بالخلافة والولاية إذ أوصىٰ لسعد بن أبي وقاص بولاية الكوفة وأبي موسى الأشعري بولاية البصرة، ولمعاوية بولاية الشام[١].

إنَّ توجهات أبي بكر وعمر الحزبية هي التي دعتهما لعدم الإعتماد على الحركة القبلية لعشيرتيهما في الخلافة وفي الوظائف الحساسة في الدولة. فلم يعيّنا زيد بن الخطاب وعبد الله وعبيد الله ابني عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر في جهاز الدولة.

ومقابل هذه الحزبية، المخالفة للنصوص الإلهية والآراء الشعبية، قال الإمام علي ﷺ: فجزت قريش عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمّي[٢].

واضاف ﷺ: اللهم أنّي استعينك علىٰ قريش، ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، واجمعوا علىٰ منازعتي أمراً لي[٣].

وقد برزت نواة الملتحقين بالإمام علي ﷺ في زمن النبي ﷺ من أمثال عمار، وأبي ذر، وسلمان، والمقداد، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن أُبي، وبريدة بن الحصيب، وخالد بن سعيد بن العاص، وابان بن سعيد بن العاص.

إنّ حركة علي بن أبي طالب ﷺ حركة جماهيرية، تسير على النصوص الإلهية ،.والبيعة الشعبية، وبالتالي فهي حركة تخالف المسيرة الحزبية، التي سار عليها أبو بكر وعمر وابن الجراح وعثمان وابن عوف والمغيرة، وأبو سفيان.

ولكنّ البعض لم يفهم الفرق بين الحركة الجماهيرية والحركة الحزبية ومن هؤلاء طه حسين.

---

(١) لأن خلافة عثمان تعني استمرار ولاية معاوية وباقي أفراد بني أميّة.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦٧/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٧/١، ١٠٣/٢.

الذي اعتقد أنَّ فرقة الشيعة بالمعنى الاصطلاحي المعروف إنَّما نشأت وتكرّست، وأصبحت حزباً سياسياً منظماً لعلي وبنيه بعد أن وقع الصلح بين الحسن ومعاوية، وبعد أن نكث هذا بالعهد، ولم يفِ بما إشترطه علىٰ نفسه.

وقد قال طه حسين عن الشيعة، بأنَّهم حزب سياسي معارض لسياسة البغي والجور[١].

والفرق الأساسي بين نهج علي ﷺ ونهج الحزب القرشي يتمثّل في السير على الشريعة الإسلامية بحذا فيرها عند علي ﷺ واتباع نظرية المصلح عندهم[٢].

وسميت قضيّة رعاية المصالح الحزبية عند قريش برعاية المصلحة العامة، وهي التي سمّاها أبو بكر وعمر لاحقاً بنظرية الإجتهاد.

فكانت الإجتهادات كثيرة عند أفراد حزب قريش، وفي جوانب مختلفة، أي انها شملت الجوانب العبادية والسياسية والإجتماعية. وبالتالي تكون نظريّة الإجتهاد ابناً من ابناء النظرية الحزبية القرشية.

بين توجهات أبي بكر وعمر الحزبية وتوجهات عثمان القبلية

الخلاف بين وجهتي نظر أبي بكر وعمر من جهة وبين عثمان من جهة أخرىٰ يتمثل في، أنَّ أبا بكر وعمر المعتمدين على النظرية الحزبية قد تركا خلافة ابنيهما عبد الرحمن وعبد الله، وتوظيفهما في ولايات الدولة، رعاية لتحالف قريش، بينما عيَّن عثمان أفراد بني أميّة في تلك المناصب الحساسة علىٰ حساب أفراد الحزب القرشي، فخسر تأييد ذلك الحزب وخسر تأييد أفراد الأمّة.

---

(١) الفتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين ٢/١٨٩ ـ ١٩٢

(٢) فخالف الحزب نص الغدير في خلافة علي ﷺ ونصوصاً أخرىٰ.

فوقفت عائشة (المنتمية الى الحزب القرشي) الىٰ جانب عمار في رفض حكومة عثمان، بل وقف أفراد الحزب الآخرون مثل ابن عوف وابن العاص والمغيرة ضد عثمان الخارج على النظرية الحزبية.

واثبتت الأحداث أنَّ الحركة الحزبية لعمر بن الخطاب أقوىٰ من الحركة القبلية لعثمان بن عفان، فنجحت الأولىٰ وفشلت الثانية فعزل عثمان رجال الحزب القرشي عن وظائفهم ومنهم عمرو بن العاص عن مصر والأشعري عن البصرة والمغيرة عن الكوفة. وجعل بدلاً عنهم ولاة أمويين غير مجرَّبين ومعلنين للفسق والفجور مثل الوليد بن عُقْبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن أبي سرح ثم أضطر عثمان لوضع سعيد بدل الوليد ولكنّ أهل الكوفة ثاروا بقيادة مالك الأشتر وطردوا سعيداً ونصَّبوا أبا موسى الأشعري.

وسيطر أهل مصر علىٰ بلدهم وطردوا عبد الله بن أبي سرح. وهكذا تكون عودة الأشعري إلى الحكم علىٰ رغم ارادة عثمان[1].

وقد كان أبو سفيان ومروان بن الحكم والحكم ومعاوية والوليد وابن أبي سرح وابن عامر وسعيد من أعمدة الحركة القبيلية التي سار عليها عثمان.

وتدارك معاوية بن أبي سفيان الأمر بمحاولته التوفيق بين الحركة الحزبية والحركة القبلية فجاء بافراد حزب قريش الى السلطة مثل ابن العاص والمغيرة وأبي هريرة والنعمان بن بشير وعبد الرحمن بن خالد بن بن الوليد وأرضىٰ عائشة.

بنود لحفظ الحزب القرشي من التلاشي

لقد حذَّر عمرُ عثمانَ من توجهه الأموي القبلي بثورة الناس عليه وذبحه

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٣.

علىٰ فراشه[١]. وقد استخدم عمر وابن عوف عدّة أمور لحفظ السلطة في قبائل قريش أو لحفظ الحزب القرشي من التلاشي.

اولاً: حذّر عثمان من توجهه الأموي، بهذا المعنىٰ ان عمر موافق علىٰ خلافة عثمان الأموي، ولكن من دون سيطرة أموية قبلية على البلاد والعباد.

ثانياً: اشترط إبن عوف عليه عند البيعة السير علىٰ نهج الشيخين (أبي بكر وعمر)، أي عدم حصر الخلافة في بني أميّة.

ثالثاً: اشترط عمر عليه (عثمان) تعيين عبد الرحمن بن عوف خليفة له، وزيادة في الحيطة، فقد جعل بيعة عثمان تجري بواسطة ابن عوف، ليردّها عليه.

رابعاً: اوصى عمر إليه بتعيين سعد بن أبي وقاص الزهري والياً على الكوفة، التي كانت تعدُّ اكبر ولاية اسلامية وأغناها. وأوصى إليه تعيين أبي موسى الأشعري والياً على البصرة[٢].

إنّ الحزب الأموي الذي كان خطّاً قوياً في ذلك الحزب القرشي، كان يخطّط للأستيلاء الكامل على السلطة. ونواة الحزب الأموي كانت تتمثّل في أبي سفيان واولاده (معاوية، عتبة، يزيد، عنبسة) وعتاب بن أسيد، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن أبي سرح، وسعيد بن العاص، وعثمان بن عفان، والحكم بن أبي العاص.

وقد تلتبس الأحداث على القارىء في توصية عمر الىٰ ابن عوف بعد عثمان، ووصف عمر لمعاوية بكسرى العرب اقول: إنّ مبدأ تحالف قبائل قريش يقوم علىٰ تناوب الخلافة بينها، وهذا مبدأ واضح لابعاد بني هاشم والأنصار عن الخلافة.

وعمر لا يخالف تولية معاوية الخلافة بعد عثمان لذلك وصفه بكسرى

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٧/٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٤/٩.

العرب، ولكن يخالف تولية الخليفة لابناء قبيلته علىٰ حساب القبائل الآخرىٰ. لأنَّ هذا يؤدِّي الىٰ مقتله وتحطم التحالف القرشي.

وان عمر وأبا بكر ولإدامة سلامة النظام لم يعيِّنا أبناءهما في الوظائف الحكومية وكذلك أرحامهما، وتبعهما ابن عوف بتعيينه عثمان خليفة، وابعاده علياً عليه السلام عنها.

نشاطات الحزب القرشي

واول نشاط بارز لأفراد الحزب تمثَّل في قضيَّة حملة أسامة بن زيد. فلقد رفض الحزب الانخراط في صفوف ذلك الجيش. وذكر الواقدي ذلك قائلاً: في يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر، عقد الرسول صلى الله عليه وآله اللواء لاسامة، وتلكأ الجيش في الخروج لاثني عشر يوماً، وفي يوم السبت لعشر ليال خلت من ربيع الأول عاد جيش أسامة الى المدينة، فغضب النبي صلى الله عليه وآله[1].

ولم تنفع النصيحة النبوية مع المعارضين، ولا حتَّى اللعن النبوي عليهم حيث قال صلى الله عليه وآله: جهِّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلَّف عن جيش أسامة[2].

والظاهر ان ذلك الحزب القرشي قد نضج تنظيمه بعد اعلان النبي صلى الله عليه وآله عن موته الوشيك. وخلافة علي عليه السلام له.

وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وآله قرب موته في حجَّة الوداع، وفي غدير خم، وعند مجيئه إلى المدينة.

إذ قال صلى الله عليه وآله في غدير خم أمام ملأ المسلمين: أيها الناس يوشك أن أدعىٰ

---

(١) مغازي الواقدي ١١١٧/٢، ١١١٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢٩/١.

فأجيب، وقال ﷺ: لعلّي لا القاكم بعد عامي بهذا الموقف أبداً[١].

وقال الرسول ﷺ في حِجَّةِ الوَداع: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرَّة، وإنه عارضني هذا العام مرَّتين، وما أراه الا قد حضر أجلي[٢].

وقال ﷺ: قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلىٰ سدرة المنتهىٰ، قلنا: فمن يغسلك يا نبي الله؟ قال: أهلي الأدنىٰ فالأدنىٰ[٣].

وبعد نجاح الحزب في منع تحرك حملة أسامة بن زيد إلى الشام تمكّن أبو بكر وعمر وجماعتهم من منع النبي ﷺ من كتابة وصيته في يوم الخميس[٤].

وهكذا قام ذلك الحزب بفعلين معارضين للنبي ﷺ أمام الملأ، الأول عدم الانخراط في صفوف جيش اسامة، والثاني منعه من كتابة الوصيَّة النبوية. والفعل الثالث لحزب قريش قد تم قبل الفعلين السابقين وبسرية تامَّة في تبوك، عند اشتراك أبي سفيان مع رجال الحزب في انجاز الخطة الخطيرة بقتل النبي محمد ﷺ[٥].

وتلك الخطة كانت امتداداً لخطط قريش في مكّة بقتل الرسول محمد ﷺ.

وكانت المواجهة الحزبية لهؤلاء منظَّمة ومُعدَّة من قبل خاصة مع عدم ايمانها بالنص الألهي: ﴿إن هُوَ إلَّا وَحيٌ يُوحَىٰ﴾[٦].

وقد بدأت معارضة البعض للنبي ﷺ في حياته واستفحلت بعد مماته.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٣٠٢، الصواعق المحرقة، ابن حجر، صحيح ابن ماجة، باب فضائل أصحاب الرسول ﷺ ١٢، ومستدرك الصحيحين ٣/١١٦.

(٢) صحيح البخاري، باب عرض جبريل القرآن على النبي ﷺ.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٣٥.

(٤) انظر موضوع وصيّة يوم الخميس في هذا الكتاب.

(٥) انظر موضوع حادثة تبوك في هذا الكتاب.

(٦) النجم: ٤.

وكانت هاتان المخالفتان نموذجاً لما جاء في القران الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾[١].

وجاءت المواجهة النبوية قويّة إذ لعن النبي ﷺ من تخلّف عن جيش أسامة[٢].

وفي قضيّة معارضتهم لوصيّته في يوم الخميس قال النبي ﷺ لهم: «قوموا عنّي»[٣].

ولمّا ردَّ عمر وعصبته علىٰ نساء النبي ﷺ المطالبات بجلب ورقة ودواة لكتابة وصيّة النبي ﷺ. قال الرسول ﷺ له ولاصحابه: دعوهنَّ فانّهن خير منكم[٤]. فاجتمعت ثلاثة نصوص نبويّة ضدَّ أفراد تلك العصبة تتمثّل في:

لعن نبوي لها.

ابعاد نبوي لها.

تفضيل نسائه عليهم.

وقد حدث هذا كله في الأسبوع الأخير من حياته ﷺ؟!

ولمّا مات النبي ﷺ، كان أبو بكر في السُّنْحْ عند زوجته، بدل حضوره في الجُرف (محل تجمّع جيش اسامة).

ولمّا مات النبي ﷺ اضطرَّ عمر بن الخطاب ورجال الحزب إلىٰ تأخير دفن

---

(١) آل عمران، ١٤٤.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢٩/١.

(٣) مسند احمد ٣٤٦/٣، صحيح مسلم آخر باب الوصايا، ج٢، السقيفة وفدك، الجوهري، صحيح البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ١١٨/٢.

(٤) كنز العمال ١٣٨/٣.

النبي ﷺ إلىٰ حين مجيْ أبي بكر من السنح. ولمّا جاء أبو بكر من هناك عندها وافق عمر اجراء مراسم دفن النبي ﷺ!

وفي أثناء إنشغال الناس بمراسم دفن الرسول ﷺ عقدت عصبة قريش مجلساً في سقيفة بني ساعدة لمبايعة أبي بكر.

وكانت جماعة الحزب، هي التي دعت في تلك السقيفة إلىٰ خلافة قريش الأبدية وبيعة أبي بكر. والمبايعون كانوا من أفراد ذلك الحزب القرشي وهم: عمر ابن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وبشير بن سعد، وأسيد بن حضير، والمغيرة ابن شعبة، وعبد الرحمن بن عوف، وخالد بن الوليد، ومحمد بن مسلمة، ومُعاذ بن جبل.

وفي البيعة العامّة، جاء عثمان مع أفراد بني أميّة وجاء عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ببني زهرة للبيعة.

وكانت مجموعة من الأنصار وغيرهم قد التحقوا بعصبة قريش وهم بشير ابن سعد، وأسيد بن حضير، ومحمد بن مسلمة، ومعاذ بن جبل.

وقد قال الأنصار في السقيفة لا نبايع الا علياً[١]. وقد أيّد عمر ذلك قائلاً: وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها[٢].

اذن لم يُبايعْ أبا بكر في السقيفة الا رجالُ الحزبِ القُرشي!

ولقد كانت نظريّة هذا الحزب قد قالها عمر بن الخطاب متمثلة في: حسبُنا كتاب الله، وحصر الخلافة في قريش، وتفضيل العرب علىٰ غيرهم، والأيمان بنظريّة المصلحة في تطبيق الشريعة الإسلامية، ومنع تدوين الحديث ونشره، وغير ذلك من آراء ومعتقدات.

---

(١) الكامل في التاريخ ٣٢٥/٢.

(٢) صحيح البخاري ١١١/٤، تاريخ الطبري ٤٤٦/٢، مسند أحمد بن حنبل ٥٥/١.

نظرة الحزب القرشي الى أهل البيت عليهم السلام

كان الكثير من أفراد عصبة قريش من المسلمين الأوائل، وهؤلاء فضّلوا نظرية المصلحة على نظريَّة النص فكانت النتيجة، ان فرضوا نظريَّة حسبنا كتاب الله مقابل نظريَّة الرسول صلى الله عليه وآله المتمثلة في الثقلين (القرآن واهل البيت عليهم السلام). وقد قال عثمان للإمام علي عليه السلام وهو لا يسمعه: واللهِ لا تَصِلُ إليك ولا إلىٰ أحدٍ من ولدك[1] أي الخلافة.

وبينما كانت قيادة الحزب تؤمن بجعل القيادة في قبائل قريش، كان النبي صلى الله عليه وآله يعتقد (وفقاً للنص الالهي) بحصر الخلافة في أهل البيت عليهم السلام، فالنظريتان متضادتان. وقد بيَّن عمر هذا المطلب بصورة جليَّة وواضحة لا لبس فيها. إذ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتُجْحِفُوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت وَوُفِّقَت فأصابت[2].

اذن قيادة الحزب وأدبياته ترفض قيادة الإمام علي وقيادة ابنائه ، ولو كانت هذه القيادة تستند إلىٰ نص الهي أو وصيَّة الهيَّة او بيعة شعبية.

لذا لم يطع رجال الحزب بيعة النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في الغدير، ورفضوا وصيَّة النبي صلى الله عليه وآله له في يوم الخميس، ورفضوا بيعة الناس لعلي عليه السلام بعد مقتل عثمان ايضاً.

فالمصلحة عندهم ابعاد أهل البيت عليهم السلام عن الحكم، ولو اجتمعت في شخصهم النصوص الإلهية والبيعة الشعبية!

فبقي أفراد هذا الحزب ضدَّ ولاية أهل البيت عليهم السلام، وهم أبو سفيان وأولاده

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٣٩/١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٧/٣، تاريخ الطبري ٣٠/٥، قصص العرب ٣٦٣/١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٣/٣، ٢٨٨.

وعكرمة بن أبي جهل، وعتاب بن اسيد، وعبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص، وعمر واولاده (عبد الله وعبيد الله وحفصة)، وأبو بكر، وعائشة، وبشير بن سعد وابنه النعمان، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص، وابنه عمر، وعمرو بن العاص وابناه، والمغيرةُ بن شعبة، وأبو موسى الاشعري، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة، وعشرات آخرون.

فرغم اجتماع النص الإلهي، وبيعتين شعبيتين لعلي عليه السلام، رفض رجال الحزب القرشي ذلك؟!!

وكانت أفكار ذلك الحزب ضدَّ ولاية أهل البيت عليهم السلام تحت شعار حسبنا كتاب الله، وتحت ظل هذا الشعار، مُنع بنو هاشم من تولّي أي منصب في الدولة الإسلامية. ومُنِعَ تدوين ونشر حديث زعيم أهل البيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لعدم اعتقاد رجال الحزب بقول الله تعالىٰ في رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إن هو إلا وحيٌ يوحىٰ﴾، وقد صرَّحوا بذلك وقالوا إنّه صلى الله عليه وآله وسلم رجل يسهو ويخطأ، وقد أعلن الحارث الفهري القرشي ذلك بصراحة في رفضه بيعة الغدير، فنزلت آية ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾، ورغم هذا استمر رجال الحزب في عدم الإهتمام بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

بينما سمحوا وطلبوا تدوين ونشر الشعر الجاهلي وقصص أهل الكتاب.

وبلغ الكره القرشي لأهل البيت عليهم السلام ان وَصَفوا زعيمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالهجر[1]. وكانت عائشة أم المؤمنين لا تقوىٰ علىٰ ذكر اسم علي عليه السلام في أحاديثها. فقد قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه متّكئاً علىٰ قثم بن العباس ورجل آخر[2].

واستمر هذا المنهج القرشي حتّىٰ وصل حدّاً في زمن بني أميّة تمثَّل في اضطهاد كلّ من تسمّىٰ باسم علي عليه السلام.

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٩٠، باب جوائز الوفد، صحيح مسلم ١١/ ٨٩، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٣٣.

وبلغ الخوف بالحسن البصري ان قال: قال أبو زينب، ويقصد به علياً ﷺ. في حين لعن الحزب الأموي علياً ﷺ علىٰ منابر المسلمين أربعين سنة[١]، ولم يذكر البخاري رواية عن الصادق ﷺ.

بينما قال النبي ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ويا علي لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضُك إلّا منافق[٢].

واشتدت مواقف أفراد الحزب القرشي ضدَّ أهل البيت ﷺ متمثلة في:

حمل عائشة رضي الله عنها السلاح ضد الامام علي ﷺ، ومحاربته في معركة الجمل، ثمَّ منعت من دفن الحسن ﷺ مع جدِّه ﷺ.

: حملُ معاويةَ السلاحَ ضدَّ الإمام علي ﷺ بعد بيعته، فحاربه في صفين منادياً بالخلافة لنفسه، ثمّ قَتَلَ الامامَ الحسنَ ﷺ، ولعن الإمام علياً ﷺ وحارب أهل البيت ﷺ حرباً مادّية ومعنويّة لا هوادة فيها. بينما قال رسول الله ﷺ لعلي والحسن والحسين وفاطمة: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

: اشترك ولاة عمر في رفض بيعة الإمام علي ﷺ، وهم ابن شعبة، وابن العاص، والأشعري، وابن أبي وقاص، ومعاوية، وأبو هريرة، وعتبة بن أبي سفيان، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وعتاب بن أسيد الأموي!

: وقف عمرو بن العاص محارباً للإمام علي ﷺ، بالرغم من خلعه من ولاية مصر بأمر عثمان الأموي. فوقف الىٰ جنب معاوية لكونه أحد أعمدة الحزب القرشي.

---

(١) الكامل في التاريخ ٥/٤٢.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الايمان، صحيح الترمذي ٢/٣٠١، صحيح النسائي ٢/٢٧١، صحيح ابن ماجة ١٢، أبو نعيم في حليته ٤/١٨٥.

: وقف المغيرة بن شعبة بكل دهائه مسانداً لبيعة الحزب القرشي في السقيفة، ثمَّ وقف نفس الموقف مع الحزب الأموي، في مواجهته مع أهل البيت ﷺ. بالرغم من إبعاد عثمان له عن وظائف الدولة.

: وبينما وقف رجال الحزب القرشي مؤيدين لأبي بكر في السقيفة سنة ١١ هجرية، ومعارضين لولاية علي ﷺ، نراهم قد وقفوا نفس الموقف، بعد ما يقرب من ثلاثين سنة، تأييداً لمعاوية المحارب لعلي ﷺ!

وذكر أبو مخنف[١]: لمّا نزل عليٌّ ذي قار كتبت عائشة إلىٰ حفصة بنت عمر: أمّا بعد، فإنّي أُخبرك أنَّ علياً قد نزل ذي قار، وأقام بها مرعوباً خائفاً. لما بلغه من عدَّتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشفر، إن تقدَّم عُقر، وأن تأخَّر نُحر، فدعت حفصة جواري لهنَّ يتغنَّين ويضربن بالدفوف، فأمرتهنَّ أن يقلن في غنائهنَّ: ما الخبر، ما الخبر؟ عليٌّ في السفر! كالفرس الأشفر، إنْ تقدَّمَ عُقِر، وإن تأخَّر نُحِر.

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن علىٰ حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغِناء، فبلغ أُمَّ كلثوم بنت عليّ، فلبست جلابيبها، ودخلت عليهن في نسوة متنكرات، ثمَّ أسفرت عن وجهها، فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت، فقالت أُمُّ كلثوم: لئن تظاهرتما عليه اليوم لقد تظاهرتما علىٰ أخيه من قبل فأنزل اللهُ فيكما ما أنزل...

فقالت حفصة: كفّي، رَحِمَكِ الله! وأمرت بالكتاب فمزِّق واستغفرَت.

بينما قال النبي محمد ﷺ: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٥٧/٢.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر ص ١٤٠، المستدرك على الصحيحين ١٦٢/٣، كنز العمال ١٠٣/١٢ ح٣٤١٨٩.

الحزب الأموي ومعركة الجمل وصفين والنهروان

بعث معاوية بن أبي سفيان رجلاً من بني عميس، وكتب معه كتاباً الى الزبير ابن العوام، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين، من معاوية بن أبي سفيان. سلام عليكم، أمّا بعد، فإنّي قد بايعتُ لكَ أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا، كما يستوسق الجَلَب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لا شيْ بعد هذين المصرين، وقد بايعتُ لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهِرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس الىٰ ذلك، وليكن منكما الجدُّ والتشمير، أظفركما الله وخذل مناوئكما!

فلمّا وصل هذا الكتاب الى الزبير سُرَّ به، وأعلم به طلحة، واقرأه إياه، فلم يشكّا في النصح لهما من قِبَل معاوية، وأجمعا عند ذلك علىٰ خلاف علي عليه السلام فحدثت أعظم فتنة في الإسلام برفع قتلة عثمان (طلحة، الزبير، عائشة) راية المطالبة بدمه![1]

ثمّ تسبَّب معاوية في حرب صفين باعلانه رفض بيعة علي عليه السلام. وبعد خدعة عمرو بن العاص برفع المصاحف، تسبَّب في حرب النهروان.

وبذلك يكون تهديد عمر لأعضاء مجلس الشورى الستة، بمعاوية الموجود في الشام، وإبن أبي ربيعة الموجود في اليمن، قد وضع موضع التنفيذ.

فكان معاوية ضمانة لوصول الحكم لبني أُميَّة، واستمرار السلطة في حوزتهم؟! وبقية الولاة ضمانة لاستمرار الحكم عند قريش.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١/٢٣١.

وبينما نصر أبو هريرة الأمويين بالحديث الكاذب، وقف أبو موسى الأشعري معارضاً لخلافة علي ﷺ (بعد بيعته) مانعاً أهل الكوفة من الإلتحاق بجيش علي ﷺ في البصرة.

وفي معركة صفين خلع الأشعري الإمام علياً ﷺ من الخلافة وبايع أحد أفراد الحزب القرشي (عبد الله بن عمر) ولكن لم يفلح[1].

وكان عبد الله بن عمر صهراً لأبي موسى الأشعري.

ثقافة الحزب وأدبياته

اخذت ثقافة الحزب القرشي في الانتشار في المجتمعات الإسلامية يتوارثها أب عن جد، حتىٰ طغت علىٰ أذهان الناس.

فأصبحت من عادة بعض الأفراد والمنظمات الإسلامية الجديدة والثقافات الحديثة التأثّر بمنهج الحزب الإسلامي الاول من حيث تدري او لا تدري.

وأصبحت عادة هذه الجماعات الابتعاد عن حديث علي ﷺ والأخذ بحديث كعب. وتضعّف سند نهج البلاغة، وتصدّق ترّهات أبي هريرة. وأبو هريرة هو التلميذ الأول لكعب الأحبار وله قريب من ستة آلاف حديث.

بينا نلاحظ وجود أحاديث صحيحه قليلة في كتب الصحاح الستة برواية علي ﷺ. في حين تقوّلوا عليه أحاديث كثيرة تصبُّ في صالح أعدائه ومنافسيه.

واغلب تلك الأحاديث التي قد وضعت في الصحاح علىٰ لسان علي ﷺ جاءت لمدح رجال الحزب القرشي وبالتالي فهي أحاديث عليه وليست له. بينما نجد أحاديث كعب وتلاميذه تصبُّ في أهدافهم وصالحهم!!

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٩، ٥٠.

وأصبحت أدبيات بعض الناس ضدّ أهل البيت عليهم السلام تأثراً بمساعي معاوية، مثلما أصبح الطربوش التركي في مدّة من الزمن علامة للسلطان المسلم، بدل العمامة، فلبسه كل حاكم اسلامي. حتّىٰ بلغ الأمر حدّاً أن لبسه القوميون العرب المعارضون للأتراك!

والملاحظ أنَّ عمل الرسول صلى الله عليه وآله جماهيري يختلف عن العمل الحزبي، لا يفرّق بين عربي وأعجمي، وبين قرشي وأنصاري وهذا سرُّ اعجاز النبي صلى الله عليه وآله وانتصاره بينما فضَّل حزب قريش العرب على العجم وأهل قريش علىٰ باقي الناس.

ومن أدبيات عصبة قريش الايمان بنظرية المصلحة، أي جواز مخالفة النص الالهي، والسماح بالاجتهاد الشخصي. لذا سعى الحزب القرشي للسير علىٰ نظرية حسبنا كتاب الله. وإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن الزعامة الدينية والسياسية.

والملاحظ في ثقافة الحزب القرشي عدم توجه الخليفة الىٰ ساحات الحرب والجهاد وكذلك الموصىٰ إليهم بالخلافة تحت حجّة المصلحة العامّة، فلم يشترك أبو بكر وعمر وعثمان وابن عوف في أي حرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله[١].

وقد أعطىٰ أسامة الأذن لأبي بكر وعمر بالبقاء في المدينة وعدم الأنخراط في حملته الى الشام. والظاهر انهم حصلوا علىٰ اذن في ذلك أيضاً لعثمان وعبد الرحمن ابن عوف. ومنذ تولّي أبي بكر السلطة لم يشترك هؤلاء الاربعة في قيادة حروب أو الأنخراط فيها.

اعتماد الحزب القرشي على الجناح الأموي

لقد أصرَّ أبو بكر وعمر علىٰ اعتمادهم علىٰ جناح عثمان الأموي ودعم ذلك

---

(١) راجع كتب السيرة مثل تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والإمامة السياسة وتاريخ ابن خلدون.

الجناح بقوة في المجال السياسي، دون اهتمام بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية المحذِّرة من بني أميَّة، وواقعهم الكافر، وحرصهم علىٰ تولي السلطة واحتكارها.

كما ان بني أميَّة يملكون مالم يملكه بنو تيم وبنو عدي، وهو شرفهم الغابر قبل الاسلام، وقيادة أبي سفيان لقريش في حروبها ضد الاسلام، وكثرة أفرادهم، وأموالهم.

ولقد سمَّىٰ أبو سفيان أبا بكر وعمر بضئيلي تيم وعدي، واستمر في الاستهانة بهما إذ قال: والهفاه علىٰ ضئيل بني تيم[1]. لذا يكون الإعتماد على الخط الأموي في الدولة فيه مخاطر كثيرة علىٰ بقية القبائل.

والخطورة تكمن في وجود دهاة وقساة في بني أميَّة إلىٰ جنب عثمان، وهم الحكم بن أبي العاص ومروان وعبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة بن أبي معيط وأبو سفيان ومعاوية وعتبة وغيرهم لا يتورعون عن فعل شيْ.

وحول مسألة مجيْ عمر وأبي بكر بالأمويين الى الحكم فالأمر محصور بين مسألتين الأولىٰ عدم معرفتهما بالمنهج الأموي والآيات والأحاديث والخلفية التاريخية لبني أميَّة وواقعهم بعد الإسلام ورغبتهم في قبض السلطة واحتكارها، وضعف عثمان وميله الظاهر نحو بني قومه.

والمسألة الثانية: معرفتهم بذلك. والذي له اطلاع ومعرفة بشخصي عمر وأبي بكر، يدرك أنَّهما من دهاة العرب ولهما اطلاع واسع على الأحداث والشخصيات، وقد عبَّر عمر عن إطلاعه في ترجمته لرجال مجلس الشورى الستة الذين نصَّبهم.

وقد روىٰ عمر حديثاً نبوياً في بني أميَّة، جاء فيه: ليعورنَّ بنو أميَّة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٢/٢، المسترشد، محمد بن جرير الطبري، الشافي، المرتضى ٢٤٣.

الإسلام[١] . وكذلك روت عائشة قائلة : «أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه»[٢].

ويتّصف عثمان بميل قومي نحو بني أميّة إذ أصرَّ أبو بكر وعمر على منع الحكم بن أبي العاص (طريد الرسول ﷺ وعمّ عثمان بن عفان بن أبي العاص) من دخول المدينة المنوّرة تبعاً لأمر النبي ﷺ . ورداً طلبات عثمان المتكررة في ذلك[٣]. فكانت طلبات عثمان معارضة لأوامر النبي ﷺ .

وهما يتذكّران عملية اخفاء عثمان لأخيه من أُمّه عبد الله بن أبي سرح ، بالرغم من أمر النبي ﷺ للمسلمين بعد فتح مكّة بقتله وان وجد متعلقاً بأستار الكعبة[٤] . فعثمان الذي أخفى عدوّي النبي ﷺ (معاوية بن المغيرة بن أبي العاص[٥] في المدينة وابن أبي سرح في مكّة) في حياة رسول الله ﷺ ، معارضاً لأوامره ، كيف سيعمل في خلافته للمسلمين بعد موت الرسول ﷺ ، والى جانبه كفرة بني أميّة ، وأوثانها ، من أمثال أبي سفيان ومعاوية وعتبة والحكم بن أبي العاص ومروان والوليد بن عقبة وابن أبي سرح (أخي عثمان من أمّه) .

وقال أبو بكر لعثمان : « نعم الوالي عمر ، وما هو بخير له أن يلي أمر أمّة محمد ﷺ ولو تركته (عمر) ما عدوتك ، وما أدري لعلّي تاركه ، والخيرة له أن لا يلي أمركم »[٦] .

وكان أبو بكر وعمر يفضّلان بني أميّة على غيرهم من القبائل في وظائف

---

(١) الموفقيات ، الزبير بن بكار تفسير الدر المنثور ، تفسير سورة الاسراء آية ٦٠ .

(٢) الطبقات ، ابن سعد ٧٨/٧ ، الاصابة ٣٨/٢ ، اسد الغابة ٧٦/٣ ، المستدرك ٤٧٩/٤

(٣) الإصابة ، ابن حجر ٣٨/٢ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣٣٥/١ طبع دار أحياء الكتب العربية .

(٤) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني ٢٥٩/٣ طبع دار احياء التراث العربي .

(٥) السيرة الحلبية ٢٦٠/٢ .

(٦) كتاب الثقات ، ابن حبان ١٩٢/٢ .

الدولة. وفضّل عمر عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان علىٰ باقي رجال ونساء الأمة[١].

إذ نالت هذه القبيلة عدّة وظائف حسّاسة متفوقة في ذلك علىٰ بقيّة القبائل. وكان عثمان بمثابة وزير لأبي بكر وعمر. ونال يزيد وعتبة ومعاوية أولاد أبي سفيان منصب الولاية في زمن أبي بكر وعمر، ونال سعيد بن العاص والوليد بن عقبة منصب ولاية الأقاليم أيضاً، ونال عتاب بن أسيد الأموي ولاية مكّة!

في حين لم تحصل بقيّة القبائل علىٰ تلك الحظوة الخطيرة ممّا يثبت أنَّ أبا بكر وعمر كانا قد صمّما على المجيّ ببني أميّة الى السلطة لمصلحة يؤمنان بها.وكان عمر يحب وصول معاوية الى السلطة فسماه بكسرى العرب، وكذلك كان كعب يحب وصوله للخلافة[٢]. وهناك أوامر مشدّدة أوجدها الرسول ﷺ في عدم حصر وظائف الدولة بالأرحام والأقرباء، بل بالإعتماد على المؤهلين من الرجال. إذ ولّى الرسول ﷺ عشرات الأشخاص من المسلمين في قيادة الجيوش، وولاية الامصار، وجمع الصدقات، وإرسال المبعوثين، وغير ذلك دون نظر خاص في لون أو عنصر أو مدينة أو قبيلة. وكان أبو بكر وعمر يعتقدان بضرورة انتقال الخلافة في قبائل قريش تيم، عدي، بني أميّة، زهرة ولكنّهما أعطيا الثقل الأعظم لبني أميّة، بحيث أصبح وصول عثمان ومعاوية الى السلطة مؤكداً. وسمىٰ عمر بن الخطاب أبا سفيان بسيد قريش، وسمىٰ معاوية كسرى العرب[٣] بينما قال أبو سفيان عن عمر: لقد أمر امر بني عدي بعد قلة وذلة[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر ٤٧٢/٣، رسالة النزاع والتخاصم، المقريزي ص٥١، أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو ريّة. ص١٣٨، ١٣٩. ط. دار التأليف، مصر.

(٣) البداية والنهاية ١٢٢/٨، الاستيعاب، ابن عبد البر ٤٧٢/٣.

(٤) كنز العمال ٥٠٩/١٠.

بعض أفعال الحزب الأموي

لقد سعى الحزب الأموي إلىٰ تولّي السلطة في مكّة، وفي شبه جزيرة العرب بشتّى السبل علىٰ انقاض الحزب القرشي.

وكان بعضُ رجال بني أميّة قبل إدّعائهم الإسلام وبعده يظهرون ما تكنّه صدورهم؛ فقد قال ابن عبد البر في الأستيعاب: كان أبو سفيان كهفاً للمنافقين منذ أسلم[1] والصحيح لم يُسلِم بل استسلم .

فلقد داس أبو سفيان (المدّعي للإسلام زوراً بعد تولي عثمان الخلافة) قبر حمزة برجله وقال: يا أبا عمارة إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف، أمسىٰ في أيدي غلماننا اليوم يتلاعبون به[2].

وقد قال أبو سفيان هذا الكلام المظهر لكفره والحاده، بعد أربعة عشر عاماً علىٰ فتح مكّة واظهار أهلها الإسلام؟

وقَتَلَ معاويةُ الكثيرَ من الصّحابَة وابنائهم في سبيل أهدافه ومنهم حُجرُ بنُ عَدِيّ والإمامُ الحسن عليه السلام ومالكُ الأشتَر ومحمدُ بن أبي بكر وعمار، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن أبي بكر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة[3].

وقال معاوية إنّ همّة محمد كانت عالية لم يَرضَ إلاّ أنْ يَقرِنَ إسْمَه باِسم ربِّ العالمين. وقصد معاوية من كلامه ان الشهادة بنبوته من تزوير محمد ﷺ

---

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر الأندلسي ٢/ ٦٩٠ طبع دار صادر ـ بيروت.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤/ ٥١.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٣/ ٢٢٤، ٢٤/ ٢٤، أُسد الغابة، ابن الأثير ٣/ ٤٤٠، الاستيعاب ص ٨٣٠، نسب قريش ص٣٢٧، الإصابة، ابن حجر ٣/ ٣٨٤، مستدرك الحاكم ٣/ ٤٧٦.

والعياذ بالله[١].

وقال يزيد بن معاوية بعد تولّيه السلطة:

لعبت هاشمُ بالملك فلا خبرٌ جاءَ ولا وحي نزل[٢]

أي ان النبي ﷺ لا هدف له الا الملك! وهو تكرار لما قاله جدّه أبو سفيان: إن الأمر (الملك) الذي اجتلدنا عليه أمسىٰ في أيدي غلماننا اليوم[٣].

وقال الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

تَلعَّبَ بالخِلافة هاشِميٌّ بِلا وَحْيٍ أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طَعامي وقل لله يمنعني شَرابي[٤]

وفَعَلَ أفراد قيادة الحزب الأموي ما يثبت كفرهم؛ إذ قتلوا سبطي النبي ﷺ، الحسن والحسين ﷺ، وأسروا بنات الرسول ﷺ، وأحرقوا الكعبة الشريفة، وقتلوا وسبوا الانصار وابناءهم في المدينة، حقداً على النبي ﷺ.

وقال الحجاج بن يوسُفَ الثقفي (أحد أفراد الحزب الأموي): إنَّ خليفة المرء خير من رسوله! اي ان يزيد وعبد الملك وأمثالهم، الذين أسماهم الحزب بالخليفة أفضل من الرسول محمد ﷺ! لذلك دعا الحجاجُ الناس لزيارة قصر الخليفة الأموي عبد الملك، وترك زيارة قبر الرسول ﷺ! وأحرق عبد الملك الكعبة ورماها بالمنجنيق[٥].

---

(١) الموفقيات، الزبير بن بكار ٥٧٦-٥٧٧، وذكره في حوادث سنة اثنتي عشرة ومائتين بهامش ابن الأثير ٤٩/٩.

(٢) طبقات الشعراء ٢٠٠، تاريخ ابن كثير ١٩٢/٨، مقتل الخوارزمي ٥٨/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥١/٤.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٢١٦/٣ طبع دار الهجرة، وكان الوليد ماجناً سفيهاً يشرب الخمر، ويقطع دهره باللهو والغزل فسار إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وقتله، المعارف، ابن قتيبة ص٣٦٦.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٥٠/٤.

وضرب الوليدُ بن عبد الملك القرآنَ الكريمَ بالنبل ! لمّا قرأ آية : ﴿واستفتحوا وَخَابَ كلُّ جَبَّار عنيد ﴾[١].

انّ أعمالهم الخبيثة ضدّ القرآن تبيّن مصداق الآية الشريفة : ﴿وَمَا جَعَلنا الرُّؤيا الّتِي أرَيناكَ إلاّ فِتنَةً للنّاس والشّجرة الملعونَةَ في القُرآنِ ﴾[٢].

أورد ابن عبد البر : ذكر مسلم ، عن محمد بن حاتم ، أنّ أبا سفيان أتى علىٰ سلمان (الفارسي) ، وصهيب ، وبلال في نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوفُ الله من عنق عدوّ الله مأخذها .

فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم . وأتى النبي ﷺ فأخبره .

فقال ﷺ : يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك جلّ وعلا . فأتاهم أبو بكر فقال : يا أخوتاه ءأغضبتكم ؟

قالوا : لا يا أبا بكر يغفر اللهُ لك[٣].

رواية العشرة المبشرة بالجنة

روى الترمذي حديثَ العشرة المبشرة بالجنة بينما كذّبه البخاري ومسلم ، اذ قال البخاري : لم يَصِحَّ كما حكاه عنه الذهبي في ميزان الإعتدال بترجمة عبد الله بن ظالم . ونقل ابن حجر تكذيب العقيلي له كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب بترجمة عبد الله بن ظالم .

وقد لاحظ الناس ارتكاب البعض منهم أفعالاً غير مقبولة ، مثلما فعل طلحة والزبير من امرهما بقتل عثمان ثم المطالبة بدمه ، وخروجهما علىٰ علي بن أبي

---

(١) ابراهيم ، ١٥ ، مروج الذهب ، المسعودي ٢١٦/٣ طبع دار الهجرة .

(٢) الاسراء ، ٦٠ .

(٣) الاستيعاب في هامش الاصابة لابن حجر ٦٠/٢ .

طالب ﷺ بعد بيعتهما له، وامتناع سعد بن أبي وقاص عن بيعة علي ﷺ وبيعته لمعاوية! وخروج عبد الرحمن بن عوف على عثمان ومطالبته بالثورة عليه وقتل الأمويين له.

وقد اجتمع المسلمون على ضرورة عزل عثمان بن عفان لأفعاله المخالفة للدين، وإصرارهم على منع دفنه في مقبرة المسلمين بعد موته، فدفن في مقبرة اليهود (حش كوكب المجاورة لمقبرة البقيع).

ولم يحتج هؤلاء العشرة بهذا الحديث في مخاصماتهم! وخاف البعض منهم عند الموت خوفاً شديداً، وفسّق طلحة والزبير وابن عوف وعائشة عثمان بن عفان، وقال عمر عن ابن عوف انه فرعون هذه الأمّة[١].

ولا يقبل عقل انسان تخصيص العشرة بهؤلاء واخراج باقي المسلمين من أنصار ومهاجرين. ولماذا لم يدخل في هؤلاء حمزة سيد الشهداء وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وسعد بن معاذ وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي!

والرواية من طريق سعيد بن زيد (صهر عمر) المعروف بعدائه لأهل البيت ﷺ إلى درجة مبايعته لأبي بكر وعمر وعثمان وامتناعه من مبايعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، فيشمله الدعاء النبوي لعلي ﷺ: انصر من نصره، واخذل من خذله! وحديثه ﷺ: حبّ علي ﷺ إيمان وبغضه نفاق[٢].

والنفس القومي الأموي واضح على الرواية، ففي هؤلاء العشرة القرشيين لا يوجد أنصاري ولا غيره! فالقرشيون لم يكفهم السيطرة على الدنيا وملذاتها واحتكارهم للخلافة فتخيلوا سيطرتهم على الجنة واحتكارهم لها!

---

(١) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ٢٤.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الايمان، صحيح الترمذي ٣٠١/٢، صحيح النسائي ٢٧١/٢، صحيح ابن ماجة ١٢، مسند أحمد ٨٤/١، ٩٥.

اتفاقات المشاركة في السلطة وتناوبها

لقد كثرت الإتفاقات والعهود حول تناوب السلطة واقتسامها، بين رجال السقيفة، وهذه عادة تتّصف بها الانقلابات الرئاسية، وهي غير موجودة في الحركات الاصلاحية والوصايا النبوية.

وقد وصلت إلينا أخبار المساومة السياسية بين مجموعة أبي بكر وعمر وابن الجراح والمغيرة مع العباس ورفض الأخير ذلك[١].

ورأى المسلمون بأم أعينهم تناوب السلطة بين أبي بكر وعمر. وقد قال أمير المؤمنين علي ﷺ عن بيعة أبي بكر: ولولا خاصّة بينه وبين عمر، وامر كانا رضياه بينهما، لظننت أنه لا يعدله عنّي[٢].

وقال الإمام علي ﷺ لعمر: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً[٣].

وقد أيّد معاوية بن أبي سفيان وجود اتفاق بين أبي بكر وعمر على غصب الخلافة، قائلاً: على ذلك اتّفقا واتّسقا[٤].

ووصلت إلينا أخبار الإتفاق السياسي بين عثمان وابن عوف على تناوب السلطة، والتي انتهت بمصرع ابن عوف. إذ قال الإمام علي ﷺ لابن عوف: واللهِ ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك[٥].

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٥.

(٢) كشف المحجة لثمرة المهجة ١٧٣ـ١٨٩.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١١.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٣/١٢.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣/٧١.

وقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ عن نتيجة بيعة مجلس الستة: يوليها عبد الرحمن عثمان، ويولّيها عثمان عبد الرحمن[١].

وقال ﷺ: لابن عوف: ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا ﴿فَصَبرٌ جَمِيلٌ واللهُ المستَعَانُ علىٰ ما تَصِفُونَ﴾[٢].

وقال أمير المؤمنين ﷺ لابن عوف أيضاً: ايها عنك إنما آثرته بها لتنالها بعده، دقّ اللهُ بينكما عِطرَ مَنْشِم[٣].

فاستجاب اللهُ تعالىٰ دعاء الإمام علي ﷺ عليهما إذ اشتدَّ الصراع بينهما، فطلب ابن عوف من الناس حمل السلاح في وجه عثمان، فأهانه عثمان، وانتهت الخصومة بينهما بمقتل ابن عوف.

وقرأنا قضية المساومة السياسية بين معاوية وابن العاص حول ولاية الأخير مصر مقابل مشاركته في محاربة الإمام علي ﷺ إذ قال عمرو بن العاص لمعاوية: لا أعطيك ديني حتىٰ آخذ من دنياك، قال معاوية: لك مصر طعمة[٤].

وهناك نصوص تثبت أقدام الزبير وطلحة علىٰ محاربة الإمام علي ﷺ مقابل عهود من معاوية بتوليتهما سدة الخلافة ليكون الزبير أوّلاً وطلحة ثانياً[٥].

وقد ساوم معاوية أبا موسى الأشعري كما ساوم رجالُ السقيفة أباه، إذ جاء في رسالته للاشعري: «أمّا بعد فان عمرو بن العاص قد بايعني علىٰ ما أُريد، وأقسم بالله لئن بايعتني على الذي بايعني لاستعملنَّ أحدَ ابنيك على الكوفة والآخر

---

(١) تاريخ الطبري ٢٩٤/٣.

(٢) يوسف: ١٨.

(٣) منشم امرأة عطارة من خزاعة فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضرب ذلك لشدة الأمر، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٦/٩.

(٤) وقعة صفين ٣٤ـ٣٩، تاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢ـ١٨٦، تاريخ ابن خلدون ٦٢٥/٢.

(٥) وقعة صفين، نصر بن مزاحم ٥٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٨٠/٢ـ٥٨١.

على البصرة، ولا يُغلق دونك باب، ولا تُقضىٰ دونك حاجة، وقد كتبت إليك بخطّي فاكتب إليّ بخطّ يدك.

ثمّ قال: فلمّا ولي معاوية أتيته فما أغلق دوني باباً ولا كانت لي حاجة إلّا قُضيت[1].

وهكذا أصبحت السقيفة أمّاً لكل الانقلابات والمساومات السياسية عند المسلمين. ومن دلائل اتفاق رجال السقيفة مع أبي سفيان حول تناوب الخلافة واقتسامها ما جاء عن عمرو بن يحيىٰ بن سعيد الأموي عن جده، أن أبا سفيان دخل علىٰ عمر بن الخطاب فعزّاه عمر بابنه يزيد، فقال: آجرك اللهُ في ابنك يا أبا سفيان.

فقال :أي بَنِيّ يا أمير المؤمنين ؟

فقال (عمر): يزيد.

قال (أبو سفيان): فمن بعثت علىٰ عمله ؟

قال (عمر): معاوية أخاه، وقال عمر: ابنان مصلحان، وإنه لا يحل لنا أن ننزع مصلحاً[2] وتبين من هذا النص الاتفاق مع أبي سفيان.

وقال: أخبرنا الوليد بن عطاء بن الأغر وأحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي قالا: ثنا عمرو بن يحيىٰ بن سعيد الأموي عن جده أن سعيد بن العاص أتىٰ عمر يستزيده في داره التي بالبلاط وخطط أعمامه مع رسول الله ﷺ، فقال عمر: صلّ معي الغداة وغبش ثم اذكرني حاجتك، قال: ففعلت حتىٰ إذا هو انصرف قلت: يأمير المؤمنين حاجتي التي أمرتني أن أذكرها لك. قال: فوثب معي ثمّ قال: أمض نحو دارك حتىٰ انتهيت إليها، فزادني وخطّ لي برجله.

---

(١) سيرة أعلام النبلاء، الذهبي ٢/٣٩٦.

(٢) كنز العمال ١٢/٦٠٦ ح ٢٧٥٤٩.

فقلت يأمير المؤمنين زدني، فإنّه نبتت لي نابتة من ولد وأهل، فقال: حسبك، واختبئ عندك أن سيلي الأمر بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك!!

قال: فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتىٰ استخلف عثمان، وأخذها عن شورىٰ ورضىٰ، فوصلني وأحسن، وقضىٰ حاجتي، واشركني في أمانته، قالوا: ولم يزل سعيد بن العاص في ناحية عثمان بن عفان للقرابة[(١)].

وجاء: «ان عمر ﷺ حين طعن أوصى النفر الخمسة قولاً ثمّ مال برأسه إلىٰ عبد الله وهو مسند ظهره إلىٰ صدره وقال: إن يولوا عثمان يصيبوا خيرهم[(٢)].

وعن حذيفة قال: قيل لعمر بن الخطاب وهو بالمدينة: يأمير المؤمنين مَنْ الخليفة بعدك؟ قال: عثمان بن عفان[(٣)].

فذهبت من ابن الجراح الخلافة والولاية لصالح عثمان ومعاوية الأمويين.

وظهر تعلّق الأمويين بالشام وإهتمامهم بها بالخصوص معاوية، في استمرار ولايته عليها في زمن عثمان. أي في الوقت الذي كان بامكان معاوية أن يصبح والياً على العراق وإيران أو مصر وأفريقيا. ثمّ استمر معاوية في هذا المنحىٰ حينما اختار الشام مقرّاً لحكومته.

والولاية الثانية التي شملها الإتفاق كانت الطائف، إذ عيّن أبو بكر وعمر عتبة ابن أبي سفيان والياً عليها[(٤)].

ولمّا أصبح معاوية ملكاً على الدولة الإسلامية الشاملة لمناطق واسعة من آسيا وافريقيا أستمر تعلّق بني أميّة بالطائف وإليك ما يثبت ذلك.

---

(١) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٥/٢٠.

(٢) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٢/١٤٨.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي ٥/٧٢٧ح ١٤٢٥٩.

(٤) أسد الغابة، ابن الأثير ٣/٥٦٠.

كان معاوية ولّىٰ عنبسة (أخاه) الطائف ، ثمّ نزعه وولاها عتبة ، فدخل عليه (عنبسة) فقال : يأمير المؤمنين أما والله ما نزعتني من ضعفٍ ولا خيانة .

فقال معاوية : إنّ عتبة بن هند . فولىٰ عنبسة وهو يقول :

كُـنّا لحـربٍ صـالحاً ذاتُ بـيننا جميعاً فأضحَت فَرَّقَتْ بيننا هند[١]

فعنبسة وعتبة أخوان لمعاوية ، ولكنَّ عتبة شقيق معاوية من أمّه هند ففضله علىٰ عنبسة . فيظهر من هذه الحادثة إهتمام معاوية وعتبة وعنبسة بالطائف إهتماماً كبيراً . . فعاد عتبة والياً على الطائف في زمن معاوية ، مثلما كان والياً عليها من قبل أبي بكر وعمر .

كما حصل عتاب بن أسيد الأموي علىٰ ولاية مكّة ، وحصل سعيد بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط علىٰ منصب الولاية ![٢]

فيكون الأمويون قد حصلوا علىٰ عدَّة ولايات إضافة إلى الخلافة والوزارة ، وهذا ما لم تحصل عليه بقية قبائل قريش !

تهيئة الأرضية لحكم معاوية

وضع عمر بن الخطاب الأسس المتينة لدولة معاوية بن أبي سفيان بطرق مختلفة ، يدعمه في ذلك كعب الأحبار وطلقاء مكّة ، وقد وصل معاوية إلىٰ حكم الشام بناء على الاتفاق الحاصل مع أبي سفيان بإعطاء الشام لبني أميّة .

ولم يهتم عمر للاعتراضات الموجّهة ضدّه جراء توليته معاوية الشام ، وهو

---

(١) النسب ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٢٠١ ، ط . دار الفكر . جمهرة النسب ، الكلبي ص٤٩ طبع مكتبة النهضة العربية .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٩/٩ ، تاريخ الطبري ٣١١/٣ .

ابن ١٨ عاماً[١]، بينا عارض عمرُ امر الرسول ﷺ بتولية اسامة بن زيد حملة الشام وهو في ذلك العمر!![٢]

وعارض عمر وصول الإمام علي ﷺ إلى الخلافة وعمره ثلاثون عاماً[٣].

وقد ذكر القرآن الكريم آية في ذمّ بني أميّة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[٤].

ولعن النبي ﷺ معاوية وعتبة وأبا سفيان[٥] ولعن النبي ﷺ بني أميّة[٦].

وقال عمر للمغيرة: أمّا والله ليعورن بنو أميّة الإسلام، كما أعورت عينك هذه، ثمّ ليعمينه، حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء[٧].

لكنَّ عمر نفسه وضع الأسس للملك معاوية فقد وصفه بكسرى العرب[٨]، وانه خير الناس، ووصف أباه (رأس الكفر) بعد فتح مكّة بأنّه سيد قريش، ووصف أمّه آكلة كبد حمزة سيّد الشهداء وصاحبة راية الفساد بأنّها كريمة قريش![٩] ولم يوضح كرمها في أي موضوع ؟

بينا جاء بان الفاكه بن المغيرة المخزومي قد اتّهمها بالزنا فبانت منه، وقالوا:

---

(١) كنز العمال ٦٠٦/١٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١٥/٣.

(٤) الاسراء: ٦٠، الدر المنثور، الدلائل للبيهقي.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٢/٢، الاصابة ٣٨/٢، اسد الغابة ٧٦/٣، المستدرك ٤٧٩/٤.

(٦) المستدرك، الحاكم ٤٨٠/٤.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ١١٥/٣، الطبقات، ابن سعد ٧٨/٧.

(٨) الاستيعاب، ابن عبد البر ٤٧٢/٣.

(٩) وقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والأنوف، حتّى اتخذت هند من آذان الرجال وانوفهم خدماً (وهي الخلخال) وقلائد، البداية والنهاية، ابن كثير ٤٢/٤.

بأنّ معاوية من أربعة وهم عمارة بن الوليد ومسافر بن عمرو وأبو سفيان والعباس ابن عبد المطلب(١).

وبايع الرسول ﷺ نساء مكّة، على أن لا يشركن ولا يسرقن، فلمّا تكلّمت هند بنت عتبة، قال الرسول ﷺ: وان لا تزنين. فقالت هند: وهل تزني الحرّة، فضحك عمر حتى استغرق(٢).

وقد هدَّد عمر رجال الشورى (زعماء المسلمين) بمعاوية الذي لم يبلغ العشرين من عمره؟! قائلاً: احذروا آدم قريش وابن كريمتها، من لا يبيت إلّا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو مع ذلك يتناول ما فوق رأسه من تحت قدمه(٣). وروي على لسان عمر حديثاً نبوياً كرامة لمعاوية، جاء فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول (في معاوية): اللهمّ أهد به(٤)، ولما ولى عمرُ معاوية الشام قال الناس: ولّى حدث السن، فقال: تلومونني في ولايته وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهمّ اجعله هادياً مهدياً وأهد به!(٥)

وعن اسلم مولى عمر قال: قدم علينا معاوية، وهو ابيض نص وباص، أبض الناس وأجملهم، فخرج الى الحج مع عمر، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه، ثم يضع اصبعه على متن معاوية، ثمّ يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: بخٍ بخٍ نحن اذاً خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة(٦).

---

(١) ربيع الأبرار، الزمخشري ٥٥١/٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١١/١، تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي ص٢٠٢ طبعة النجف.

(٢) تاريخ الطبري ٢٢٧/٢، سيرة ابن كثير ٦٠٢/٢، البداية والنهاية ٢٦٥/٤.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي ٥٨٦/١٢ ح٣٧٥٠٧، البداية والنهاية ١٢٢/٨.

(٤) البداية والنهاية ١٢٠/٨.

(٥) رواه الترمذي.

(٦) البداية والنهاية ١٢٢/٨.

ووصف عمر معاوية بالمصلح(١).

وبيَّن معاوية في رسالته لمحمد بن أبي بكر عمل أبيه في تأسيس الحكم الأموي قائلاً: «أبوك مهَّد مهاده، وبني لملكه وساده، فإن يلك ما نحن فيه صواباً فابوك استبدَّ به ونحن شركاؤه»(٢).

* * *

(١) كنز العمال ٦٠٦/١٢ ح٢٧٥٤٩.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ١٣/٣.

نظرية الخليفتين

في

القومية والاقليمية والعبيد

نظريّة الحزب القرشي في حصر الخلافة في قريش

لقد حاربت قريشُ الاسلامَ بكلّ قوّتها، ونصر أهلُ يثرب الاسلامَ بكـلّ قوّتهم. وقال رسول الله ﷺ: لو سلك النـاس وادياً، وسـلكت الأنـصار وادياً، سلكتُ وادي الأنصار، ودعا النبي ﷺ على قريش قائلاً: اللهم عليك بقريش[1].

وقال النبي ﷺ: من كنت مولاه، فهذا علي مـولاه، اللـهم وال مـن والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله[2]. بينما قال أبو بكر في يوم السقيفة (وأيّده عمر): قريش ولاة هذا الامر (الخلافة)[3].

ويذكر ان ما طرحه أبو بكر هو عين ما أيّده عمر ودافع عنه. وقد قال أبـو بكر في السقيفة: فخصَّ الله تعالى المهاجرين الأولين رضي الله عنهم بـتصديقه... وهم أولياؤه، وأحقّ الناس بالأمر من بعده، لا ينازعهم فيه الا ظالم[4].

وقال عمر: من ينازعنا سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدل بباطل، أو متجانف لاثم[5].

---

(١) صحيح مسلم ١٤١٢/٢ ح ١٧٩٤.

(٢) سنن الترمذي ٢٩٨/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥٤/٢.

(٤) الامامة والسياسة ٧/١.

(٥) المصدر السابق.

وقال عمر (للانصار) : هيهات لا يجتمع اثنان (في قرن) ، والله لا ترضى العرب أن تؤمّركم ، ونبيها من غيركم ، ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم ، ولنا بذلك الحجّة الظاهرة ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته[١]. وعلى هذا الأساس أخذ أبو بكر وعمر السلطة لقريش ، على أنّهم عشيرة الرسول ﷺ . ولكن هل صحيح أنهم عشيرة الرسول ﷺ دون بني هاشم ؟! بأيّ دليل ؟

لقد أجابت الانصار عن هذا قائلة : لا نبايع إلّا علياً[٢].

أي ان الأنصار أجابت طبقاً لحجة ابي بكر وعمر ؛ لأنَّ علياً عليه السلام هو الاقرب إلى الرسول ﷺ فهو المقصود بعشيرته الأقربين وفقاً للنص الإلهي في علي عليه السلام في الغدير .

وقال علي عليه السلام : احتجّوا بالشجرة واضاعوا الثمرة[٣].

وردَّ العباس إقتراح أبي بكر وعمر بمشاركته في الحكم ، بأنَّ ذلك إن كان لنا فنحن لا نقبل بالنصف .

وقال عمر لابن عباس : أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا غشاً في أمرِ قريش لا يزول ، وحقداً عليها لا يحول . فقال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش ، فإنَّ قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ ، الذي طهره الله وزكّاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله لهم : ﴿إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أهلَ البيتِ وَيُطَهِركُم تطهيراً﴾.

وقبل موت عمر قال : لو كان معاذ (الانصاري) حيّاً لولّيته . ولو كان سالم

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/٣٣٠، تاريخ الطبري ٢/٤٥٧.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٤٣، الكامل في التاريخ لابن الاثير ١/٣٢٥.

(٣) نهج البلاغة . خطبة ٢/٦٧.

(الفارسي) حيّاً لولّيته . ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لولّيته[١] . ولو حقّقنا في سيرة الخليفة عمر ، وتفضيله العرب على الموالي ، وتوليته الولايات الكبيرة لعمال من غير الانصار ،وتلاحم عمر مع اطروحة قريش ، يثبت لنا أنّ سالم مولىٰ أبي حذيفة الفارسي ، ومعاذ الانصاري لو كانا حيّين ، لما ولّاهما عمر الخلافة ؟!

وأوصىٰ عمر بان تكون الولايات الكبيرة الشام والكوفة لقريش ، فجعل معاوية على الاولىٰ وسعداً على الثانية . وكان عمرو بن العاص علىٰ مصر وأبو موسى الأشعري على البصرة .

وقد حصر معظم علماء السنّة الخلافة بالقرشي ، ولا دليل علىٰ ذلك .

قال أبو الحسن الماوردي باشتراط النسب ، وهو أن يكون من قريش ؛ لورود النص فيه وإنعقاد الاجماع عليه[٢] .

وقال الجويني الملقّب بإمام الحرمين : إنّ أصحابنا الشافعية ، إشترطوا ان يكون الإمام من قريش[٣] . واشترط الباقلاني أن يكون الإمامُ قرشياً من الصميم[٤] . كذلك اشترط ابن حزم أن تكون الخلافة في قريش[٥] .

وفي كتاب المنهاج للنووي ـ أحد علماء الشافعية ـ إشترط القرشية ، وكذلك إشترط القلقشندي القرشية في الحاكم[٦] .

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ما ملخّصه : « إنهم إشترطوا علىٰ

---

(١) تاريخ الطبري ٢٣/٢ .

(٢) الاحكام السلطانية ص٦ .

(٣) نظام الحكم والادارة في الإسلام ص٢٢٢ .

(٤) الغدير ١٣٦/٧ .

(٥) المحلّى ٣٥٩/٦ .

(٦) مآثر الانافة ٣١/١ .

أنَّ الإمام يشترط أن يكون مسلماً، مكلَّفاً، حرّاً، ذكراً، قرشياً، عدلا، عالماً، مجتهداً، شجاعاً...»[١].

وفي حديث لعمر مع ابن عباس بيَّن فيه أنَّ قريشاً هي التي منعت بني هاشم الخلافة، إذ قال عمر لابن عباس: إنَّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتذهبون في السماء بَذْخاً وشُمخاً، لعلكم تقولون: إنّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضَمكم اكلا، لكنَّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم مما فعل، ولولا رأي أبي بكر فيّ بعد موته لاعاد أمركم إليكم، ولو فعل ما هنّأكم مع قومكم، إنهم لينظرون اليكم نظر الثور إلىٰ جازره[٢].

إنَّ جماهير المسلمين من أنصار ومهاجرين وغيرهم لا ينظرون إلىٰ أهل البيت ﷺ هكذا. فعَليٌّ ﷺ قد قتل عتبة وشيبة والوليد ومرحباً وابن ود وطلحة بن أبي طلحة. ولم يقتل المؤمنين، فبقي غالبية الأمويين والطلقاء وأبنائهم في ضغن علىٰ بني هاشم، وهؤلاء عددهم قليل بالنسبة لمسلمي جزيرة العرب، ورضا هؤلاء الطلقاء ليس شرطاً، خاصَّة مع وجود اصحاب بدر واحد وخيبر.

وقد مثَّل هذا منهج المنحرفين عن علي ﷺ مثل عبد الله بن أبي سرح، فقد ذكر أنَّ عبد الرحمن بن عوف قد قال: أيها الناس أشيروا عليّ في هذين الرجلين، فقال عمار بن ياسر: إن أردت ألا يختلف الناس فبايع علياً ﷺ. وقال المقداد: صدق عمار. وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا، فقال عبد الله بن أبي سرح: إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان. وقال عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: صدق إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا، فشتَّم عمارٌ ابن أبي سرح، وقال له: متىٰ

---

(١) الفقه على المذاهب الاربعة ٤١٦/٥ مبحث شروط الامامة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩٠/١.

كنت تنصح الإسلام[١].

فكان عمار بن ياسر يمثّل الناس وابن أبي سرح (الملعون من قبل الرسول ﷺ) وابن أبي ربيعة (رفيق ابن العاص في الرحلة الى الحبشة) يمثلان طلقاء مكّة. والعجيب ليس من ابن أبي سرح، بل من عمر الذي أخذ بقول الطلقاء، وترك قول الناس؟! فالناس يمثّلون الأكثرية والسبق في الإسلام وأشباه ابن أبي سرح يمثّلون أقلية لا اخلاص لها مكرهة على دخول الإسلام.

والأعجب من هذا، ان عمر، قد دعم خطّ الأقلية هذا، بتوليته معاوية وعتبة ويزيد أبناء أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وابن أبي ربيعة.

لقد قتل الإمام علي ﷺ حنظلة أخا معاوية وعتبة (جدّه) وشيبه (عمّ أُمه)، وقتل أبا الوليد وهو عقبة بن أبي معيط، وقتل أبا الحكم الاخنس في معركة احد، وكان والده من رؤوس المنافقين، ثم أصبح أخوه المغيرة بن الأخنس من أعوان عثمان الحاقدين على الإمام. وقتل والد سهيل وهو عمرو بن عبد ود العامري.

وكان لعتبة بن ربيعة الذي قتله الإمام علي ﷺ في معركة بدر، أولاد منهم هند زوجة أبي سفيان وأم معاوية، وبنت أُخرى كانت زوجة لعبد الرحمن بن عوف. وام سعد بن أبي وقاص؛ حمنة ابنة أبي سفيان، بن أبي العاص الأموي. وقد قال الإمام علي ﷺ: مالي ولقريش أما والله لقد قتلتهم كافرين ولاقتلنّهم مفتونين[٢].

وأقبل العاص بن سعيد يحثُّ للقتال، فالتقى هو وعليّ فقتله علي، فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد: «إني لأراك معرضاً، تظن أنّي قتلت أباك، إنّ

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٩٤/١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٣٣/١.

الذي قتل أباك هو علي بن أبي طالب»[١].

وروى اليعقوبي عن ابن عباس أنّه قال: طرقني عمر بن الخطاب بعد هدأة من الليل فقال: أخرج بنا نحرس نواحي المدينة: فخرج، وعلىٰ عنقه دِرَّته، حافياً، حتىٰ أتىٰ بقيع الغرقد، فاستلقىٰ علىٰ ظهره، وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صَعَداً.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما أخرجك إلىٰ هذا الأمر؟

قال: أمر الله يا ابن عباس، قال إن شئت أخبرتك بما في نفسك.

قال: غصّ غوّاصٌ، إن كنت لتقول فتُحسن.

قال: ذكرت هذا الأمر بعينه، وإلىٰ من تصيِّره.

قال: صدقت! قال: فقلت له: أين أنت عن عبد الرحمن بن عوف!

فقال: ذاك رجل ممسك، وهذا الأمر لا يصلح الا لمعط في غير سرف، ومانع في غير إقتار.

قال: فقلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: مؤمن ضعيف!

قال: فقلت: طلحة بن عبد الله؟

قال: ذاك رجل يناول للشرف، والمديح، يعطي ماله حتىٰ يصل إلىٰ مال غيره وفيه بأو وكبر.

قال: فقلت: فالزبير بن العوام! فهو فارس الإسلام؟

قال: ذاك يوم إنسان، ويوم شيطان، وعفّة نفس، إن كان ليكادح علىٰ المكيلة من بكرة الى الظهر حتىٰ يفوته الصلاة.

قال: فقلت: عثمان بن عفان؟

قال: إن ولي حمل آل أبي معيط وبني أميّة علىٰ رقاب الناس وأعطاهم مال

---

(١) مغازي الواقدي ١/٩٢.

الله، ولئن ولي ليفعلن والله، ولئن فعل لتسيرنّ العرب إليه حتىٰ تقتله في بيته. ثم سكت.

قال: فقال: إمضها يا ابن عباس! أترىٰ صاحبكم لها موضعاً؟

قال: فقلت: وأين يبتعد من ذلك مع فضله، وسابقته، وقرابته، وعلمه؟

قال: هو والله كما ذكرت. ولو وليهم لحملهم علىٰ منهج الطريق، فأخذ المحجّة الواضحة الا أن فيه خصالاً:

الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتبكيت للناس، مع حداثة السنّ.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين.

هلّا استحدثتم سنّه يوم الخندق؛ إذ خرج عمرو بن ود، وقد كعم عنه الأبطال، وتأخّرت عنه الأشياخ. ويوم بدر إذ كان يقطّ الأقران قطّاً، ولا سبقتموه بالإسلام، إذ كان جعلته السعب وقريش يستوفيكم؟ فقال: إليك يا ابن عباس! أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي بأبي بكر يوم دخلا عليه؟ قال: فكرهت أن أُغضبه فسكتُّ.

فقال: واللهِ يا ابن عباس: إنّ علياً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكنّ قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنّهم بمرّ الحقّ، لا يجدون عنده رخصة، ولئن فعل لينكثنّ بيعته ثم ليتحاربُنّ[١].

لقد ذكر عمر تولّي علي ﷺ الخلافة لاحقاً ومحاربة قريش له. وتوقف عمر عن الحديث، فهو يعرف بدخول معاوية مع قريش في حرب ضدّ الإمام علي ﷺ، ولمعاوية جند الشام، ولابن أبي ربيعة جند اليمن.

أمّا وجهة نظر علي ﷺ في قريش فقد قال ﷺ: إن الناس إنما ينظرون الىٰ قريش، فيقولون: هم قوم محمد وقبيله، وأمّا قريش بينها، فتقول: إنّ آل محمد

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٥٨/٢، ١٥٩.

يرون لهم على الناس بنبوته فضلاً، ويرون أنّهم أولياء هذا الأمر دون قريش ودون غيرهم من الناس، وهم إن وَلوه، لم يخرج السلطان منهم الىٰ أحد أبداً. ومتىٰ كان في غيرهم، تداولته قريش بينها، لا والله، لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبداً[١]. وفعلاً لم تصل السلطة الىٰ علي عليه السلام الا بعد ثورة عارمة أشترك فيها ثوار العراق ومصر.

ولمّا دعا عمار بن ياسر الى بيعة الإمام علي عليه السلام قال له هاشم بن الوليد بن المغيرة: يا ابن سمية لقد عدوت طورك، وما عرفت قدرك، ما أنت وما رأت قريش لا نفسها، إنّك لست في شي من أمرها، وإمارتها فتنحَّ عنها.

وتكلمت قريش بأجمعها، فصاحوا بعمّار وانتهروه، فقال الحمد لله ربّ العالمين، ما زال أعوانُ الحق أذلّاء[٢]. فقريش توجّهت بعد مقتل عمر لمبايعة عثمان الأموي، وعلىٰ رأس المؤيدين له الطلقاء وأبناؤهم. وهؤلاء يصرُّون علىٰ مبايعة رجال قريش من غير بني هاشم، بينما بقي المخلصون من أمثال عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وسلمان وأبي ذر، بجانب علي عليه السلام. وكانت القبلية حاكمة علىٰ قلوب الكثير من سكان مكّة وجزيرة العرب، إذ ذكر المغيرة بن شعبة: إني أمشي أنا وابو جهل بن هشام في بعض أزقة مكّة إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لابي جهل: يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك الى الله، فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلّا أن تشهد أن قد بلغت، فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أنّي أعلم أن ما تقول حقاً ما تبعتك. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأقبل عليٌّ فقال: والله إنّي لأعلم أن ما يقول حقّ ولكن بني قصي قالوا: فينا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/٥٨.

الحجابة، فقلنا نعم، قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم. قالوا: فينا اللواء، قلنا: نعم، قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم؛ ثم أطعموا واطعمنا، حتىٰ إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبي، فلا والله لا أفعل[1].

وهذه القبلية الشديدة هي التي دفعت بعض رجال قريش من المهاجرين والطلقاء للاتفاق علىٰ تناوب الخلافة ومنعها بني هاشم، للحيلولة دون اجتماع النبوة والخلافة لبني هاشم، وكان معظم رجال قريش مع هذه الفكرة القبلية!

لذلك يجد المسلم كيف اتّفق المهاجرون من أمثال أبي بكر وعمر وابن عوف وعثمان مع طلقاء مكّة وغيرهم من أمثال عبد الله بن أبي ربيعة وهاشم بن الوليد المخزومي وأبي سفيان وأولاده وخالد بن الوليد وابن العاص. وكان علي عليه السلام قد قتل الكثير من أفراد هذه القبائل في بدر واحد والخندق ممّا اثار تلك القبائل عليه.

نصوص الخليفتين في غير العرب

كان ابو بكر وعمر يفضلان قريشاً على الأنصار، وقد برز ذلك في محاجتهما للأنصار في السقيفة في حصر الخلافة في قريش الى الأبد. وفي تولية عثمان القرشي الخلافة وعدم توليَة الأنصار.

وتوليتهما على الأمصار الكبيرة ولاة من قريش مثل سعد ومعاوية وابن العاص، وابن أبي ربيعة، وخالد، ويزيد بن أبي سفيان.

وثقل عليهما قول ابن رواحه في فتح مكّة عند دخوله براية النبي ﷺ الىٰ مكّة

(١) سيرة ابن اسحاق ص ٢١٠.

في الوقت الذي كان رؤوس قريش الكفار ينظرون إليه، إذ روي عن انس قال: دخل رسول الله ﷺ مكّة، فقام أهلها سماطين ينظرون إلىٰ رسول الله ﷺ، وإلىٰ أصحابه، قال: وابن رواحة يمشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقال ابن رواحة:

خلّوا بني الكفار عن سبيله فاليوم نضربكم علىٰ تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا ربّ إنّي مؤمن بقيله

(فقال عمر ﷺ: يا ابن رواحة أفي حرم الله، وبين يدي رسول الله، تقول الشعر!! فقال رسول الله ﷺ: (مه يا عمر فو الذي نفسي بيده لكلامه هذا أشدّ عليهم من وقع النبل)![1]

فلقد استصعب عمر سماع عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري يقول ذلك في مكّة، وبين رجال قريش. كيف لا وهو يحبُّ قريشاً ويودُّ خاطرها.

وبرزت توجهات أبي بكر وعمر القبلية في قولهما لرسول الله ﷺ قبل معركة بدر[2]. وفي معركة بدر لم يقتل عمر وأبو بكر قرشياً قط وكذلك في باقي المعارك.

وبعد معركة بدر برزت أحاسيس عمر الصادقة تجاه قتلىٰ بدر من المشركين عندما شرب خمراً وسكر، إذ قعد ينوح علىٰ قتلىٰ بدر بشعر الأسود بن يعفر، يقول:

وكائن بالقليب قليب بدر من الفتيان والعرب الكرام
ايوعدني ابن كبشة[3] أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

---

(١) سنن البيهقي ٢٢٨/١٠. ومثله في سير أعلام النبلاء ٢٣٥/١. وكنز العمال ٥٨٠/٣، ونحوه في سنن الترمذي ٢١٧/٤.

(٢) مغازي الواقدي ٤٨/١.

(٣) ابن كبشة أي النبي محمد ﷺ.

ايــعجز أن يــردَّ المــوت عــنّي ويـنشرني إذا بـليت عـظامي[١]

ويتوضح النفس القبلي في نهج فرد آخر من أفراد الحزب القرشي وهو سعد ابن أبي وقاص إذ قال لابن قبيلته عبد الرحمن بن عوف في مجلس الشورىٰ: أيّها الرجل، بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا[٢].

وقال أسيد بن حضير الأوسي لقبيلته في السقيفة: لئن وليتها الخزرج مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة[٣].

فالنفس القبلي القومي جعل سعد بن أبي وقاص يفضّل ابـن عـوف عـلىٰ وصي المصطفىٰ علي عليه السلام وينطق عبارة: ارفع رؤوسنا، بدل جملة ابرز تقوانا واظهر ايماننا!

ونفس ذلك النفس القبلي والقومي حدا بمعاوية: للقول لسعد بن أبي وقاص بانه لا يصلح للخلافة لانه ليس من بني زهرة القرشيين قائلاً: يأبىٰ عليك ذلك بنو عذرة[٤]. وبعد بيعة الناس لعلي عليه السلام خالفت عـائشة ذلك لأنهـا ارادتهـا لطـلحة التيمي فقالت عن الناس: تعسوا، تعسوا لا يردون الأمر في تيم ابداً[٥].

وقال عمر ان المخاطب بقوله تعالىٰ: ﴿يا أيُّها النّاسُ إنَّا خَلَقناكُم من ذَكَرٍ وأُنثىٰ وجَعَلناكم شُعُوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ اكرَمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم﴾ هم العرب خاصّة[٦].

فقد أخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب، أن هذه الآية في الحجرات ﴿إنَّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثىٰ... ﴾ هي مكّية وهي للعرب خاصّة، الموالي أي قبيلة لهم؟

---

(١) ربيع الأبرار، الزمخشري، تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ٨٦٣/٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٧٠/٣.

(٣) تاريخ الطبري، حوادث سنة ١١ هـ. ٤٥٨/٢

(٤) مروج الذهب ١٥/٣.

(٥) الجمل، المدائني. شرح نهج البلاغة ٢١٦/٦.

(٦) الحجرات /١٣، الدر المنثور للسيوطي ٩٨/٦.

وأي شعاب ؟ وقوله : إنَّ اكرمكم عند الله أتقاكم ، قال : أتقاكم للشرك .

وقال عمر وابو بكر عن أبي سفيان : إنَّه سيدُ العرب[1] .

وقد جعل عمر وابو بكر الخلافة محصورة في قريش ، وكان معظم ولاتهم من قريش أيضاً .

وقد تبع عثمان ومعاوية والأمويون الخليفة عمر في نهجه ، القاضي بتولية قريش والمضرية ، وإبعاد الأنصار واليمنية .

ولقد أصبحت هذه العلاقة بين المضرية واليمنية مخطورة بسبب هذا التفضيل ، فحدثت صراعات عنيفة بينها ، توسَّل في بعضها بالسيف ، كما حدث ذلك في الأندلس .

وقال عمر وابو بكر للرسول ﷺ قبل معركة بدر : يا رسول الله إنَّها واللهِ قريش وعِزُّها ، واللهِ ما ذلَّت منذ عزَّت ، واللهِ ما آمنتْ منذ كفرت ، والله لا تُسلم عزَّها أبداً ، ولتقاتِلنَّك ، فاتَّهب لذلك أُهبته واعدّ لذلك عُدَّته .

ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله : إمضِ لامر الله ، فنحن معك واللهِ لا نقول لكَ ، كما قالت بنو أسرائيل لنبيها ﴿ فَاذهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون[2] .

وكما ذكرنا في موضوع النظرية المالية ، فانَّ عمر ، كان يفضِّل العرب علىٰ غيرهم في العطاء[3] ، أي انه ينظر إليهم كطائفة أولىٰ .

ولم تكن هذه الحالة وهذه النظرة موجودة في زمن النبي ﷺ .

---

(١) كما قال أبو بكر عن أبي سفيان بعد فتح مكة : شيخ قريش وسيدهم ، الاستيعاب في هامش الاصابة ٦٠/٢ .

(٢) مغازي الواقدي ٤٨/١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١١١/٨ .

وفي زمن عثمان حصرت وظيفة الولاة في القرشيين وفي الأمويين منهم ثم ازدادت هذه الحالة تدريجياً ، ووصلت الىٰ أوجها في زمن معاوية بن أبي سفيان .

فقد أرسل معاوية رسالة الىٰ زياد بن أبيه ، جواباً عن رسالته : تبيّن نظرة عمر الى الموالي من غير العرب ، جاء فيها : أنظر الىٰ هذا الحي من اليمن فاكرمهم في العلانية ، واهتهم في السر ، فانّي كذلك أصنع .

وانظر الى الموالي ، ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنّة عمر بن الخطاب ؛ فأن في ذلك خزيهم وذلهم ، ان تنكح العرب فيهم ولا ينكحهم .

وإن تقصر بهم في عطائهم ، وأرزاقهم ، وأن يقدّموا في المغازي ، يصلحون الطريق ويقطعون الشجر ، ولا يؤمُّ أحدٌ منهم في صلاة ، ولا يتقدم أحدٌ منهم في الصف الأول ، إذا حضرت العرب الا أن يتمُّوا الصف .

في حين قال الرسول ﷺ في القومية : من قاتل تحت راية عميّة ، يدعو الىٰ عصبية ، أو يغضب لعصبية ، فقتلته جاهلية[1] .

روىٰ مالك بن أنس (امام المذهب المالكي) : أبىٰ عمر بن الخطاب أن يورِّث أحداً من الأعاجم إلّا أحداً ولد في العرب .

وروىٰ مالك عن عمر قوله : وإن جاءت امرأة حامل من أرض العدو ، فوضعته في أرض العرب ، فهو ولدها يرثها إن ماتت ، وترثه إن مات ، ميراثها في كتاب الله[2] .

وقدَّم نافع بن جبير بن مطعم ، رجلاً من أهل الموالي يصلّي به ، فقالوا له في ذلك ، فقال : إنّما أردتُ أن اتواضع لله بالصلاة خلفه ؟ !

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/٣٥١.

(٢) الموطأ ٢/١٢.

وكان نافع بن جبير هذا، إذا مرَّت به جنازة، قال: من هذا؟ فإذا قالوا: قرشي قال: وا قوماه، وإذا قالوا: عربي قال: وا بلدتاه، وإذا قالوا: مولىٰ قال: هو مال الله يأخذ ما يشاء ويدعُ ما شاء.

وقد وضع كعب الأحبار وتلامذته واعوانه، روايات كاذبة في مدح قريش، منها: الناسُ تَبَعٌ لقريش في هذا الشأن مُسْلِمُهُمْ لمسلمِهِم وكافِرُهُم لكافِرِهِم[١].

وحرَّفوا روايات أخرىٰ من قبيل: رواية عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال أمرُ الناس ماضياً ما وَلِيَهُمْ إثنا عشر رجلاً كلهم من قريش»[٢].

وذكر مسلم ايضاً: قوله ﷺ: لا يزال الإسلام عزيزاً إلىٰ إثني عشر خليفة كلهم من قريش[٣].

فرواية إثني عشر خليفة، قد وردت في أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن حرَّفوها فجعلوا فيهم سلاطين بني اميَّة؟!

والصحيح أنَّ النبي ﷺ قد مدح الأنصار، ودعا علىٰ قريش: لمّا وضعوا سَلا[٤] جزُور علىٰ كتفيه قال ثلاثاً: اللهمَّ عليكَ بقريش[٥].

وروى الطبري في المسترشد منع عمر زواج العجم في العرب قائلاً: لامنعنَّ فروجهنَّ إلّا من الاكفاء[٦].

---

(١) صحيح مسلم ٢/١٤٥١ حديث ١٨١٨.

(٢) المصدر السابق حديث ١٨٢١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية المشيمة. صحيح مسلم ٢/١٤١٢، حديث ١٧٩٤.

(٥) سيرة ابن اسحاق ص ٢١١.

(٦) المسترشد ص ١٤٢ طبعة النجف.

بينما زوَّج رسول الله ﷺ العربيات من الموالي وقد قال تعالىٰ: ﴿اليومَ أُحِلَّ لكُمُ الطيباتُ وطَعامُ الذينَ أُوتوا الكِتابَ حِلٌ لَكُمْ وَطَعامُكُم حِلٌّ لهم والمحصناتُ مِنَ المؤمناتِ والمحصناتُ مِنَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم إذا ءاتيتُموهنَّ أُجُورهُنَّ محصنين غَيرَ مُسافِحِينَ ولا مُتَّخذي أخدانٍ، وَمَن يكفر بالايمانِ فَقد حَبِط عملُهُ وهو في الآخِرَةِ مِنِ الخاسِرِينَ﴾[1].

وقال مؤلف كتاب الاستغاثة: إنَّ رسول الله ﷺ جعل المسلمين اكفاء بعضهم لبعض في النكاح من غير أن يميز في ذلك قرشياً ولا عربياً ولا اعجمياً وقال: من جاءكم خاطباً ترضون دينه وأمانته فزوّجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً كبيراً.

فاطلق عمر تزويج قريش في سائر العرب والعجم، وتزويج العرب في سائر العجم ومنع العرب من التزويج في قريش، ومنع العجم من التزويج في العرب، فانزل العرب منزلة اليهود والنصارىٰ، وانزل العجم في سائر العرب كذلك.

بينما زوَّج رسول الله ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود الكندي، وكان مولىٰ لبني كندة.

ثم قال رسول الله ﷺ: اتعلمون لِمَ زوَّجت ضباعة بنت عمي من المقداد؟ قالوا: لا، قال ﷺ: ليتضع النكاح فيناله كل مسلم ولتعلموا أنَّ اكرمكم عند الله أتقاكم، فمن يرغب عن فعل الرسول فقد رغب عن سنة الرسول[2].

وقد سار عبد الله بن عمر علىٰ نهج أبيه في نظريته القومية، فامتعض من رغبة سلمان الفارسي في الزواج من اخته. فلقي عمرو بن العاص فشكا ذلك إليه، فقال له: سأكفيكه.

---

(١) المائدة: ٥.

(٢) الاستغاثة ص٥٣ ـ ٥٤، طبعة النجف.

فلقي سلمان، فقال له: هنيئاً لكَ يا ابا عبد الله، أمير المؤمنين يتواضع لله عزَّ جلَّ في تزويجك ابنته.

فغضب سلمان، وقال: لا، واللهِ لا تزوجت إليه أبداً[1].

والملاحظ في هذه الرواية جملة تواضع أمير المؤمنين عمر لله عزّ وجلّ بتزويج ابنته من سلمان. وهذه الجملة أما أن تكون صادرة بالفعل من عمر وإما من ابن العاص لأبعاد سلمان عن رغبته.

ثم كثرت الروايات الكاذبة ضد القوميات والقبائل باسم رسول الله ﷺ فاوجد كعب الأحبار مجموعة من الأحاديث ضدَّ أهل العراق بأنّهم من ابناء ابليس ومن ابناء الجن، وانهم أهل الشر[2].

فقال ابن عساكر: المحفوظ عن كعب سوء القول في العراق[3].

ولم تسلم خوزستان من التعصب

ومن تلك الروايات الكاذبة ما جاء في حقّ أهالي خوزستان والمنسوبة زيفاً إلىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام: لا تساكنوا الخوز ولا تزوجوا اليهم فان لهم عرقاً يدعوهم الىٰ غير الوفاء (الخوز بالضم ثم السكون وآخره زاي: بلاد خوزستان، يقال لها الخوز لانه اسم لاهلها، والخوزستان اسم لجميع بلاد الخوز وهو نواحي اهواز بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللوز المجاورة لاصفهان كذا في المراصد) ومنها رسالة الصادق عليه السلام عن النجاشي

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربة ٩٩/٦.

(٢) كنز العمال ١٧٣/١٤ ح٣٨٢٨، ١٤٨/٨ ح٣٨٢٠٠، ١٧٣/١٤ ح٣٨٢٧٩، وكتاب صيانة الانسان عن وسوسة ابن دحلان ص٥٣٨، طبقات ابن سعد ٤٤٢/٧، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٣٣/١.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٣٣/١.

والي الأهواز: واحذر مال خوز الأهواز[١] فإنّ أبي اخبرني عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ انه قال: الايمان لا يثبت في قلب يهودي ولا خوزي أبداً[٢]. ان نظرية تكفير الأمم والشعوب واهانتهم نظرية يهودية معارضة للقرآن الكريم القائل: وخلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم.

نظرة الخليفة عمر الى العبيد

وفضّل عمر الاحرار على العبيد[٣]. وبلغ سخطه على العبيد ان ضرب عجوزاً جارية لأنها لبست ملابس حرّة، وهذا ما لم يفعله النبي ﷺ.

وترك القصاص في قضية عبادة بن الصامت مع العبد النبطي، لأن عبادة حر والنبطي عبد. فقد جاء أن عبادة بن الصامت دعا نبطياً يمسك له دابته عند بيت المقدس، فأبىٰ. فضربه فشجّه، فاستعدىٰ عليه عمر بن الخطاب.

فقال له: ما دعاك إلىٰ ما صنعت بهذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أمرته أن يمسك دابتي فأبىٰ، وأنا رجل فيَّ حدَّة، فضربته.

فقال: اجلس للقصاص.

فقال زيد بن ثابت: أتقيد عبدَك من أخيك؟

فترك عمر القَوَد، وقضىٰ عليه بالديَّة[٤].

ثم أخذ عمر بمنهج هذه النظرية من زيد اليهودي الأصل فترك شكوىٰ أبي

---

(١) كتاب الايمان ٤٧/٩ ج: ١٧٤/٦٧، كتاب العشرة ٥٢/١٤ ج: ١٩٣/٧٤، سفينة البحار ٧٤١/٢.

(٢) كتاب العشرة ٢١٦/٨١، ج: ٣٦١/٧٥، سفينة البحار ٧٤١/٢.

(٣) جامع المدارك ١٢٣/٦.

(٤) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١١٥/٩.

لؤلؤة العبد في سيده المغيرة.

وأخذ عثمان بمبادىء هذه النظرية فترك القصاص الإلهي في حقّ عبيد الله بن عمر الذي قتل مجموعة من المسلمين لأنهم عبيد وعجم وهم الهرمزان وجفينة وزوجة أبي لؤلؤة وصبيته[١].

وسار سعد بن أبي وقاص على النظرية الجاهلية اليهودية فقال بعد نيف وعشرين سنة على البعثة النبوية الشريفة لعبد الله بن مسعود (الذي طالبه بتسديد ديون بيت المال): هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل[٢].

وكان ابن مسعود من الصحابة الاحرار واصله من العبيد.

* * *

(١) المعارف، ابن قتيبة ص١٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١١، مختصر تاريخ دمشق ٩/٢٦٤.

نظرية عمر في النساء

نظرية عمر في البنات الصغار في الجاهلية

لقد كان عمر شديداً علىٰ النساء فقد قالوا: «إنَّه ﷺ كان جالساً مع بعض الصحابة اذ ضحك قليلاً ثمَّ بكىٰ. فسأله من حضر، فقال: كنَّا في الجاهلية، نصنع صنماً من العجوة فنعبده، ثمَّ نأكله، وهذا سبب ضحكي: أمَّا بكائي فلأنه كانت لي إبنة، فأردت وأدها، فأخذتها معي، وحفرت لها حفرة، فصارت تنفض التراب عن لحيتي، فدفنتها حيَّة»[1].

ولم يكن رجال الجاهلية كلّهم يقتلون بناتهم، بل كان الأمر مقتصراً علىٰ بعض منهم. فنزلت الآية القرآنية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[2].

ولقد ضرب عمر أخته، حين علم بإسلامها، فأدمىٰ وجهها، فقالت له: وهي غضبىٰ: يا عدو الله أتضربني علىٰ أن أوحِّد الله؟ قال غير متريث: نعم، فقالت: ما كنت فاعلاً فافعل. أشهد ان لا اله إلّا الله وأنَّ محمداً رسول الله، لقد أسلمنا علىٰ رغم انفك[3].

وكان رجال الجاهلية يتجنَّبون ضرب النساء، ويعتبرون ذلك عيباً.

---

(١) عبقرية عمر للعقاد، ٢١٤.

(٢) التكوير: ٨، ٩.

(٣) عبقرية عمر للعقاد، ٣٢.

طبيعة علاقة عمر مع زوجاته

روي عن الاشعث بن قيس أنّه قال: «ضفت عمر ليلة. فلمّا كان في جوف الليل، قام الىٰ امرأته يضربها، فحجزت بينهما. فلمّا آوى الىٰ فراشه، قال لي: يا أشعث: إحفظ عنّي شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ: لا يسأل الرجل فيم يضرب امرأته، ولا تنم إلّا وتر، ونسيت الثالثة[1].

وقد ذكر الأشعث هذه الحادثة نكاية بعمر، لأنّ فعله لا ترضاه العرب.

وذكر عمر: كنّا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم[2].

وأهدىٰ أبو موسى الأشعري لأمرأة عمر عاتكة بنت فريد بن عمرو بن نفيل طنفسة، أراها تكون ذراعاً وشبراً، فدخل عليها عمر فرآها فقال: أنّىٰ لكِ هذه؟

فقالت: نعم أهداها إليّ أبو موسى الأشعري.

فقال: أحضروه وأتعبوه.

قال: فأُتي به قد أُتعب، وهو يقول: لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين.

فقال: ما يحملك علىٰ أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها فضرب بها فوق رأسه، وقال: خذها فلا حاجة لنا فيها[3].

وروي عن ابن شبّة: أنّ عمر بن الخطاب عتب علىٰ بعض عمّاله، فكلّمته امرأته، فقالت له: يا أمير المؤمنين فيم وجدت عليه؟

---

(١) سنن ابن ماجة ٦٩٣/١، مسند احمد ٢٠/١.

(٢) سنن البيهقي ٣٧/٧.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٤٢/١٨.

فقال: يا عدوَّة الله، وفيم أنتِ وهذا؟ إنَّما انتِ لُعْبَةٌ يُلْعَبُ بكِ ثمَّ تتركين[١].

والحوادث الاخرى التي فعلها عمر مع النساء، تتمثَّل في هجومه علىٰ بيت بنت المصطفىٰ محمد ﷺ، بيده مشعل نار فضغط فاطمة ﷺ بين الباب والحائط،... فراحت فاطمة ﷺ ضحيَّة هذه الضغطة، شأنها في ذلك شأن بنت عمر الصغيرة، التي دفنها، وهي تنفض التراب عن لحيته[٢].

والحادثة الأخرى التي ارتكبها الخليفة عمر مع النساء، هي هجومه علىٰ بيت عائشة بعد وفاة أبي بكر، واخراجه أمَّ فروة بنت أبي قحافة بلا حجاب، وضربه إيَّاها بدرَّته.

وقد ذكر العالم الشهير ابن الجوزي مقولة الخليفة عمر لزوجته «إنَّما أنتِ لُعْبَةٌ يُلْعَبُ بكِ ثمَّ تتركين» فكانت نظريَّة لعمر في النساء.

لذلك هابت النساءُ عمرَ، وإمتنعن من الزواج منه، ومنهنَّ إبنة أبي بكر[٣].

ولمَّا نزلت آية: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ طلَّق المسلمون زوجاتهم الكافرات، ومنهن زوجة عمر زينب بنت أبي أُميَّة التي بقيت في مكَّة فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان[٤].

زواج من عاتكة دون رضاها

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو، بن نفيل تحت عبد الله بن أبي بكر، فجعل لها طائفة من ماله، علىٰ أن لا تتزوَّج بعده.

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ١١٤ مناقب عمر ١٢١، الشيخان ١٨٩، شرح النهج ٧٦٦/٣.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الطبري ١٧/٥، الكامل في التاريخ ٥٤/٣، المعارف، ابن قتيبة ص ١٧٥.

(٤) مغازي الواقدي ٦٣٢/١.

فتبتّلت وجعلت لا تزوّج. وجعل الرجال يخطبونها وجعلت تأبىٰ.

فقال عمر لوليّها: إذكرني لها.

فذكره لها، فأبت عمر أيضاً.

فقال عمر: زوِّجنيها، فزوَّجه إيَّاها، فأتاها عمر فدخل عليها، فعاركها حتَّىٰ غلبها علىٰ نفسها، فنكحها؟!

فلمَّا فرغ قال: أفّ أف أف أفّف بها.

ثم خرج من عندها، وتركها لا يأتيها، فأرسلت إليه مولاة لها، أن تعال فإني سأتهيَّأ لك[١].

من الناحية الفقهية، تكون المرأة الثيّب مالكة لأمر الزواج ممَّن تشاء علىٰ خلاف المرأة البكر، فيكون أبوها وليّاً عليها بإجماع الفقهاء.

ومن عادة عمر العمل برأيه، في أيّ مورد شاء، دون رجوع الىٰ نص ودستور. فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «الأيِّمُ أحقُّ بنفسِها من وليِّها، والبِكرُ تُستأذَنُ في نفسها وإذنُها صُماتُها»[٢].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ليس للولي مع الثيِّب أمرٌ، واليتيمةُ تُستأمَرُ فَصَمتُها إقرارُها»[٣].

وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تُنكح الثَّيِّبُ حتىٰ تُستَأْذَنُ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حتىٰ تُستَأمَرَ»[٤].

وعن خنساء بنت خِذام أنّ أباها زوَّجها وهي ثيِّب فكرهت ذلك فأتت

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٦٥/٨.

(٢) صحيح سنن الترمذي ٦٨٨/٢ حديث ٣٠٥٨، صحيح ابن ماجة ١٨٧٠.

(٣) صحيح سنن الترمذي ٦٨٨/٢ حديث ٣٠٦١، صحيح أبي داود ٣٩٥/٢ حديث ١٨٤٨ـ ٢١٠٠.

(٤) صحيح سنن ابن ماجة ٣١٥/١ حديث ١٨٧١، صحيح سنن الترمذي ٦٨٨/٢ حديث ٣٠٦٣.

رسول الله ﷺ فردَّ نكاحه[1].

وفي هذه الحادثة كانت عاتكة أرملة، فيكون أمرها في الزواج بيدها، وليس بيد أبيها. وقد دخل عليها عمر بلا إجازة منها؟!

زواج عمر من أمّ كلثوم بنت علي عليها السلام

لقد كذَّب بعض العلماء هذا الزواج وأيَّده بعض. ومن هذا البعض السيد المرتضىٰ إذ قال:

«إنَّ هذا النكاح لم يكن عن أختيار، ولا إيثار، ولكن بعد مراجعة ومدافعة، كادت تفضي الى المخارجة والمجاهرة. فانه روي أنَّ عمر بن الخطاب إستدعى العباس بن عبد المطلب فقال له: ما لي؟ أبيَّ؟ بأس فقال له ما يجب ان يقال لمثله في الجواب عن هذا الكلام، فقال له: خطبت الىٰ ابن اخيك، ابنته أمّ كلثوم، فدافعني ومانعني، وأنف من مصاهرتي. والله لاعورنَّ زمزم، ولاهدمنَّ السقاية، ولا تركت لكم يا بني هاشم منقبة إلّا وهدَّمتها، ولأقيمنَّ عليه شهوداً، يشهدون عليه السرق وأحكم بقطعه. فمضى العباس الىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره بما جرىٰ وخوَّفه من المكاشفة التي كان عليه السلام يتحاماها، ويفتديها بركوب كل صعب وذلول. فلمّا رأىٰ ثقل ذلك عليه قال له العباس: ردَّ أمرها اليَّ حتَّىٰ أعمل أنا ما أراه، ففعل عليه السلام ذلك. وعقد عليها العباس. وهذا إكراه يحل له كل محرم، ويزول معه كل إختيار. ويشهد بصحته ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله وقد سئل عن هذا العقد؟

---

(١) صحيح سنن الترمذي ٢/٦٨٩ حديث ٣٠٦٦ وصحيح ابن ماجة ١٨٧٣ (صحيح ابن ماجة ١/٣١٥ بسياق آخر أتم). وصحيح سنن أبي داود ٢/٣٩٥ حديث ١٨٤٩ـ٢١٠١. صحيح البخاري ٩/٣٤ باب ٤٣ حديث ٧١.

فقال ﷺ : ذلك فرج غصبنا عليه[١].

قال المفيد : إنّ خبر تزويج عمر من ام كلثوم غير ثابت لأنه من الزبير بن بكار وإنما نشر الحديث اثبات أبي محمد الحسن بن يحيىٰ صاحب النسب ذلك في كتابه فظن كثير من الناس انه حق لرواية رجل علوي له وهو إنما رواه عن ابن الزبير كما روى الحديث نفسه مختلفاً فتارة يروي أن أمير المؤمنين ﷺ تولى العقد له على ابنته وتارة يروي عن العباس انه تولىٰ ذلك عنه وتارة يروي انه لم يقع إلّا بعد وعيد من عمر وتهديد لبني هاشم وتارة يروي انه كان من اختيار وايثار.

ثم بعض الرواة يذكر ان عمر أولدها ولداً اسمه زيداً أو بعضهم ـ قال ـ ان لزيد بن عمر عقباً ومنهم من يقول انه قتل ولا عقب له ، ومنهم من يقول انه وامّه قتلا ، ومنهم من يقول ان امه بقيت بعده ، ومنهم من يقول ان عمر أمهر أم كلثوم أربعين ألفاً ، ومنهم من يقول امرها أربعة آلاف درهم ، ومنهم من يقول كان مهرها خمسمائة درهم، وبدء هذا القول وكثرة الإختلاف فيه يبطل الحديث ولا يكون له تأثير علىٰ حال[٢].

وذكر الزبير بن بكار بن الزبير بن العوام ولادة ام كلثوم من عمر لولدين زيداً ورقية[٣].

وبينما جعل الرواة الأمويون ولدين لها من عمر (زيد ورقية) نفوا وجود ولد لها من عون ومحمد وعبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ! وهذا ما يثير الشكوك أكثر.

وتختلف الروايات في أسباب موتها (أم كلثوم وزيد) مرّة انه قتل في

---

(١) رسائل الشريف الرضي ٣/١٤٨ـ ١٥٠، كتاب الشافي للسيد المرتضى، مستدرك الوسائل ١٤/٤٤٢ـ٤٤٤.

(٢) المفيد في جواب المسألة العاشرة من المسائل السروية لما سأله السائل عن حكم ذلك التزويج.

(٣) الإصابة ٤/٤٩٢.

حرب، ومرة انه سقط عليه وعليها حائط، ومرّة انها ماتت موتاً طبيعياً ولكن في نفس يوم مقتل ابنها!

وإن كانت قد ماتت سريعاً بعد عمر فمن اين جاءت هذه الزيجات الكثيرة؟![1] فقد تزوجت مع أولاد جعفر وهم عون ومحمد وعبد الله ومن رواة هذه الرواية هشام بن سالم الذي قال فيه أبو الحسن الرضا ﷺ: لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم ان الله صورة وان آدم خُلِق علىٰ مثل الرب[2].

ومن الرواة علي بن إبراهيم بن هاشم الذي روىٰ حرمة أكل لحم البعير. وقال النجاشي فيه: فسمع فاكثر وصنّف كتباً واضر في وسط عمره[3].

والواضح والبين في قضية زواج عمر من ام كلثوم ان الأمويين ارادوا اضافة منقبة جديدة لعمر تتمثل في زواجه من بنت فاطمة وعلي ﷺ لطمس مظلومية أهل البيت ﷺ.

وقد خططوا للاستفادة من شخص ام كلثوم لمدح عمر وهجاء علي ﷺ.

إذ جاء بان الحسن والحسين قد نصحا ام كلثوم بعد موت عمر بأن لا تمكن اباها من رقبتها فيزوجها واحداً من ايتامه، وقالا: ان اردتِ ان تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتصيبنه، وإنّها تمردت علىٰ أوامر ابيها في الزواج، فقرر علي ﷺ الإمتناع عن الكلام معها مالم ترض بالزواج ممّن يحب هو؟![4]

وهكذا أراد الأمويون واذنابهم تشويه سمعة أفراد أهل البيت علىٰ أنهم طلبة دنيا، وان أولاد علي ﷺ يعصون أباهم واظهروا زيفاً استبداد علي ﷺ في قراراته

---

(١) طبقات ابن سعد ٤٦٣/٨، أُسد الغابة، ابن الأثير ٣٨٧/٧، الإصابة ٤٩٢/٤.

(٢) معجم رجال الحديث ٣٠٠/١٩، ٣٠١.

(٣) معجم رجال الحديث ١٩٣/١١، ١٩٤.

(٤) راجع تاريخ الإسلام ١٣٨، أعلام النساء ٢٥٨/٤، سير أعلام النبلاء ٥٠١/٣، ٥٠٢، أُسد الغابة ٣٨٨/٦، نساء من عصر التابعين ١٥٢/٢.

في سلب الحرية من ابنته الثيب في الزواج! أي سعوا لتشويه سمعة علي واولاده عليهم السلام.

إذ جاء: رفض الحسن والحسين زواج سعيد بن العاص من ام كلثوم بنت علي[١]. بينما كان سعيد بن العاص من الولاة القدماء للدولة من الذين جمعوا أموالاً طائلة في مدة مأموريته.

وكتب معاوية إلىٰ مروان وهو عامله على الحجاز، يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لأبنه يزيد (بعد مقتل الحسن عليه السلام) فأتىٰ عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك، فقال عبد الله: إنَّ أمرها ليس إليَّ، إنما هو إلىٰ سيدنا الحسين عليه السلام وهو خالها، فاخبر الحسين عليه السلام بذلك فقال: استخير الله تعالىٰ، اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد.

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل مروان حتىٰ جلس الى الحسين عليه السلام وعنده من الجلة، وقال: إنّ أمير المؤمنين أمرني بذلك وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ـ وساق الحديث الىٰ ان قال ـ قال الحسين: يا مروان قد قلت فسمعنا، أمّا قولك مهرها حكم أُبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون اربعمائة وثمانين درهماً ـ الىٰ ان قال: ثمّ قال بعد كلام ـ فاشهدوا جميعاً أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر علىٰ اربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة ـ أو قال أرضي بالعقيق ـ وان غلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لها غنىً إن شاء الله[٢].

---

(١) كتاب المرادفات من قريش للمدائني.

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب ٣٨/٤، مستدرك الوسائل ٩٨/١٥.

عمر: رغم انف فلانة وفلانة

لمَّا جاء الاسلام وأعطى المرأة حقوقها، إستغلت بعض النساء هذه الحريَّة بشكل غير جيد. ذكر البخاري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَآ أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[١] قال عمر: وكان لي صاحب من الانصار، إذا غبت أتاني بـالخبر، وإذا غاب كنت آتية بالخبر، ونحن نتخوَّف ملكاً من ملوك غسَّان، ذكر لنا أنَّه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الانصاري يدقُّ الباب، فقال: افتح، افتح.

فقلت: جاء الغسَّاني.

فقال: بل أشدُّ من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة[٢].

وفي هذا يظهر، أنّ عمر وضع اللوم علىٰ حفصة وعائشة، بل أنَّه ذهب الىٰ اكثر من ذلك في اظهار انزعاجه منهما.

وأخرج المتقي الهندي، عن أبن عباس أنَّه قال:

ذكر عند عمر بن الخطاب: ﴿يَآ ايُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبتَغِي مَرضَاتَ أزواجِكَ﴾[٣].

قال: إنَّما كان ذلك في حفصة[٤].

وأخرج المتقي الهندي، عن ابن عباس أنَّه قال:

---

(١) سورة التحريم، ١.

(٢) صحيح البخاري مشكول ٢/٦-٢٠٦.

(٣) سورة التحريم، ١.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ٢/٥٣٢، الحديث ٤٦٦٦.

قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللّتان تظاهرتا؟ قال: عائشة، وحفصة، وكان بدءُ الحديث في شأن مارية أمّ ابراهيم القبطية، أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدت حفصة، فقالت:

يا نبي الله لقد جئت إليّ شيئاً ما جئته إلىٰ أحدٍ من أزواجك، في يومي، وفي دوري، وعلىٰ فراشي؟

قال: ألا ترضين أن أحرّمها، فلا أقربها؟ قالت: بلىٰ، فحرّمها[1].

وأخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ أنّه قال:

لبثت سنة، وأنا أُريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللّتين تظاهرتا على النبي ﷺ، فجعلت أهابه، فنزل يوماً منزلاً، فدخل الأراك فلمّا خرج سألته، قال: عائشة وحفصة[2].

موقف عمر من المسلمات في الجاهلية

كان عمر بن الخطاب شديداً على النساء المسلمات قبل اسلامه، فقد مرّ أبو بكر بجارية بني مؤمّل ـ حي من بني عدي بن كعب ـ وكانت مسلمة وعمر بن الخطاب يُعذّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك، وهو يضربها حتّىٰ إذا ملّ، قال: إنّي أعتذر إليكِ، إنّي لم أتركك إلّا ملالةً[3].

وإذا تعجّب شخص من فعل عمر، فجوابه ما قاله عمر: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أُحبها وأسرّ بها[4].

---

(١) كنز العمال ٢، الحديث ٤٦٧٠.

(٢) صحيح البخاري ٢٣/٤، ط. مصر سنة ١٩٣٢، مسند احمد بن حنبل ٤٨/١.

(٣) السيرة النبوية، ابن دحلان ٣٣٩/١.

(٤) السيرة النبوية ٢٧١/١.

وقالت أمُّ عبد الله بنت حنتمة: لمَّا كنَّا نرتحل مهاجرين الى الحبشة، أقبل عمر حتَّىٰ وقف عليَّ، وكنّا نلقىٰ منه البلاء والأذىٰ والغلظة علينا[١].

وكانت العرب في الجاهلية تأنف من ضرب النساء من عادة مألوفة لديها. لذلك لمّا ضرب عمر زوجته وكان عنده الاشعث بن قيس ضيفاً، قال له عمر: اكتم عليَّ. وعندما أراد عبيد الله بن زياد ضرب زينب بنت علي بن أبي طالب ﷺ، عند أسرها في كربلاء لكلام قالته، قال له أحد أعوانه: إنَّها إمرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيٍ من منطقها، فتوقف عبيد الله عن الضرب. ومن آثار خشونته أنَّه وثب علىٰ ختنه لدخوله الإسلام، فوطأه وطئاً شديداً، ونفح اخته المسلمة بيده نفحة فدمي وجهها[٢]. وقالت أمُّ عبد الله بنت أبي حثمة، وكانت زوج عامر بن ربيعة: كنَّا نرحل الىٰ ارض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ اقبل عمر وهو علىٰ شركه، حتَّىٰ وقف عليَّ. وكنَّا نلق منه البلاء أذىً وشدَّة، فقال: أتنطلقون يا أمَّ عبد الله؟ قالت: قلتُ: نعم والله لنخرجن في أرض الله، فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتَّىٰ يجعل الله لنا فرجاً.

قالت: فقال: صحبكم الله.

قالت: فلمَّا عاد عامر أخبرته، وقلت له لو رأيت عمر ورقَّته وحزنه علينا.

قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم.

فقال: لا يسلم حتَّىٰ يسلم حمار الخطاب، لما كان يرىٰ من غلظته، وشدَّته على المسلمين فهداه الله فأسلم. وغلظته مع المسلمين المستضعفين تظهر من قول الرسول ﷺ له: (بعد ان أخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف): ما أنت منته يا عمر، حتَّىٰ ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة.

---

(١) عبقرية عمر، العقاد ٣٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ١٩١/٣.

موقف عمر من النساء بعد اسلامه

كان عمر شديداً على النساء في الجاهلية والإسلام، فقد سمع عمر بكاء في بيت، فدخل وبيده الدرّة، فمال عليهم ضرباً، حتّى بلغ النائحة فضربها، حتّى سقط خمارها، ثمّ قال لغلامه: اضرب النائحة ويلك اضربها؛ فإنّها نائحة لا حرمة لها[1]. ومن علامات غلظته واشتهار ذلك بين الناس ما أخرجه البخاري: استأذن عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه، عالية اصواتهن على صوته، فلمّا استأذن عمر تبادرن الحجاب، فإذن له النبي ﷺ فدخل، والنبي ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنّك يا رسول الله بأبي انت وأمّي، فقال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، لمّا سمعن صوتك تبادرن الحجاب. فقال: انت احقُّ أن يهبن يا رسول الله، ثمّ أقبل عليهن فقال: يا عدوّات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ؟! فقلن: إنّك أفظ واغلظ من رسول الله ﷺ[2]. وعن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: لمّا توفي أبو بكر، أقامت عليه عائشة النوح، فبلغ عمر فجاء فنهاهن عن النوح على أبي بكر، فأبين ان ينتهين، فقال لهشام بن الوليد: أخرج إليَّ ابنة أبي قحافة، فعلاها بالدرّة ضربات، فتفرّق النوائح حين سمعن ذلك[3].

وكانت الإماء تلبس ملابس تختلف عن ملابس الحرائر، بينما الإسلام محى الفروقات بين المسلمين، فجعلهم يقفون في صفوف الصلاة بلا مزايا قومية ومالية

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ١١١/٣.

(٢) صحيح البخاري مشكول ٦٣/٤، ٦٤ باب التبسم.

(٣) صحّحه السيوطي في كنز العمال ١١٩/٨، وذكره ابن حجر في الاصابة ٦٠٦/٣، طبقات ابن سعد ٢٠٨/٣.

وعشائرية وغيرها وكان الرسول ﷺ يعطي أفضل ملابسه لخادمه. لكن عمر رأى امرأة في زي استغربه، فسأل عنها فقيل له: إنَّها الأمة فلانه، فضربها بالدرَّة ضربات، وهو يقول لها: يالكعاء! أتتشبَّهين بالحرائر؟![1]

وضرب (عمر) النساء الباكيات على بنت رسول الله (زينب، عند وفاتها). فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال مَه يا عمر[2].

أمّا رأي علي بن أبي طالب عليه السلام في النساء فكله عاطفة ورأفة بهن، فبالرغم مما فعلت عائشة من خروجها على إمام زمانها، وعصيانها له، واعلانها الحرب عليه، وقتلها لسبعين مؤمناً في البصرة، وتسببها في مقتل عشرين الفٍ من المسلمين في معركة الجمل إلّا ان الإمام علياً عليه السلام لم يؤذها وأمر بادخالها دار عبد الله بن خلف الخزاعي في البصرة وهي اعظم دار في البصرة[3].

وبالرغم ممّا قالته صفية بنت الحارث له، لم يفعل بها شيئاً، إذ قالت: يا علي يا قاتل الأحبة يا مفرّق الجمع أيتم اللهُ بنيك منك، كما ايتمت ولد عبد الله منه، فلم يرد عليها شيئاً وقال: أما لهممت واشار الى الأبواب من الدار أن افتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، وكان أناس من الجرحى قد لجأوا الى عائشة، فاخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم، فسكتت، فخرج علي فقال رجل من الأزد: لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب (علي عليه السلام) وقال: صه، لا تهتكن ستراً، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن اعراضكم وسفّهن أمراءكم وصلحاءكم، فانهنَّ ضعاف، ولقد كنّا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده[4].

---

(١) عبقرية عمر، العقاد ١٣٠.

(٢) مسند احمد بن حنبل ١/٢٣٧، ٣٣٥، مستدرك الحاكم ٣/١٩١.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٣٨، ٥٤٣، حوادث سنة ٣٦ هـ.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٤٤، حوادث سنة ٣٦هـ.

موقفه مع نساء النبي ﷺ

ولم تقتصر شدّة عمر على عموم النساء، بل كان جسوراً على نساء النبي ﷺ أيضاً، فقد جاء في البخاري: قال (عمر): ثمّ خرجت حتّى دخلت على أمّ سلمة لقرابتي منها فكلّمتها، فقالت أمّ سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتّى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه. فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد[١]. وكانت النساء تخرج ليلاً الى دورات المياه لقضاء الحاجة، ولمّا خرجت زوجة النبي ﷺ سودة، عرفها عمر من طولها، فنادى عرفتك يا سودة! وفي حادثة يوم الخميس يوم منع عمر وصحبه الناس من المجيء بصحيفة ودواة ليكتب ﷺ وصيته، وطالبت أمّهات المؤمنين بالمجيء بذلك إذ قلن: ألّا تسمعون ما يقول الرسول ﷺ؟ قال عمر: فقلت: إنّكن صواحب يوسف، إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صحّ ركبتن عنقه؟

وقال رسول الله ﷺ: دعوهن فإنّهن خير منكم[٢].

ما حدث لبنت عمر وبنت الرسول ﷺ وبنت أبي قحافة

لقد وأد الخليفة عمر في الجاهلية إبنته[٣]. وفي بداية خلافة أبي بكر ضرب عمرُ فاطمةَ ؏ متسبّباً في موتها وموت ابنها (محسن)[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٢٠٦/٢.

(٢) كنز العمال ١٣٨/٣.

(٣) عبقرية عمر للعقاد ص ٢١٤.

(٤) ترجمة النظام. صلاح الدين الصفدي. الوافي بالوفيات ٣٤٧/٥، أنساب الأشراف ٥٨٦/١.

وضرب عمر بدرته ابنة أبي قحافة (أم فروة)[١].

وبذلك يكون عمر قد تسبَّب في قتل ولد وبنت من أولاده، وتسبَّب في قتل ولد وبنت من أولاد الرسول ﷺ، وضرب أخت أبي بكر. ومن بين هؤلاء ندم عمر علىٰ موت إبنته فقط ولم يندم علىٰ موت أو ضرب غيرها.

ولكنَّ ذلك لم يمنعه لاحقاً من تكريم إبنته الثانية حفصة وإعطائها راتباً عالياً قدره اثني عشر ألف درهم[٢]. وهكذا واحدة من بناته شقيت وواحدة سعدت علىٰ يديه. وأرسل عمر الى اليمن ليأتوه بحلتين جميلتين الى الحسن والحسين عليهما السلام ؟!! في حين تسبَّب هو في مقتل أخيهم وأمهم!

وكذلك ضرب عمر أمَّ فروة بنت أبي قحافة بدرَّته[٣] أمام الملأ، لمنعها من إقامة مجلس العزاء علىٰ أبي بكر، بينما أعطىٰ أختها عائشة بنت أبي بكر جواهر زوجة كسرىٰ ملك الفرس[٤]، وراتباً قدره اثني عشر ألف درهم![٥]

هيبة النساء من عمر

وبسبب بعض الحوادث المتفرقة فقد خافت النساء من عمر خوفاً شديداً، ومن أمثلة ذلك:

استدعىٰ عمر امرأة ليسألها عن أمرٍ وكانت حاملاً، فلشدةِ هيبته ألقت ما في

---

(١) صححه السيوطي في كنز العمال ١١٩/٨، وذكره ابن حجر في الإصابة ٦٠٦/٣، وابن سعد في طبقاته ٢٠٨/٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢، طبعة لندن.

(٣) تاريخ الطبري ٤ /حوادث سنة ١٣.

(٤) مستدرك الحاكم ٨/٤، النبلاء ١٣٢/٢، تلخيصه للذهبي.

(٥) تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢.

بطنها، فأجهضت به جنيناً ميتاً.

فأستفتىٰ عمر أكابرَ الصحابة في ذلك فقالوا: لا شيْ عليك إنَّما أنت مؤدِّب، فقال له علي عليه السلام: إن كانوا راقبوك فقد غَشُّوك، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطاءوا، عليك غرَّة -يعني عتق رقبة-، فرجع عمر والصحابة الىٰ قوله.

زواج النساء من عمر

لشدة خشونة عمر فقد امتنعت النساء من الزواج منه، ومن عادة خشني الطباع امتداد خشونتهم الى النساء.

ذكر ابن عبد البر الاندلسي: قيل إنَّ عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة فزوَّجوها المغيرة[1]. وخطب أمَّ كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة، وأرسل فيها الىٰ عائشة. فقالت: الأمر اليكِ. فقالت أمُّ كلثوم لا حاجة لي فيه، فقالت لها عائشة: ترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم. إنَّه خشن العيش شديد على النساء، فأرسلت عائشة الىٰ عمرو بن العاص، فقال: أنا أكفيكِ. فأتىٰ عمر فقال: بلغني خبر أُعيذك بالله منه، قال: ما هو؟ قال: خطبت أمّ كلثوم بنت أبي بكر. فقال: نعم، أفرغبت بي عنها، أم رغبت بها عنّي؟ قال: ولا واحدة، ولكنّها حَدَثة[2]. وخطب أمَّ أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً ويخرج عابساً[3].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢٠٩/٢، طبقات ابن سعد ٢٠٨/٣، الإصابة ٦٠٦/٣، كنز العمال ١١٩/٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٧/٥، الكامل في التاريخ ٥٤/٣.

(٣) الكامل في التاريخ ٥٥/٣، تاريخ الطبري ١٧/٥.

الفهرس

الوضع الاجتماعي للخليفتين

نظرية الخليفتين في النبي صلى الله عليه وآله